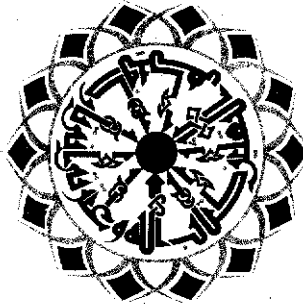


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجميع العالمي للإسلام والتبليغ

سنة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

العدد الخامس . السنة الثانية . مجلد ربيع الأول ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩

فهرست محتويات العدد الخامس

من مجلة رسالة الثقلين

■ كلمة التحرير

✽ أهل البيت ومصلحة الاسلام العليا..... ٤

■ من آفاق القيادة الاسلامية

✽ عاشوراء دروس وعبر - ولي أمر المسلمين السيد
الخامنئي (دام ظلّه)..... ١٢

■ دراسات

✽ دور أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة (٤) - سماحة
السيد محمد باقر الحكيم (العراق)..... ٢٢
✽ الحب الإلهي في أدعية أهل البيت (ع) - سماحة الشيخ
محمد مهدي الأصفي..... ٧١

✽ الاسلام ومتطلبات الحياة العصرية من وجهة نظر

الشهيد المظهري (٢)..... ١٤٢

الشيخ مجتبى المحمودي

✽ المرجعية الدينية أمام الاتجاهات الفقهية - سماحة السيد

محمد حسين فضل الله (لبنان)..... ١٢٦

✽ المدرسة الاستشراقية الفرنسية (٢) - الشيخ فؤاد كاظم

المقدادي (العراق)..... ١٧٥

■ من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

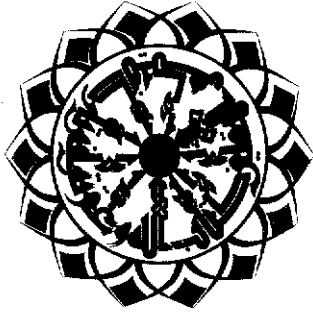
✽ أحكام الحرب والاسرى في الاسلام - سماحة الشيخ

محمد علي التسخيري..... ٥٦

■ من غرر حكم أهل البيت (ع)

✽ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - إعداد الشيخ عباس

كوراني (لبنان)..... ٢٢٩



المجمع العالمي للأدب والدين

العدد الخامس . السنة الثانية .

محرم - ربيع الأول ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

■ تعريف

■ كتاب: معجم ما كتب عن الرسول

وأهل بيته (ع) - الشيخ أبو صادق (العراق) ١٠٢

■ فنون وأدب

■ قصيدة (بين يدي الحسين) - مصطفى الغماري

(الجزائر) ٩٤

■ خاطرة (نشيد الرضى والجراح) - أبو ثريا (العراق) . ١٩٨

■ عظة وعبرة (ما المفلس) - أسامة البصري (العراق)

■ سؤال وجواب

■ أسئلة شرعية من المركز الاسلامي في واشنطن -

سماعة الشيخ محمد المؤمن ١٣٤

■ شبهة ورد

■ نفي تحريف القرآن (١) - سماعة الشيخ محمد هادي

معرفة ٣٨

■ تقرير

■ حضور الوفد الاسلامي الايراني في الندوة الثامنة

لمجمع الفقه الاسلامي الدولي في بروناي ٢٢٢

■ المجمع العالمي وقضايا المسلمين ١٥٧

■ استطلاع

■ المسلمون في البلقان (٢) - المركز الاسلامي للابحاث

السياسية (قم المقدسة) ٢٠٠

■ تحقيقات

■ رواية حديث الثقلين (١) - عبد الكريم رؤوف

(العراق) ١٠٧

■ من أنباء القرى

■ أنباء و تقارير ٢٣٦

أَهْلُ الْبَيْتِ

وَمَصْلَحَةُ الْإِسْلَامِ الْعُلْيَا

درس الكثيرون سيرة أهل البيت عليهم السلام وتأريخهم المشرق بالفضائل والفواضل والكمالات والكرامات وأبدعوا في إبراز دورهم الرائد في العلم والبناء والتضحية والفداء، ووقفوا كثيراً أمام حقيقة الأهداف وسر التنوع في الأدوار التي اضطلع بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلا أن القليل منهم وضع يده على السر الأساسي والحقيقة الجوهرية، المعبرة عن قاسم أعظم وخط مشترك بين جميع هذه الأدوار، وما زخرت به من مواقف إسلامية كبرى، على اختلاف صورها وأشكالها، سواء أكانت في حرب أم في سلم، وسواء أكانت قولاً أم فعلاً، سلباً أم إيجاباً، صريحة كانت أم تقيّة، ألا وهي مصلحة الإسلام العليا. وهذا القليل لم يتناول من هذا السر وتلك الحقيقة خلا مفردات جزئية متفرقة لا تعطي للصورة عظمتها وكمالها، الذي لا يتم إلا بالنظرة الشمولية المترابطة والرؤية العميقة الكاشفة. ولعل من أبرز هذه المحاولات النادرة التي مهدت وشرّعت منهج الدراسة الشمولية التكاملية، هي مجموعة محاضرات ومقالات الشهيد السعيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر قدس سره عن أدوار ومواقف أهل البيت عليهم السلام، والتي لم يكتب لها الدوام حتّى أشواطها الأخيرة وغايتها الكبرى، فقد أبت هذه الشخصية الإسلامية الفذة إلا أن تترجم هذا السر المذكور والجوهر المزبور في مسيرة أهل البيت عليهم السلام الرائدة، بالصراع مع الطاغوت والنصرة لله عز وجل، من

خلال التضحية بنفسها الزكية، من أجل مصلحة الإسلام العليا، وصلاً بتلك المسيرة العظمى والسيرة الشريفة.

ودعماً للدعوة الكريمة في العدد الرابع من مجلة رسالة الثقلين لمعرفة أهل البيت عليهم السلام نسلط ضوءاً كلياً عاماً على هذا القاسم الأعظم والخطّ المشترك في مواقف وأدوار أئمة أهل البيت عليهم السلام على مدى التاريخ والعصور التي اكتنفهم، ذلك هو لحاظهم أولاً وآخرأً، وقبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء، مصلحة الإسلام العليا، فدونها أرواحهم الطاهرة وأهل بيتهم الكرام، وأموالهم ما كثرت، وجهادهم وجهودهم ما عظمت، وهجرتهم في سبيل الله في أكناف الأرض وتخومها ما وسعت، وكظمهم الغيظ وصبرهم الجميل حتّى يتبيّن الحقّ من الباطل.

فهذا أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما رأى أنّ مصلحة الإسلام العليا تتجسّد بحياة النبي صلّى الله عليه وآله، وأنّ في سلامته سلامة الرسالة، فذاه بنفسه، ووضعها في موضع التضحية في سبيل تلك المصلحة العليا، وهو مطمئنّ برضا الله وقضائه، فبات في فراش الرسول عندما علم أنّ مشركي قريش قد بيّتوا قتله صلّى الله عليه وآله، حتّى نزلت فيه الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ زَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١)، التي اشتهر بين المفسّرين وأصحاب الرأي والحديث من مختلف الفرق الإسلامية أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليلة مبите عليّ فراش الرسول صلّى الله عليه وآله^(٢). وهكذا كان شأنه وديدنه في حماية الرسول صلّى الله عليه وآله عند الحروب والمعارك التي خاضها تحت قيادته، فكان ظلّاً له لا يفارقه فيها، ولا يألو جهداً في القتال دونه والذبّ عنه، مهما كانت العواقب واشتدّت الفتن، حتّى قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها في حقّه: «...وبعد أن مُني بيّهم الرجال»^(٣)

(٢) راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٩٦.

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٣) بهم الرجال: شجعانهم.

وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّمنا أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشيطان^١ أو فغرت فاغرة من المشركين^٢ قذف أخاه (عليّ بن أبي طالب عليه السلام) في لهواتها^٣، فلا ينكفيء حتّى يبطأ صماخها بأخمصه^٤، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم...^٥.

ولمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله رأى أنّ مصلحة الإسلام العليا تكمن في حفظ الثقل الأكبر بتنزيله وتأويله، فما برح عاكفاً على ذلك حتّى انتهى من جمع القرآن الكريم، حيث يقول: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَضَعُ رِدَائِي عَلَى ظَهْرِي حَتَّى أَجْمَعَ مَا بَيْنَ اللُّوحَيْنِ، فَمَا وَضَعْتُ رِدَائِي حَتَّى جَمَعْتُ الْقُرْآنَ»^٦.

وعند بروز مشكلة الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله واشتداد الفتنة فيها، تميّز موقف الإمام عليّ عليه السلام مرّةً أخرى، وكان رائده فيه مصلحة الإسلام العليا مقدّمةً على أيّة مصلحة تُذكر، فحفظ للدين وجوده وللرسالة مداها، وقد أبلغ بياناً في وصفه عليه السلام لموقفه التاريخي المشهود في ذلك بقوله: «فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً فتكون المصيبة به عليّ أعظم من قوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت»^٧.

وعلى نفس النهج كان شأنه سلام الله عليه عندما بوع بالخلافة بعد عثمان بن عفّان، فلم

(١) نجم: ظهر، قرن الشيطان: أمته وتابعوه. (٢) فغر: فتح. فاغرة من المشركين: طائفة منهم.

(٣) اللّهوات «بالتحريك»، جمع لهاة: وهي اللحم في أقصى شفة الفم.

(٤) ينكفيء: يرجع. الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٥) الاحتجاج للطبرسي: ١٠٠-١٠١ (من خطبة الزهراء النبوت عليها السلام).

(٦) المناقب لابن شهر آشوب: ٢: ٤١، والبحار: ٢: ٥٢. (٧) نهج البلاغة: كتاب ٦٢، صفحة ٤٥١.

يداهن معاوية بن أبي سفيان، وردّ على المشيرين عليه بترك معاوية في مركزه والياً على الشام قائلاً: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري»^١.

ونجد ذات الخطّ يتجسّد مرّة أخرى في سيرة الإمام الحسن بعد أبيه عليهما السلام عندما احتدم الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، حيث نراه ثابتاً لا يتزحزح عن مقتضى مصلحة الإسلام العليا التي شخصها ببصيرة الإمام المسدّد، فيعلن الصلح، رغم الغموض والريب الذي اعتري أصحابه وتابعيه، وشدة بعضهم في الإنكار عليه، من ذلك ما عن أبي سعيد قال: قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنّ الحقّ لك ودونه وأنّ معاوية ضالّ باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألسنتُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً لهم بعد أبي؟ قلت: بلى، قال: ألسنتُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ولبيّني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد، إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يسفّه رأيي فيما آتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما آتيته ملتبساً! ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى عليه السلام فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه، حتّى أخبره فرّضني، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما آتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدًا إلّا قُتل...^٢.

ولعلّ من أبرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق مصلحة الإسلام العليا في أدوار أئمّة أهل البيت عليهم السلام، رغم تنوّعها وتباينها، ما كان من نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ووقفته الدمويّة أمام الخليفة الفاجر يزيد بن معاوية، فخلافة يزيد هذا، في نظر

(١) الكامل في التاريخ ٣: ١٩٧.

(٢) علل الشرايع: ٢١١، ب ١٥٩.

الإمام عليه السلام أصبحت أكبر قضية تهدد أساس العقيدة الإسلامية بالحق، وتعرضها للزوال، وذلك من خلال الانحراف الخطير الذي طرأ على مسألة الحكم الإسلامي وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن تنصيب مثل يزيد للخلافة، وبذلك الطريقة التي سلكها معاوية، يعني على أقل تقدير، وقوع الحكم الإسلامي في خطر التحول الجذري والإنقلاب الكلي من الحكم الإلهي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يقوم على أساسه من عدل وقسط، إلى حكم الطاغوت الذي سيكون للهوى والرأي المستبد الملاك التام والمقياس الفصل في قيامه وحاكميته على المسلمين. ولم تكن المشكلة آنذاك في إدراك مجمل هذه الحقيقة، فقد كان المسلمون المخلصون حينئذ وعلى رأسهم كبار الصحابة والتابعين مدركين لها ولخطورتها، إلا أن الإرادة العامة للمسلمين لم تكن بمستوى هذا الإدراك. مما دفع الإمام الحسين عليه السلام لتحمل هذه المسؤولية الكبرى، فانبهر لبذل دمه ودماء أهل بيته وأصحابه لتكون وقوداً ساخناً لإلهاب تلك الإرادة الهامدة. وبدأت منذ نهضته وبعد استشهاده عليه السلام مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخط المنحرف، ليقوم للدين عود وتستقيم كلمته في العباد..

ومن أبرز الأدلة الواقعية على أثر هذه النهضة الخالدة في أعماق المسلمين وتحقيقها للهدف الشامل على مستوى الرسالة والأمة جمعاء هو هذا الإجماع المطلق في جميع العصور على تأييدها والتفاعل مع معطياتها، والإدانة المطلقة ليزيد بن معاوية موقفاً ومنهجاً.

ويستمر هذا الخط المقدس في تقديم مصلحة الإسلام العليا على أية مصلحة أخرى في مواقف وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام. فالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام رأى في زمنه أن الأزمة الأخلاقية في الأمة الإسلامية هي الخطر الأساسي الجديد الذي بدأ يغزو حواضر المسلمين وتجمعاتهم. فبدلاً من مجالس الذكر الحكيم والحديث الشريف وتداول شؤون الإسلام والمسلمين، بدأت

مجالس الشعر الماجن ومحافل الغناء والعزف تنتشر في كل مكان، وبرزت طبقة منهم لتتخصص بهذه المفاصد إمعاناً في سلب الإرادة الإسلامية عن الأمة، وتخديرها تحت سطوة الخلافة الأموية الجائرة، فما كان من الإمام زين العابدين عليه السلام إلا أن ينتهج أسلوباً رائعاً من أساليب التربية الذاتية، ألا وهو الدعاء والمناجاة، ونشر مكارم الأخلاق، ونهج المسالك العرفانية العالية، التي من شأنها أن تدخل وتتفاعل تلقائياً مع كل فرد وفي كل ظرف، فأنحسرت موجة المجون والفواحش لتقع في سرايا القصور الأموية ومجالسها الخاصة.

وهكذا مهد الإمام السجاد عليه السلام لحركة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من بعده، لتبدأ أكبر مدرسة تحكي دعوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ورسالة الإسلام الإلهي الأصيل بالبروز والإنتشار في أوساط الأمة، لينشأ جيل من علماء الإسلام الحقيقيين، وتبدأ على أيديهما وأيدي الأئمة من بعدهما معركة الرسالة بكل أبعادها مع رسالة الطاغوت بكل أشكاله وألوانه، ترسيخاً وإبعاداً لها عن شوب التحريف والتزوير، ولتنتشر في كل أمصار الأرض، وتصل صافية نقية إلى كل الأجيال المتعاقبة. فخاض الإمام الكاظم عليه السلام معركة الحاكمية الإلهية لتثبيت مواصفات الحاكم الإسلامي وواجباته وطبيعة علاقته بالأمة. وسلك الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام طريق حماية الإسلام من وافدة أهل الكتاب وشبهاتهم، ومستجدات الحوادث والقضايا التي ظهرت في زمانهم، إحياءاً للدين، وإظهاراً له على الدين كله. ولم توقف مسيرتهم الإسلامية الكبرى هذه وسائل الإرهاب والبطش والسجن والتشريد والإغراء والإغواء حتى استشهدوا جميعاً في سبيل مصلحة الإسلام العليا، واستتر آخرهم تمهيداً وإعداداً للأمة وللصفوة منها ليظهر عليه السلام بعد انتظار، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويكون الدين كله لله.

وبين استتاره وظهوره المبارك عجل الله فرجه يستهدي محبوه من أتباع أهل البيت

والصفوة من أبناء مدرستهم الكبرى نفس المنهج وذات الخط في تقديم مصلحة الإسلام العليا على كل المصالح والشؤون، فتجدهم في كل قضايا المسلمين وشؤونهم، وما يُعدّ الدفاع عنه دفاعاً عن بيضة الإسلام السباقيين في البذل والعطاء بالنفس والمال والكلمة الهادفة والموقف المسؤول، فهذه قضية فلسطين قضية المسلمين الأولى لم يصمد مع أبنائها المجاهدين حق الصمود ويصدع بالحق الإسلامي فيها مثلما صمد وصدع أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والحكم الإلهي التاريخي للإمام الخميني قدس سره بإعدام المرتد سلمان رشدي، والإصرار الجازم على تنفيذه مثل بارز آخر على ذلك، فقد تمثلت فيه كرامة وعزة وقدسية الإسلام أمام الكفر والشرك، والإستخفاف بالمقدسات الإسلامية. ولم يثن قادة أتباع أهل البيت عليهم السلام، من استنهاض المسلمين في كل مكان لأداء هذا التكليف الإلهي، ما فرضه الإستكبار المحارب من صور الحرب السياسية والإعلامية، والتضحية بالكثير من المصالح الاقتصادية، والتعرض لمختلف أشكال المؤامرات الشيطانية الخبيثة.

وهكذا شأنهم في قضايا الإسلام الأخرى، في مأساة شعب العراق ومحنة المسلمين في الهند وكشمير، والمذابح الوحشية التي طالتهم في البلقان، وفتنتهم الدموية في طاجيكستان وأذربيجان والصومال، والتنكيل الذي لاحقهم في مصر والجزائر وغيرها من بلاد الإسلام، والنهب الاقتصادي والإستعمار السياسي والحرب الإعلامية والثقافية التي تشنها دول الإستكبار الغربي بقيادة الفرعون الأكبر أمريكا. في كل ذلك وغيره من قضايا الإسلام والمسلمين الكبرى تجد أتباع أهل البيت عليهم السلام في القلب من حركة المسلمين، وعلماءهم الشوكة الدامية في عين الإستكبار وعملائه الطغاة أينما حلّوا أو رحلوا، وليس غريباً أن تقود أمريكا وكل دول الكفر والشرك في الغرب حملة شيطانية مسعورة للنيل من دولة أهل البيت عليهم السلام في إيران، حركة الإشعاع والإسناد وقاعدة

الدعوة والجهاد، واصفة إياها ببؤرة الإرهاب الدولي والخطر الأكبر على حضارتهم الكافرة وتطلعاتهم الإستكبارية، مبررة بذلك كل المؤامرات التي تحيكها للقضاء على هذه الدولة المباركة لإطفاء نورها الإلهي، ولن يكون لهم هذا ما دام الله تعالى أساس وجودها وأصل حكومتها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^١.

والسلام على رسول الله وأهل بيته الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

قال الإمام علي عليه السلام :

اَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمِيَّتَهُمْ
وَاتَّبِعُوا أَرْهَمَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُكُمْ مِنْ هُدًى
وَلَنْ يُعِيدُكُمْ فِي رَدًى .

شرح البلاغة

المقالة : ٩٧

دروس عاشوراء

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

الْعَلِيِّ وَالْكَرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن واقعة عاشوراء العظيمة يمكن التأمل فيها من جهتين :

الجهة الأولى - دروس عاشوراء :

الدرس الأول : لقد علّمتنا عاشوراء أن التضحية من أجل الدين واجب علينا، وأنه يجب التفاضي عن كل شيء في سبيل القرآن، وعلّمتنا أن جميع المسلمين بما فيهم الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والشاب والكهل، والشريف والضيع، والإمام والرعية، كل أولئك يقفون صفاً واحداً في ميدان الصراع بين الحق والباطل. علّمتنا أن جبهة أعداء الإسلام بما تمتلك من قدرات ظاهرية تنصدع في المواجهة كما تصدعت جبهة بني أمية بفعل قافلة سبايا عاشوراء في الكوفة والشام والمدينة، ووصل الأمر في نهاية المطاف إلى انهيار الجبهة الأموية السفىائية أمام الثورة الحسينية.

وعلّمتنا عاشوراء أن البصيرة لازمة للإنسان المسلم في دفاعه عن عقيدته أكثر من أي شيء آخر. فإن عديمي البصيرة ينخدعون من دون أن يشعروا، وينجرون إلى جبهة الباطل، كما حدث لبعض من كانوا في جبهة ابن زياد، ولم يكونوا فسقة ولا فجّاراً، بل كانوا عديمي بصائر.

الدرس الثاني : والدرس الآخر هو هذه النكتة المهمة، وهي أن الإمام الحسين عليه السلام قد حدّد - في وقت حسّاس جداً من تاريخ الإسلام - الوظيفة الرئيسية للقيادة الإسلامية

من بين الوظائف المختلفة والمتفاوتة الأهمية التي تضطلع بها. وأنجزها ببصيرة ثاقبة، ولم يخطيء أو تشبه عليه الأمور في معرفة تشخيص الموقف الذي كان العالم الإسلامي في أمس الحاجة إليه.

لقد كان تشخيص الوظيفة الأساسية - دائماً - أحد نقاط الخلل والضعف في حياة الأمة الإسلامية على امتداد عصورها المختلفة، وإن ذلك الخلل يعني خطأ الأمة وقيادتها ورجالها البارزين في العالم الإسلامي في تشخيص تلك الوظيفة في فترة زمنية محدّدة، أي أنهم كانوا يجهلون واجبه الرئيسي، وأنه يجب تنفيذ المهمة المناطة بهم، حتّى ولو لزم الأمر التضحية بكل شيء، وكذلك كانوا يجهلون وظائفهم الفرعية وما يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية والدرجة. ولذلك ينبغي إعطاء كلّ عمل أهميته التي يستحقّها، والسعي في سبيل تحقيق ذلك العمل وإنجازه.

ومن الثابت أنه في الوقت الذي بدأ الإمام الحسين عليه السلام نهضته، كانت هناك شريحة اجتماعية لو سُئلت عن الثورة وعن مدى تأييدهم لها لكان جوابها النفي وعدم الرغبة فيها، لعلم أفرادها أنّ وراء هذا التحرك متاعب ومشاكل كثيرة، وأنهم يفضلون أن يقوموا بدور ثانوي في المجتمع، كما رأينا أنّ بعضاً من تلك الشريحة قد تخلّى عن دوره ووظيفته الأساسية ولم يقم بالواجب الملقى على عاتقه، فلقد كان من بين الذين تخلّوا عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام ولم ينهضوا معه أناس مؤمنون وملتزمون بالمباديء الإسلامية، فليس من الصحيح أن يُعدّ جميع أولئك النفر ممّن ركنوا إلى الدنيا.

لقد كان بين رؤساء المسلمين ورموزهم في ذلك الوقت أشخاص مؤمنون وآخرون مستعدين للعمل وفقاً للتكليف، لكنهم لم يدركوا تكليفهم الشرعي ووظيفتهم الرئيسية، ولم يشخصوا أوضاع ذلك الزمان، ولم يعرفوا العدو الحقيقي، وكانوا يخلطون بين الوظيفة الرئيسية المحورية والوظائف الثانوية أو التي هي أدنى منها مرتبة. ولقد كان هذا الأمر أحد الابتلاءات العظيمة التي ابتلي بها العالم الإسلامي، ويمكن أن نتلي بها نحن

مِنْ آفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

اليوم. إذ من الممكن أن نخطيء في تشخيص ما هو أهمّ فنعالج أشياء أقلّ أهميّة. والواجب علينا اكتشاف الوظيفة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع.

فيوم كان الصراع قائماً في بلادنا ضدّ الإستعمار والإستبداد وجهاز الطاغوت الكافر، لم يكن البعض يتمكن من تشخيص الوظيفة الأصليّة، وتمسك بأعمال أقلّ أهميّة، كتحمّل مسؤولية إرشاد جمع قليل من الناس، أو إدارة حوزة تبليغيّة صغيرة، أو الإنشغال بتأليف الكتب، وكانوا يعتقدون أنّهم لو خاضوا الصراع واهتمّوا بقضيّته لتعطّلت أعمالهم، فكانوا يتخلّون عن الجهاد على عظمته وأهمّيته من أجل أن لا تتوقّف تلك الأعمال، وهذا يعني الخطأ في تشخيص المسؤولية والواجب الأهمّ من المهمّ.

لقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام في خطبته للجميع أنّ أهمّ وظائف الأُمّة الإسلاميّة في تلك الظروف هو الصراع مع رؤوس القوّة الطاغوتيّة، والإقدام على إنقاذ الناس من سلطتهم الشيطانيّة. وبدهي أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق لخوض واقعة كربلاء قد حرّمه البقاء في المدينة والقيام بتبليغ الأحكام الإلهيّة للأُمّة، وبيان معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام، وتعليم وتربية الأُمّة الإسلاميّة، وبالطبع فقد تعطلّت حوزته العلميّة ولم يتمكن من القيام بدوره الاجتماعي من تقديم العون للأيتام والمساكين والمحتاجين في المدينة. وكلّ تلك كانت وظائف يمارسها الإمام ويؤدّي واجباتها قبل أن يتحرّك إلى العراق، ولكنّه جعلها جميعاً فداءً للوظيفة الأكبر أهميّة، وحتىّ أنّه ضحّى بحجّ بيت الله في سبيل التكليف الأهمّ - كما يتناقل الخطباء والمبلّغون هذه القضية - في الوقت الذي شرعت فيه قوافل الحجّيج بالوفود إلى بيت الله الحرام. فماذا كان التكليف الذي يشعر به الإمام الحسين عليه السلام ؟ لقد كان - كما قال ذلك الإنسان العظيم - هو الصراع مع الجهاز الحاكم الذي هو منشأ الفساد : «أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي». وهذا هو التكليف، أو كما قال في خطبة

أخرى في طريقه إلى العراق : «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسول الله،... فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله». فالتكليف الشرعي هو تغيير سلطان الظلم والجور، والقدرة التي تعيث في الأرض فساداً وتجتر البشرية إلى الهلاك والفناء المادي والمعنوي.

هذه هي نهضة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام التي اعتبرت المصدق الحقيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب الالتفات إلى هذه النقاط الحساسة، فالإمام الحسين عليه السلام نهض على ضوء التكليف الأهم، وضحي بالتكليف الأخرى في سبيله، فقد كان يشخص العمل الواجب في حينه. وبما أن المجتمع الإسلامي يمتلك قوة حركية في كل زمان، فإن له أعداءاً وخصوماً يشكّلون جبهة تهدد الإسلام والمسلمين، وعليه فيجب معرفة العدو، وتحديد الجانب الذي يتعرض منه الإسلام للخطر والتهديد، وفي حالة الإشتباه في تحديد ذلك الجانب ومعرفة العدو الحقيقي فإننا سوف نمنى بخسارة فادحة لا يمكن تعويضها، ولو غفلنا عن ذلك فسوف تضيع الكثير من الفرص المواتية من أيدينا. فنحن مكلفون بخلق حالة قصوى من اليقظة والحذر لتحديد الأعداء ومعرفة التكليف المفروض على الأمة. وفي هذا الوقت، ومع قيام الحكومة الإسلامية وارتفاع راية الإسلام - الأمر الذي ليس له سابقة على امتداد التاريخ الإسلامي بعد الصدر الأول - فإن الإمكانات والقدرات متوفرة للمسلمين، ولا يحق لنا بعد ذلك أن نغفل عن معرفة العدو وأن نخطيء في تشخيص الجهة التي يتحرك منها لضرب الإسلام.

مِنْ أَفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الجهة الثانية - عبر عاشوراء :

فعاشوراء ساحة للعبء إضافة إلى الدروس التي علّمنا إيّاها. وعلى الإنسان المسلم أن يمعن النظر في أبعاد هذه الساحة ليتعظ ويعتبر، فإنّ معنى العبرة أن يقيس الإنسان نفسه بذلك الوضع الذي قام على ساحة الطّف، ليدرك في أيّ وضع يقف، وما الذي يهدّده ؟ وما هي الأشياء التي تلزمه ؟ هذه هي العبرة، فعندما يبصر الإنسان سيّارتين متصادمتين لدئ عبوره الشارع وقد هلك جميع من فيهما وتحطّمتا، فإنّه سوف يتوقّف ليعرف سبب الحادث فيعتبر به، ويدرك أنّ القيادة الضعيفة والسرعة العالية هي التي تؤدّي إلى هذا المصير. وهذا نوع من الدروس له عبرته الخاصّة.

إنّ أبرز وأهمّ عبرة تلفت انتباهنا في قضيّة عاشوراء هي أن نلاحظ إلى أي حدّ وصل الأمر بعد خمسين سنة من وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله، حيث اضطرّ الإمام الحسين عليه السلام إلى التضحية بنفسه في سبيل إنقاذ المجتمع الإسلامي، فتارة تكون التضحية بعد ألف عام من صدر الإسلام، أو تكون في مراكز القوى المعادية للإسلام، وهذا بحث آخر، أمّا أن تكون هذه التضحية في مركز الحكم الإسلامي ومهبط الوحي (مكّة والمدينة) وبشخص الإمام الحسين عليه السلام بحيث لا يجد وسيلة غير التضحية بنفسه تضحية دمويّة عظيمة، فالى أيّ حدّ وصل وضع الإسلام بحيث يشعر الإمام الحسين عليه السلام أنّ حياة الدين مرهونة بتضحّيته، ولآفسوف يفرّط بالإسلام. والعبرة هنا.

علينا أن نلاحظ ما الذي حدث حتّى يصبح شخص كيزيد حاكماً على المجتمع الإسلامي ؟ ذلك المجتمع الذي كان الرسول صلّى الله عليه وآله حاكماً عليه، ويوجّهه بالرايات الإسلاميّة إلى أقصى نقاط جزيرة العرب وحدود الشام، ويهدّدون الإمبراطوريّة الرومانيّة فينهزم الأعداء فارّين أمامهم (كما حدث في تبوك)، كيف أصبح هذا المجتمع الذي كانت تتردّد في آفاه تلاوة القرآن الكريم، ويقرأ

النبي صلى الله عليه وآله آياته الشريفة بصوته الملكوتي وأنفاسه القدسيّة فيعظ الناس ويهديهم إلى الصراط القويم ؟ وكيف ابتعد عن الإسلام إلى الدرجة التي يتأمر عليه شخص كيزيد ! وكيف ولماذا يتهاى ظرف معين يكون الإمام الحسين عليه السلام فيه مضطراً للتضحية العظيمة التي لا نظير لها في التاريخ ؟ وما الذي حصل حتّى وصل المجتمع إلى هذه الحالة ؟ هذه هي العبرة، وهكذا ينبغي أن يدرس الأمر بدقّة.

ونحن نعيش اليوم مجتمعاً إسلامياً، فيجب أن نعرف الآفة التي حلّت بذلك المجتمع الإسلامي ففتكت به وأوكلته إلى يزيد، ما الذي حصل حتّى آل الأمر إلى رفع رؤوس أولاد أمير المؤمنين على الرماح ويطاف بها في الكوفة التي كان الإمام يحكمها قبل عشرين سنة ؟

الكوفة هي نفس تلك المدينة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام يتجوّل في أسواقها، ويحمل سوطه على عاتقه ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وفيها كانت ترتفع أصوات التلاوة آناء الليل وأطراف النهار من مسجدها وبيوتها، هذه هي نفس المدينة التي يطاف الآن ببنات وحرم أمير المؤمنين عليه السلام أسارى في أسواقها. فما الذي حدث حتّى وصل الأمر إلى هذه الحالة بعد عشرين عاماً ؟ إنّ السبب هو وجود مرض خطير في المجتمع له القدرة على إيصال المجتمع إلى هذا الوضع المأساوي، وعلينا أن نكون حذرين من مثل هذا المرض.

والعبرة هي في تشخيص هذا المرض واجتنابه، لأنّه يشكّل خطراً جدّياً يهدّد كيان المجتمع الإسلامي. وإنا معنيّون اليوم بصورة مباشرة ببناء عاشوراء أكثر من غيره من النداءات. يجب أن ندرك أيّ بلاء حلّ بالمجتمع بحيث يطاف برأس الإمام الحسين عليه السلام وهو السبط الثاني في العالم الإسلامي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ابن خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورؤوس أصحابه في نفس المدينة التي كان يتربّع والده على منبر الخلافة فيها، دون أن يتحرّك ساكن أو تثور حميّة، يجب

مِنْ أَفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

أن نفهم كيف جاء أشخاص من الكوفة إلى كربلاء لقتل الحسين وأصحابه عطاشاً،
وليسوا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ١٩

الكلام في هذا المجال كثير، وأكتفي بعرض آية واحدة من آيات القرآن الكريم، وهي
الجواب الشافي لكل تلك التساؤلات المطروحة، فلقد أعطى القرآن الكريم الجواب
وحدده للمسلمين في آيتين خطرتين، والآية هي قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَٰعِثِهِمْ خَلَفٌ
أُضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾^١.

إذن فإنَّ عامل الضلالة والانحراف العام هو الإبتعاد عن ذكر الله الذي يتجلَّى في
الصلاة والعبادة، والذي يعني الغفلة عن الله تعالى، وفصل الحياة عن المقاييس المعنوية،
 وإهمال التوجُّه إلى الله تعالى وترك الذكر والدعاء والتوسُّل وطلب التوفيق منه، والتوكُّل
عليه، وكذلك فصل الحسابات الإلهية عن الحياة.

والعامل الآخر هو اتِّباع الشهوات والملذَّات، وبعبارة أخرى، السعي في طلب الدنيا
والإشتغال بجمع المال والثروة، والوقوع فريسة للمطامع الدنيوية، واعتبارها أساساً
ومبدأً، ونسيان الأهداف الحقيقية.

وهذا هو المرض الرئيسي والخطير الذي يمكن أن يُبتلى به مجتمعنا، فيما لو ابتعدنا
عن المباديء والقيم الإسلامية، وأصبحنا وكلُّ همِّنا طلب حطام الدنيا والتفكير في
زخارفها والحصول على غنائمها الزائلة، وكانت مصالحنا فوق مصلحة المجتمع. فمن
البدهي حينئذ أن يصل بنا الحال إلى نفس تلك النتيجة وإلى ذلك الوضع المأساوي.
إنَّ سرَّ بقاء النظام الإسلامي وحيويته واستمراره هو الإيمان والهمم العالية والإهتمام
بالمباديء وإحيائها. ومعلوم أنَّ توهين الأهداف، واللامبالاة في أصول الإسلام والتعامل
مع قيمه وتعاليمه بعقلية مادية سوف يقود المجتمع إلى تلك الحالة السيئة. ولهذا السبب
ابتلي بها أولئك الناس.

لقد كان المسلمون في صدر الإسلام يهتمون بنشر الإسلام ويسعون لنيل رضا الله سبحانه، ويجتهدون في تعلّم معارف القرآن ويأمنون بتلاوة آياته وتدبرها، وكان الجهاز الحكومي والإداري للبلاد الإسلامية يتمتع بالزهد في الدنيا وبالتقوى، ولا يعير أهمية لزخارف الدنيا وشهوات النفس، فكانت نتيجة تلك المواقف هي الحركة العظيمة التي ربطت بين الناس وربّهم، ووجهتهم إلى الله تعالى.

وفي تلك الظروف يبرز رجال مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام كخليفة للمسلمين ومثل الحسين بن عليّ عليهما السلام كشخصية قيادية مرموقة، والسبب في ذلك هو تجسّد تلك القيم والمعايير فيهم أكثر من غيرهم، وعندما يكون المعيار هو تقوى الله سبحانه والإعراض عن الدنيا والجهاد في سبيل الله، فإنّ الذي يبرز في الساحة هم أولئك الأشخاص الذين يمتلكون هذه المعايير، والذين يأخذون بزمام الأمور ومقاليدها ليجمعوا المجتمع مجتمعاً إسلامياً.

وعندما تتبدّل المعايير الإلهية فسوف تنقلب الحالة ويستلم الأمور من هم أحرص على الدنيا وأشدّ تعلقاً بها واتباعاً للشهوات واندفاعاً وراء الملذّات، وأبعد عن الصدق والحقيقة، وعندئذ تكون النتيجة تسلق أمثال عمر بن سعد وشمر وعبيد الله بن زياد إلى الحكم، وذهاب أمثال الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام إلى ساحة التضحية والفداء ليستشهد مذبحاً في كربلاء. وهذا أمر منطقيّ وبدهي.

والحريصون على الإسلام وسلامة المجتمع لا ينبغي لهم أن يسمحوا بتبدّل المعايير، فلو أبدل معيار التقوى فمما لا شكّ فيه أن يراق دم إنسان تقى كالإمام الحسين عليه السلام، ولو اعتبر الدّهاء والإنغماس في الشؤون الدنيوية والدّجل والإيقاع بالآخرين وعدم الإهتمام بالقيم الإسلامية ملاكاً ومقياساً للأفضلية فإنّ شخصاً كيزيد لا بدّ وأن يكون على رأس السلطة، ولا بدّ أن يصبح عبيد الله بن زياد الرجل الأوّل في العراق يومذاك.

مِنْ أَفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الثورة الإسلامية تعني إحياء الإسلام من جديد :

منذ قرون متמادية كانت المعنويات تتجه نحو الضعف والأفول، فلقد سعى المستكبرون لمحو المعنويات، ونسج أصحاب القدرة والنفوذ وعبداء المال والجاه نظاماً مادياً تترأسه قوة عظيمة كأمريكا التي هي الأكثر دجلاً ومكرًا، والأقل رعاية للفضائل ورحمة بالبشرية. وهذا هو حال الدنيا على امتداد تاريخها، ولا يختص الأمر بأيامنا هذه فقط.

والثورة الإسلامية تعني إحياء المعنويات وبعث الإسلام من جديد ورفع شعار ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾^١. والثورة إنما جاءت لتحطيم سلم المراتب الاجتماعية الخاطيء، وإقامة سلم اجتماعي جديد، إذ لو كان الترتيب العلمي ترتيباً مادياً فلا ريب في تسلق أفراد فاسدين وأتباع شهوات ضالين وأشقياء مثل محمد رضا بهلوي إلى رأس السلطة. وحينئذ ينبغي أن يكون - نتيجة لذلك - أناس فضلاء مثل الإمام الخميني قدس سره داخل السجون أو منفين خارج البلاد، إذ ليس لأمثال هؤلاء مكان في مجتمع يسوده ذلك الوضع المأساوي. وعندما تسود القوة الغاشمة والفساد والكذب والرذيلة، فإن إنساناً صادقاً وعارفاً ومتوجهاً إلى الله إما أن يكون في السجون أو على أعواد المشاق والمقاصل!

وعلى العكس من ذلك تماماً، فعندما يتزعم شخص كالإمام الخميني قدس سره، فذلك يعني قلب الأوراق، وانزواء أتباع الشهوات ومحبي الدنيا والمتعلقين بها وأرباب الفساد والمطامع، وعودة التقوى والزهد والصفاء والجهاد والإخلاص والرحمة والمروءة والأخوة والإيثار والصفح والتسامح إلى المجتمع، وتسود جميع تلك الخصال الحميدة تحت ظل حاكم عادل تقي كالإمام قدس سره. وفي المحافظة على هذه القيم يبقى حكم الإمامة قائماً، وعندها لن يدفع بأمثال الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى

(١) سورة الحجرات : ١٣.

المذبحة. ويجب علينا أن لا نسمح بوقوع أمر كهذا، وأن نواجه الانحراف الذي يمكن أن يفرضه أعداؤنا علينا، وهذه هي العبرة التي نستفيد منها من دروس عاشوراء.

قَالَ الْأَمَامُ الْمُتَّقِيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ :

إِنِّي لَمْ أَضْمَعْ أُبْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا
وَأَبْنَاءَ خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْأَصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدَّتْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْعُرْفِ
وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسَبِيلِ جَدَّتِي وَأَبِي .

الحرارنجمي - مقتل الحسين (ع) ١ : ٨٨

دَوْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ

(٤)

سَمِعْتُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: وَلَهُنَّ

لقد اهتم الأئمة عليهم السلام ببناء المؤسسات الثقافية والعلمية، والتشجيع على إيجادها وتأسيسها وتنشيطها، سواء المؤسسات الثقافية التي كانت معروفة ومتداولة بين المسلمين، مثل المسجد الذي يعتبر أول مؤسسة ثقافية عبادية عرفها المسلمون في مجتمعاتهم، أو المؤسسات الثقافية التي لم تكن معروفة بين المسلمين مثل المجالس الخاصة التي أسسها أهل البيت لتداول ثقافتهم، والمعلومات الخاصة بالجماعة المؤمنة التي كانوا يعملون على بنائها، هذه المجالس التي تحولت فيما بعد إلى ما يعرف الآن بـ «المجالس الحسينية».

ويمكن أن نشير في هذا المجال إلى مؤسسات عرفها أتباع أهل البيت، وكان لها تأثير كبير في الجانب الثقافي لحياتهم الإنسانية :

أ- الحوزات العلمية: لقد كان للمسلمين منذ اليوم الأول لحياتهم حلقات يتداولون فيها علومهم المختلفة، وقد تحولت هذه الحلقات إلى مدارس في التاريخ الإسلامي فكانت مدرسة الكوفة، والمدينة، والبصرة، ومكة، والقاهرة، والأندلس، وغيرها. وتسمى هذه المدارس في عرف أتباع أهل البيت عليهم السلام «بالحوزات العلمية».

(٥) يمكن أن تخصص دراسة كاملة وواسعة لكل واحدة من هذه المؤسسات. ولكن نشير هنا إلى بعض المعالم الأساسية على سبيل الاختصار.

وانسياقاً مع هذا النهج العام المعروف بين المسلمين، اهتم أهل البيت بتأسيس المدارس ليس على الصعيد العام الإسلامي فحسب، حيث كان لهم دور متميز في تنشيط المدارس والعلوم الإسلامية في جميع حواضر العالم الإسلامي. حيث أصبح ذلك واضحاً في زمان الصادقين «الامام الباقر والصادق عليهما السلام». وكان لهم تأثير كبير في الثقافة والمعرفة في جميع أنحاء مجتمع المسلمين، وقد تتلمذ على أيديهم كبار علماء الإسلام كما أشرنا إلى ذلك في العدد السابق.

بل كان لهم دور متميز في تأسيس المدارس الخاصة بأتباعهم وشيعتهم، ضمن نهج خاص وضعوه لبناء هذه الجماعة الصالحة، إيماناً منهم بأهمية الثقافة، وينبع ذلك إيماناً منهم بأهمية دور المؤسسة الثقافية في ترسيخ دعائم الثقافة.

وكانت مدرسة الكوفة من المدارس المتميزة في حياتهم باعتبار أن التشيع دخل العراق مع النخبة الاولى من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وفي أول الفتح الاسلامي، أمثال سلمان الفارسي أول والٍ للخلافة الإسلامية في المدائن ثم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وغيرهم. ثم مدرسة قم التي تفرعت عن مدرسة الكوفة، وتأثرت بها مدارس أخرى في الشرق الإسلامي في خراسان واصفهان وافغانستان وجبل عامل....

وتطورت مدرسة الكوفة بعد ذلك - التي كانت تضم في بعض أدوارها الاولى أيام الامام الصادق عليه السلام حوالي أربعة آلاف محدث كل يقول حدّثني جعفر بن محمد الصادق - لتمتد إلى بغداد في عصر الامام الحسن العسكري عليه السلام والنواب الأربعة في الغيبة الصغرى حتى تطورت في عهد الشيخ المفيد والمرتضى والشيخ الطوسي، وتحولت إلى النجف الأشرف من عهد الشيخ الطوسي، ثم إلى الحلة وكربلاء، وتستقر بعد ذلك بشكل أساسي في النجف في القرنين الأخيرين.

وبقيت مدرسة قم تتأرجح في أدوارها وتتوسع أو تضمر حتى أصبحت في العصر

الحديث ثاني مدرستين مهمتين في العالم الشيعي أجمع، هما النجف الأشرف، وقم^١. وقد اهتم الأئمة الأطهار عليهم السلام بتأسيس هذه المدارس من خلال حثهم لأتباعهم على التصدي إلى التدريس والفتيا وعقد المجالس والحلقات الخاصة بذلك. وقد تم وضع نظام قوي ومتين لهذه المدارس من أجل أن تحقق مجموعة من الأهداف العلمية والتربوية والروحية. فضلاً عن مساهمتها في المجالات الأخرى الاجتماعية والسياسية والتنظيمية على ما سوف نشير إليه.

ومن جملة أهدافها المهمة إدامة زخم حركة «الإجتهااد» حيث كان أهم منظور لمجمل النظام الدراسي الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام - والذي بقي ثابتاً لفترة طويلة حتى برزت الحاجة في العصر الحديث لإدخال بعض التغييرات عليه - هو تخريج المجتهدين من هذه المدارس، ولذلك نراها تزخر بعدد كبير من المجتهدين في كل عصر، بل في كل جيل وطبقة. وتتمايز بينها في هذا الجانب وفي عمق الدراسات الفقهية والأصولية التي تشتمل عليها.

وبالرغم من أن هذا الاهتمام المتزايد في تحقيق هذا الهدف كانت له آثار سلبية كبيرة على إنتاج هذه المدارس، وقدرتها على تحقيق بقية أهدافها، حيث يلاحظ أحياناً وجود فراغات واسعة ومتنامية في العلوم الإسلامية الأخرى كالتفسير والكلام والفلسفة والتاريخ والأدب... بسبب عدم وقوعها بشكلها الكامل في سلسلة نظام مدرسة الإجتهااد^٢. إلا أنها تمكنت من أن تحقق قفزة كبيرة في مجال فتح باب الاجتهد والمحافظة على إدامة تخريج المجتهدين حتى في أشد الظروف الحالكة التي مرّ بها

(١) الحديث عن تأريخ هذه المدارس حديث واسع قد نوفق لدراسته في القسم الثاني الذي يتناول الجانب التطبيقي.

(٢) لقد كانت هناك محاولات لتصحيح مسار نظام الدراسة وملء الفراغات العلمية في هذه المدارس في عهد مرجعية الإمام الحكيم في النجف ومرجعية الإمام البروجردي في قم. وأخذت تنطور هذه المحاولات حتى انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، فظهرت حركة إصلاحية كبيرة واسعة بدأت تعطي ثمارها هذه الأيام.

العالم الإسلامي.

وتمكنت أيضاً أن تصمد أمام محاولات التحريف والمسخ التي واجهتها المدارس الأخرى في العالم الإسلامي كما حصل «للأزهر» و«الزيتونة» ومدارس شبه القارة الهندية. فضلاً عما تعرضت له مدارس مكة والمدينة وبغداد وغيرها.

كما أن من جملة أهداف هذه المدارس الأخرى تخريج الخطباء والمبلغين والمعتمدين من العلماء في البلاد الأخرى والمدرسين للحوزات العلمية.

وفي هذا المجال واجهت هذه المدارس مشكلة كبيرة هي عدم وجود المنهج المناسب القادر على تحقيق الأهداف الأخرى، بشكل مباشر، وبوتيرة زمنية كفيلة بالاستجابة لمتطلبات الحاجات والمراحل المختلفة كما أشرنا إليه في الهدف الأول. ولكن تمكنت هذه المدارس أن تتغلب على هذه المشكلة ولو جزئياً عن طريق تصعيد الكفاءة العلمية الذاتية، بحيث تجعل الطالب قادراً على تحصيل الإمكانيات العلمية والقدرات الفنية بجهد الشخصي.

وقد ساعد على ذلك النظام الذي يتسم بحرية الفكر أولاً، واختيار الدروس والاستاذ ثانياً، والتحكم في الأوقات ثالثاً، والنظام المالي رابعاً، وخامساً العلاقات الاجتماعية الطبيعية التي تفرض على الطالب الاستجابة إلى هذه المتطلبات لسد حاجاته المتنامية من ناحية، والوفاء بتعهداته وعلاقاته الاجتماعية تجاه مواطنيه الأصليين من ناحية أخرى.

وكذلك عن طريق تصعيد الشعور بالمسؤولية الشرعية، والدرجة العالية من التقوى والزهد والتربية الروحية والنفسية، التي تجعل الطالب يندفع ذاتياً لملء هذه الفراغات. ومن جملة أهدافها المحافظة على التراث الإسلامي، وخصوصاً تراث أهل البيت وثقافتهم، ومد الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية والتأريخ وغيرها من الأبحاث ذات العلاقة بالعلوم الإسلامية، بالفكر الجديد الأصيل الصافي، الذي يعتمد على المصادر

الإسلامية النقية من ناحية، ويواجه التيارات الفكرية الأخرى من ناحية ثانية. ولذا نجد في هذه المدارس استمرار البحوث العميقة والمشاريع الثقافية الواسعة التي يكون هدفها المحافظة على هذا التراث، مثل أبحاث علم الرجال، والموسوعات الإسلامية، سواء على مستوى الحديث، أو البحث الفقهي.

ولذلك كانت هذه المدارس قادرة على إنتاج المجددين الكبار في التاريخ الإسلامي وعلى شتى الأصعدة. أمثال ابن سينا، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وأخيه السيد الرضي، والشيخ الطوسي، والعلامة الحلي، والشيخ الطبرسي، والشيخ البهائي، والسيد الداماد، والملا صدرا، والشهيدين الأول والثاني، والمجلسيين الأول والثاني، والفيض الكاشاني، والمحقق الكركي، والوحيد البهائي. وفي العصر الحديث: جمال الدين الافغاني، والشيخ المامقاني، والسيد البروجردي، والعلامة كاشف الغطاء، والعلامة شرف الدين، والعلامة السيد محسن الامين، والعلامة الشيخ البلاغي، والامام الحكيم، والعلامة الطباطبائي، والامام الخميني، والشهيد المطهري، والشهيد الصدر، والسيد الخوئي، وغيرهم ممن كان له دور مهم ليس على مستوى العالم الشيعي فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي أجمع. حيث أغنوا المدارس العلمية بالنظريات الجديدة، والموسوعات العلمية والدراسات الفقهية، والقرآنية والإسلامية العامة والتأريخية والمقائدية.

ب - المسجد والحسينية: لقد كان المسجد منذ الصدر الأول للإسلام مؤسسة ثقافية بالإضافة إلى الأبعاد الدينية والإدارية لهذه المؤسسة. فقد كانت الخطب والدروس والمحاضرات تُلقي في المساجد على الناس، وكان الناس ولا زالوا يترددون على المساجد من أجل أن يرتادوا منهل الثقافة الإسلامية.

وقد جرى اتباع أهل البيت على هذا المنوال انسجاماً مع الطرح الإسلامي لدور المسجد الذي يربط الثقافة بالالتزامات الدينية، وينطلق فيها من العقيدة والإيمان

بالحلّ تعالى. ويمنحها القدسية فتصبح واجباً من الواجبات الشرعية «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وهم يتأسون في ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه الكرام وفي مقدمتهم سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام الذي حوّل المسجد طيلة خلافته إلى مؤسسة إسلامية متكاملة، وأصبحت الثقافة أحد معالمها الأساسية.

إلا أن أتباع أهل البيت عليهم السلام كانوا يواجهون مشكلة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وهي مشكلة العدوان والمطاردة لهم ولثقافتهم وأفكارهم وعقائدهم من قبل الطغاة والظالمين، كما كان يتعرض أئمتهم إلى ذلك أيضاً.

ومن هنا لم يكونوا يجدون الفرصة دائماً للاستفادة من المسجد باعتباره مؤسسة تخضع عادة لإدارة السلطان ونظامه. فكانوا يضطرون أحياناً إلى اختيار أماكن أخرى بعيدة عن عيون الطغاة وأعوانهم، من أجل أن يتعلموا ويعلموا الآخرين، ويتدارسوا ويتحدثوا في مختلف الشؤون الحياتية والثقافية.

ولكنهم لم يكونوا ليتخلوا عن المسجد والارتباط به حتى في أشد الظروف قسوة. لأن المسجد بالنسبة إليهم لم يكن مجرد مكان للدرس والمعرفة، بل كان قبل ذلك شعيرة من شعائر الإسلام ومحلاً للعبادة والدعاء والمناجاة لله تعالى.

ولذلك كانوا كلما وجدوا الفرصة مواتية لأن يكون المسجد منطلقاً للعمل الثقافي توجهوا إلى ذلك. وقد عرفنا أن مسجد الكوفة كان مركزاً مهماً لمدرسة أهل البيت طيلة عهود من الزمن.

وكذلك كانت المساجد في المناطق التي يجد فيها أتباع أهل البيت شيئاً من الحرية والأمن مراكز للثقافة الإسلامية لا يستبدلون بها شيئاً آخر، كما في إيران والعراق واليمن ولبنان وغيرها، كما أنهم اهتموا ببناء المساجد وتشييدها والاعتناء بها، كما تشهد بذلك جميع حواضر البلدان التي يسكنها أتباع أهل البيت.

وأما في المناطق التي لم يكونوا يجدوا فيها الحرية والأمن، فقد كانوا يتخذون أماكن أخرى للمحافظة على ثقافتهم وعقائدهم وتأريخهم، فنشأت بذلك فكرة تأسيس ما يسمى الآن بالحسينيات^١. حيث كانت البداية تنطلق من فكرة اتخاذ مركز يتحدثون فيه بحرية وأمان، وكان أكثر ما يجري فيه الحديث هو حديث الحسين عليه السلام ومظلوميته، فتطورت هذه الفكرة حتى أصبح أتباع أهل البيت عليهم السلام يؤسسون «الحسينيات» وينونها ويتخذونها مراكز ثقافية واجتماعية.

ويجعلون أحياناً قسماً من البناء مسجداً حرصاً على البعد الديني والشعائري للمسجد، وقسماً من البناء حسينية تمجيداً لذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام من ناحية، وتنزيهاً للمسجد مما يمكن أن تتعرض له هذه الأماكن من محضورات شرعية، خصوصاً وإن عامة فقهاء مذهب أهل البيت يعتقدون بوجوب تنزيه المساجد من النجاسات والأقذار وحرمة استقرار الحائض والجنب في المساجد. وهذه الأحكام لا تجري بطبيعة الحال على الحسينيات، كما أنه يكره القيام ببعض الأعمال في المساجد مما لا يسري إلى الحسينيات.

وبذلك تحولت الحسينية إلى مؤسسة ثقافية أخرى اعتمد عليها أتباع أهل البيت عليهم السلام لنشر الثقافة الإسلامية، وأصبحت منطلقاً لمشروع مؤسسة ثقافية ثالثة اختص بها أهل البيت وهي المجالس الحسينية. ولكن مؤسسة الحسينية إنما هي في الحقيقة امتداد لمؤسسة المسجد الإسلامية.

ج - الشعائر الحسينية : لقد كانت إحدى المؤسسات الهامة التي أسسها أهل البيت للعمل الثقافي، والتي اختص بها أتباعهم ومحبوهم هي مؤسسة «الشعائر الحسينية» كالمجالس الحسينية، و«الزيارات» وغيرها مما سوف نشير إليه في هذا الحديث.

(١) نسبة المكان إلى الإمام الحسين عليه السلام باعتباره محلاً لذكر مصيبته والحديث عن نهضته وأبعاده الروحية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والمقاتلية.

ولما كانت الشعائر الحسينية ذات أهداف متعددة الجوانب، وكان الهدف الثقافي أحد الأهداف الأساسية والمهمة، بالإضافة إلى الأهداف الأخرى، لذا رأينا أن نفرّد للشعائر الحسينية حديثاً فيه شيء من الشمول في هذا الباب، وسوف نحاول أن نحيل عليه في الموارد الأخرى إكمالاً للفائدة. فإن الشعائر الحسينية - في الحقيقة - هي أحد الخطوط الهامة التي اعتمدها أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة بشكل عام، كما إنها كانت القاعدة الهامة التي يركز عليها تحركهم في الأمة لأنها تستلهم من ثورة الحسين عليه السلام وتمجدها وتؤكد أهدافها، وهي أهداف ذات جوانب متعددة سياسية وثقافية وعقائدية.

وقد وضع الأئمة عليهم السلام التصميم العام لهذه الشعائر، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لا بد لها أن تؤديه. بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة وأتباع أهل البيت، ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية.

ولا شك أن نهضة الحسين عليه السلام كان لها تأثير بالغ وكبير في حركة التاريخ الإسلامي وحياة المسلمين بشكل عام، بحيث أدت تفاعلاتها الواقعية في حركة الأمة إلى حفظ الاسلام والامة الاسلامية من كثير من مخاطر الانحراف. ولكن الشعائر الحسينية كان لها دور آخر مكمل لدور الثورة نفسها ويكاد يختص هذا الدور بالكتلة الصالحة وبنائها، وإن كان له بعض التأثير في أوساط المسلمين عامة.

ومن الناحية الواقعية يمكن تقسيم الشعائر الحسينية بحسب الشكل والمضمون إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الشعائر الحسينية المنصوصة، وهي الشعائر التي تتصف بالثبات بحسب الأداء وهي :

أ - شعار البكاء، الذي وردت الأحاديث الكثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في

بيان أهميته والآثار المترتبة عليه، لما فيه من التعبير عن التفاعل العاطفي والروحي مع مأساة الامام الحسين عليه السلام وكذلك وردت النصوص عن ممارسة أئمة أهل البيت للبقاء على الحسين عليه السلام، وقد وضع أسس هذا الشعار ومارسه بشكل واسع الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

فقد روى ابن قولويه في «كامل الزيارات» أن مولى للامام علي بن الحسين عليه السلام اشرف عليه وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن يتقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك! - والله لقد شكنا يعقوب إلى ربه في أقل ما رأيت حين قال ﴿يا أسفى على يوسف﴾ وأنه فقد ابناً واحداً، وإني رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي.

وروى أيضاً عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «بكى علي بن الحسين على الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين عشرين سنة - أو أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعام إلا بكى على الحسين عليه السلام حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! فقرأ: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾. إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة».

ولا يمكن أن نحمل هذه الممارسة الواسعة والممتدة للامام زين العابدين عليه السلام على أنها مجرد انفعال عاطفي بالمشاهد التي عاشها أيام محرم الحرام، بحيث لم يكن قادراً على ضبط أحاسيسه وعواطفه طيلة هذه الفترة من الزمن. وإنما يُنبئ هذا -بالإضافة إلى ذلك - عن تصميم وتخطيط محكم كان يمارسه الامام زين العابدين عليه السلام يعتمد على الحقيقة المأساوية التي عاشها سلام الله عليه، ويؤكد عمقها وهولها لتبقى قضية تعيشها الأمة الاسلامية، وتحرك على أساسها الكتلة الصالحة.

وقد أعطى أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الامام زين العابدين عمقاً آخر لهذا الشعار

عندما طرحوه مصداقاً ثالثاً من مصاديق تعظيم شعائر الله، واسلوباً للتعبير عن استنكار الظلم، والتفاعل الذاتي مع قضية كربلاء وأهدافها، ومنهجاً لتزكية النفس وتهذيبها، بحيث تحول إلى عبادة يمارسها الإنسان بطريقة فردية أو جماعية.

فقد ورد التأكيد عن أهل البيت على أهمية البكاء أو التباكي على الحسين عليه السلام والثواب المترتب عليه، بحيث أصبح مصداقاً آخر من مصاديق البكاء المحبوب لله تعالى، يشبه البكاء من خشيته سبحانه وتعالى.

فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لفضيل: تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أحبها فأحبوا أمرنا يا فضيل! فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر^١.

وعن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته فقال: لا، كما تنشدون وكما تراثيه عند قبره، فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فسقل لأعظمه الزكية
قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ، فمررت: قال: ثم قال: زدني. قال: فأنشدته:
يا مريم نوحى على مولاك وعلى الحسين فأسعدى بيكاك
قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلما أن سكتن قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة. ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة^٢.
ويفسر لنا هذه الأهمية في البكاء إذا لاحظنا الآثار المترتبة عليه التالية:

أولاً: إن البكاء له بعد سياسي لأنه طريقة فضلى إنسانية واجتماعية - سليمة وهادئة - لاستنكار الظلم والتعبير عن عمق المأساة والمظلومية التي تعرض لها الامام

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٧.

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢.

الحسين عليه السلام وأهدافه النبيلة.

وتظهر أهمية هذا الأسلوب في هذا البعد السياسي في ظروف المحنة والقمع والارهاب، وعندما تعجز بقية الأساليب عن التعبير عن ذلك. وقد كان شيعة أهل البيت يعيشون في مختلف الأدوار ظروفًا صعبة وقاسية، فيصبح هذا الأسلوب أفضل أسلوب للتعبير عن موقفهم السياسي وبقائهم مشدودين إلى هذا الموقف.

بهذا يمكن أن نفهم بشكل واضح اهتمام الامام زين العابدين بهذا الأسلوب بالذات، بالإضافة إلى الواقع النفسي الذي كان يعيشه بسبب حضوره في كربلاء. وهذا يؤكد حقيقة مهمة في تخطيط أهل البيت عليهم السلام تجاه القضية السياسية، وهي أن الانسان المؤمن لا بد له أن يقرن إيمانه السياسي بالقضية بموقف عملي مهما كانت الظروف، ولو كان هذا الموقف العملي هو أضعف الإيمان.

ثانياً: إن البكاء يجسد في نفس الوقت تفاعلاً ذاتياً مع مأساة كربلاء، ولكن بالحد الأدنى من التفاعل. ويشد عواطف الانسان المسلم بالقضية وأهدافها ورجالها، ويبعده وينفّره طبيعياً عن أعدائها وأخلاقهم ومقاصدهم.

وهذا البعد الأخلاقي في البكاء كان أحد الأسباب الطبيعية التي تمكن أهل البيت من خلالها أن يحفظوا في الكتلة الصالحة أخلاقية الاصطفاف إلى جانب الحق والمواجهة مع الظلم بالرغم من الضغوط التي كانوا يواجهونها سواء على المستوى الاجتماعي أو الفردي، وسواء على المستوى الخارجي كالضغوط التي يمارسها الطغاة ضدهم، أو على المستوى الداخلي كضغوط الشهوات والرغبات.

ثالثاً: إن البكاء يمثل منهجاً في تزكية النفس وتطهيرها من الأدران، ويرفع درجة الاحساس في الانسان بالآلام الانسانية، والانحرافات الاجتماعية، والوعي لقضايا الظلم والعدل. ذلك لأنه يؤثر في رقة القلب ويقلّص الضمير ووعي الوجدان. وقضية قسوة

القلب ورقته وخشوعه من أهم القضايا التي تؤثر في مسيرة الانسان الذاتية. ولذا عالجهها القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وانتقد بشدة قسوة القلب، كما كان يمجّد رقة القلب وخشوعه. ومن الآيات الواردة في ذم قسوة القلب ومدح رقته، قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾^١. وقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾^٢. وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾^٣. وقال متحدثاً عن اليهود: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾^٤. وقال: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾^٥. وقال: ﴿ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾^٦.

وقضية وهن القلب والطبع والختم على القلب التي يتحدث عنها القرآن الكريم، إنما تنطلق من قسوة القلب. وفي مقابل ذلك طهارة القلب وخشوعه ووجله ولينه واطمئنانه. ولا شك أن البكاء يمثل أفضل وسيلة لغسل درن القلب، وتهيئة الأرضية الصالحة فيه للتفاعل والتأثر. ومن هنا جاء الحث الشديد من الشارع المقدس على البكاء من خشية الله تعالى، وأصبحت العين الباكية من خشية الله في صف العين التي تكف عن محارم الله أو تسهر في سبيل الله كما ورد في الحديث^٧.

ب - شعار الزيارة : زياره الامام الحسين عليه السلام التي كانت في الأساس الحضور إلى جانب قبر الامام الحسين عليه السلام ثم أخذت بعداً أوسع في تعظيم أهل البيت حيث أصبحت مطلوبة في مختلف الأوقات ولو كانت من مكان بعيد. وأصبحت بعد ذلك منطلقاً لزيارة مشاهد قبور الأئمة الأطهار جميعاً والصالحين من أولادهم وأتباعهم.

ولعل أول من قام بزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام هو الامام زين العابدين في يوم الأربعاء من شهادته على ما تذكر بعض النصوص، وذلك عند رجوعه من الشام في

(٢) سورة الحديد، الآية : ١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية : ٨٨.

(٦) سورة الزمر، الآية : ٢٣.

(١) سورة البقرة، الآية : ٧٤.

(٣) سورة محمد، الآية : ٢٤.

(٥) سورة الزمر، الآية : ٢٢.

(٧) راجع بحار الأنوار ٩٣ : ٣٢٩.

طريقه إلى المدينة المنورة.

ثم ندب أئمة أهل البيت بعد ذلك إلى زيارة قبر الحسين، ونصت بعض الروايات على أنها فريضة على من يؤمن بإمامته من شيعة أهل البيت. كما تحدثت النصوص الصحيحة التي وردت عن أئمة أهل البيت عن الثواب والأجر العظيم الذي يترتب على هذا العمل العبادي الشريف وفضيلته على العمرة والحج المندوبين، فقد جاء عن محمد بن اسماعيل بن يزيد عن صالح بن عفيفة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : من زار الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء من المحرم حتى يظلّ عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي عمرة وحجة وألفي غزوة ثواب كل غزوة وحجة وعمرة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين. قال : قلت : جعلت فداك فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم ؟ قال : إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأوماً إليه بالسلام، وجهد بالدعاء على قاتله، وصلى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعز بعضهم بعضاً بمصائبهم بالحسين عليه السلام وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك. قلت : جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم ؟ قال : أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك^١.

والبحث في المداليل السياسيّة والأخلاقيّة والاجتماعية والروحية لهذا الشعار العظيم يحتاج إلى حديث طويل خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار الجانب التاريخي وردود الفعل من السلطة الغاشمة تجاه هذا الشعار في مختلف الادوار. ولكن نشير هنا بشكل إجمالي إلى عدة نقاط أساسية :

(١) مصباح المنهجد : ٧٧٢، الطبعة الحديثة.

الاولى : إن هذا الشعار يعبر عن مجموعة الأبعاد التي تعبر عنها شعائر الحج في النظرية الاسلامية، ولكن في إطار تربية الكتلة الصالحة والخط الأصيل المتمثل باتباع أهل البيت عليهم السلام سواء على مستوى الولاء لهذا المحور الاسلامي والتلبية لندائه «ليكن داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا»^١. أو على المستوى الثقافي لهذه الشعائر أو السياسي وحتى الاقتصادي لها.

الثانية : ربط حركة الكتلة والخط الاسلامي الأصيل بهذا المحور الاسلامي، فإن أئمة أهل البيت - باعتبار اختلاف ظروفهم وبالتالي مواقفهم السياسية المرحلية - كانوا دائماً بحاجة إلى أن يؤكدوا خطأ ثابتاً في مسيرتهم وهو خط الرفض للطغيان والظلم الذي أعلنه الامام الحسين عليه السلام وتحدث عنه في أول خطبة ألقاها على أهل الكوفة.

أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رأى سوطاً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالانتم والعدوان، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وإنى أحق بهذا الأمر^٢.

وقد اهتم أئمة أهل البيت بترسيخ هذا الخط الثابت في موقفهم بشكل واضح لا لبس فيه من خلال التركيز على محور زيارة الحسين عليه السلام وتجديد البيعة له وتلبية نداءه. الثالثة : التعبير عن الالتزام بالمفاهيم العقائدية والأخلاقية والسياسية التي تضمنتها نصوص الزيارات التي وردت للحسين عليه السلام في الأيام المخصصة المختلفة، حيث كانت الزيارة تكريساً لموسم خاص للتعبير عن هذا الالتزام تجاه هذه المفاهيم ذات

(١) زيارة الامام الحسين عليه السلام في النصف من رجب وشعبان.

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٤٨.

الابعاد المتعددة، الأمر الذي أوجد خطأ ثقافياً واعياً وثابتاً في وسط هذه الكتلة الصالحة. الرابعة : التعبير السياسي والاجتماعي عن وجود الكتلة الصالحة من ناحية، وفتح الابواب أمام بقية المسلمين للالتحاق بحركة هذه الكتلة من ناحية أخرى. وذلك من خلال الارتباط بحركة الامام الحسين عليه السلام التي أصبحت حركة معترفاً بها من جميع أوساط المسلمين بشكل عام.

ولعل هذه الحقيقة تفسّر ظاهرتين بارزتين في قضية الزيارة :

إحدهما : الممارسات القمعية العدوانية التي كانت ترتكبها السلطات الجائرة والطفة المجرمون بحق أبناء المسلمين الذين كانوا يتوافدون على زيارة المرقد الشريف للإمام الحسين عليه السلام، حيث يتعرض هؤلاء الزوّار الى القتل أو فرض الأتاوات أو التكيل بقطع الأيدي والمطاردة في بعض الأدوار، كما حصل في زمن المتوكل العباسي. أو يتعرض القبر الى الهدم المتعمد، كما حصل في زمن المتوكل، والوهابيين عند غزوهم العراق في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، أو حكومة العفالة^١ في العراق في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري.

ثانيهما : تأكيد أئمة أهل البيت عليهم السلام على شيعتهم بضرورة ممارسة هذا الشعار بالرغم من المخاطر التي كانت تحفّ الزائرين، وبالرغم من نهج التقيّة وحرص الأئمة عليهم السلام على المحافظة على شيعتهم وتجنّيبهم مختلف المخاطر والآلام.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : مروا شيعتنا بزيارته قبر الحسين بن علي عليهما السلام فإن آتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالامامة من الله عز وجل^٢.

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : لو أن أحدكم حجّ دهره ثمّ لم يزر الحسين بن

(١) العفالة نسبة إلى ميشيل عفلق الصليبي الذي أسس حزب البعث وحكم العراق أواخر العقد التاسع من القرن الرابع عشر وحتى العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري.

(٢) كتاب المزار، للشيخ المفيد : ٣٧ - ٣٨.

علي عليهما السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وآله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله عز وجل واجبة على كل مسلم^١.

«يتبع»

قال أمير المؤمنين الأنعام عليه السلام :

أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ
وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ صَمَلَةَ
الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، مَعَ
أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ .

التبليغ : أحاديث : ٤١ - ٤٢

(١) كتاب المزار، للشيخ المفيد : ٣٧ - ٣٨.

①

نَازَهَةُ مَوْقِفِ الشَّيْعَةِ عَنِ الْقَوْلِ بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ

سَيِّدُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٌ رَافِئِي مَوْقِفُهُ

انعقد مؤتمر اسلامي في تركيا بمدينة «اسطنبول» بتاريخ ٢٠ - ٢٢ / شعبان / ١٤١٣ هـ. المصادف ٩ - ١١ / شباط / ١٩٩٣ م. لبحث ودراسة عقائد الشيعة الامامية. ومن البحوث التي قدمت لهذا المؤتمر مقالة عن آراء الشيعة حول علوم القرآن للدكتور موسى كاظم يلماز، وكان مما تعرّض له التعريف بأراء الشيعة في مسألة تحريف القرآن الكريم، فذكر أن منهم من أنكر ذلك ومنهم من اعتقده، بقوله: «...رغم هذه الحقيقة - أي بديهة صيانة القرآن من التحريف لدى الامة جميعاً - أذعن بعض علماء الشيعة منذ زمن قديم أن النصوص الإلهية قد غُيّرت أو قد حرّفت القرآن عن موضعه». وفي الرد على هذه الشبهة المدعاة أعد سماحة الشيخ محمد هادي معرفة هذا التحقيق الوافي إثباتاً للحق ودحضاً للباطل ﴿ان الباطل كان زهوقاً﴾^١.

«التحرير»

إن نسبة التحريف إلى كتاب الله العزيز الحميد، نسبة ظالمة تأباها طبيعة نصّ الوحي المضمون بقاءه وسلامته عبر العصور. قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^٢.

وهي نسبة خاطئة وقديمة يرجع عهدها إلى عصر اختلاف المصاحف الاولى في الثبوت والهجاء، لأسباب وعوامل، لعلها كانت طبيعية آنذاك. ولكنها ربّما استدعت مناوشات كلامية في وقتها بين بعض السلف لا عن قصد سوء. سوى أنه بقيت من ذلك روايات وحكايات أولعت الحشوية بنقلها وضبطها وتدوينها فيما بعد، في أمهات

الجوامع الحديثية، مما استعقب شبهة احتمال التحريف في القرآن الكريم.
 فقد نُسب إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى
 النَّاسَ جَمِيعًا﴾^١. أنه: «أفلم يتبين...» قائلًا: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس..
 وهكذا قال ابن جريج: زعم ابن كثير وغيره أنها في القراءة الاولى «أفلم
 يتبين...»^٢.

وأيضاً نسب إليه في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^٣، أنه من خطأ
 الكاتب، وإنما هو «حتى تستأذنوا وتسلموا...». لأن شرط الدخول هو الاستئذان، أما
 الاستيناس فهو بعد الدخول^٤.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾^٥، نُسب إليه
 أنه قال: إن الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وآله: «ووصى ربك...» غير أن الكاتب استمد
 مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد.. قال: ولو نزلت على القضاء ما أشرك به أحد.. وهكذا
 قال الضحّاك: استمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد. ثم قرأ:
 ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^٦، قال: ولو كانت قضى
 من الرب لم يستطع أحد ردّ قضائه، ولكنه وصية أوصى بها العباد^٧.

هكذا نسبوا إلى حبر الأمة زعم الغفلة في كاتب المصحف الشريف!
 وقد بالغ العلامة جار الله الزمخشري في الإنكار على صحة هذا الأثر، قال:
 ولكن هذا ونحوه مما لا يُصدّق بشأن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

(١) الرعد: ٣١.

(٢) قال ابن حجر: هذا الحديث رواه الطبري بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري. فتح الباري ٨: ٢٨٢.

(٣) النور: ٢٧.

وتفسير الطبري ١٣: ١٠٤.

(٤) رواه الطبري في التفسير ١٨: ٨٧، وضححه الحاكم على شرط الشيخين، المستدرک ٢: ٣٩٦.

(٥) النساء: ٣١.

(٦) الاسراء: ٢٣.

(٧) راجع الدر المنثور ٤: ١٧٠، والافتان ١: ١٨٥.

من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي المصحف ؟ وكان متقلّباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله، المهيمين عليه، لا يغفلون عن جلالته ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية^١.

هذا كلام ذلك المحقق المتفرّد في الأدب والتفسير !

لكن مثل ابن حجر - مع كونه من أئمة النقد والتمحيص - نراه قد أعجبه صحة الإسناد حسب مصطلح القوم، فرجّح النقل على العقل الرشيد، وأخذ بالمظنون وترك المقطوع به..

قال - ردّاً على كلام الزمخشري - : هذا إنكار من لا علم له بالرجال، وتكذيب المنقول بعد صحّته ليس من دأب أهل التحصيل، فليُنظر في تأويله بما يليق !^٢

قلت : بماذا يؤول نسبة النعاس والغفلة إلى كاتب المصحف ؟ وكيف يحتمل أنه أراد أن يكتب « يتبين » فكتب « يئأس » ذهولاً ؟ .. وهكذا.

ثم كيف يحتمل إمكان تخطئة قراءة جمهور المسلمين، التي ورثوها كابراً عن كابر عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله ؟ !
إن هو إلا زعم فاسد، وفرية ما فيها مرية، كما قال الزمخشري.

كما رووا عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كانت فيما أنزل من القرآن « عشر رضعات معلومات يُحرّم من » ثم تُسخن « خمس معلومات ». فتوفي رسول الله وهنّ فيما يقرأ من القرآن.

رواه مالك في الموطأ وقال : وليس على هذا العمل^٣.

(٢) فتح الباري ٨ : ٢٨٢.

(١) الكشف ٢ : ٥٣٠ - ٥٣١.

(٣) راجع تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ٢ : ١١٨، آخر كتاب الرضاع.

ورواه مسلم في صحيحه والدارمي وأبو داود. وتركه البخاري وأحمد لغرابته.
قال الزبلي - تعليقاً على رواية مسلم -: لا حجة في هذا الحديث، لأن عائشة أحوالها
على أنه قرآن، قالت : ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول
الله صلى الله عليه وآله وتشاغلنا بموته دخل داجن البيت فأكلها !
قال : وقد ثبت أنه ليس من القرآن، لعدم التواتر. ولا تحل القراءة به ولا إثباته في
المصحف، ولأنه لو كان قرأناً لكان متلوّاً اليوم. إذ لا نسخ بعد النبي صلى الله عليه وآله .

وهكذا رواوا عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : كان مما أنزل الله آية الرجم،
فقرآناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس
الزمان أن يقول قائل : ما نجد آية الرجم في كتاب الله..^١
وفي لفظ مالك : لا نجد حدّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ورجمنا. والذي
نفسى بيده لو لا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبها : «الشيخ والشيخة»
إذا زنيا فارجموهما البتة... قال مالك : أي الثيب والثيبة..^٢
وغير ذلك من مزاعم نسبوها إلى جماعة من وجوه الأصحاب، ذكرنا تفاصيلها في
رسالة «صيانة القرآن من التحريف».^٣

محاولات غير ناجحة

وقد حاول جماعة من أهل النظر معالجة تلكم الروايات بأشكال فنيّة، لكن من غير
جدوى، بعد أن زعموا صحة أسانيدها وصراحة مداليلها في وقوع التحريف في نصّ

(١) راجع صحيح مسلم ١٦٧: ٤. والدارمي ١٥٧: ٢. وأبو داود ٢٢٤: ١.

(٢) راجع صحيح البخاري ٢٠٨-٢١١. ومسنّد أحمد ١: ٢٣، و١٣٢: ٥، و١٨٣. ومسلم ١٦٧: ٥ و١١٦.

(٣) تنوير الحوالك ٤٢: ٣. وراجع فتح الباري ١٢: ١٢٧.

(٤) وهي تتجاوز ثلاثين مزعومة. راجع فصل «التحريف عند الحشوية» ١٦٦- ١٩٥.

الكتاب العزيز. واتفقوا أخيراً إلى اختلاف مسألة «نسخ التلاوة» المعلوم بطلانها وفق قواعد علم الأصول. ومن ثمّ إمّا قبولاً على علّاتها والأخذ بها والإفتاء وفق مضامينها، كما فعله فريق، نظراً لصحة الأسانيد فيما زعموا، أو رفضاً لها رأساً بعد عدم إمكان التأويل. هذا ابن حزم الأندلسي - وهو الفقيه الناقد - يرى شريعة الرجم مستندة إلى كتاب الله، لما رواه بإسناده عن أبيّ بن كعب، قال: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قيل له: ثلاثاً أو أربعاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتقارن سورة البقرة أو ليهي أطول منها. وإن كان فيها آية الرجم، وهي: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجمهما البتّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

قال ابن حزم: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه. ثم قال: ولكنها ممّا تُنسخ لفظها وبقي حكمها^١.

وقال - في مسألة عدد الرضعات المحرّمة -: احتجّ من قال: لا يحرم من الرضاع أقل من خمس رضعات، بما روّاه من طريق حمّاد وعبد الرحمان عن عائشة أم المؤمنين قالت: نزل القرآن «أن لا يحرم إلا عشر رضعات». ثم نزل بعد «وخمس معلومات». قالت: فتوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهنّ مما يقرأ من القرآن. قال ابن حزم: وهذان خبران في غاية الصحة وجلالة الرواة وثقتهم، ولا يسع أحداً الخروج عنهما.

ثم ذكر اعتراض القائل: كيف يجوز سقوط شيء من القرآن بعد موته صلى الله عليه وآله؟! فإن ذلك حرّم في القرآن! فاعتذر بأنه ممّا بطل أن يكتب في المصاحف وبقي حكمه كآية الرجم سواءً بسواء^٢.

وهذا الامام المحقق الأصولي محمد بن أحمد السرخسي، بينما ينكر أشدّ الإنكار

مسألة وقوع النسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله نراه يستسلم لمسألة نسخ التلاوة دون الحكم، ويؤولها إلى إمكان سبق النسخ على الوفاة مع خفائه على الصحابة الأولين. وقال في بيان ذلك : إن صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعة - على ما قاله علماؤنا - مستند إلى قراءة ابن مسعود : ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾ . قال : وقد كانت هذه قراءة مشهورة إلى زمن أبي حنيفة.. وابن مسعود لا يُشكَّ في عدالته وإتقانه، فلا وجه لذلك إلا أن نقول : كان ذلك مما يتلى في القرآن كما حفظه ابن مسعود، ثم انتسخت تلاوته في حياة الرسول بصرف الله القلوب عن حفظها، إلا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، وقراءته لا تكون دون روايته..^١

قلت : لا شك أن أمثال هذه التعاليل هي بذاتها عليلة وغير وافية بدفع شبهة التحريف في كتاب الله، فضلاً عن عدم انطباقها على مداليل ما سرده القوم.. فالأولى ردّ تلکم النقول والروايات غير المعقولة.

وقد انبرى جماعات كثيرة من العلماء^٢ لرفض مسألة نسخ التلاوة دون الحكم، لمنافاتها للحكمة، إذ ما هي الحكمة في نسخ آية بلفظها مع بقاء حكمها؟ وهلا كانت سنداً للحكم الباقي مع الأبد؟!

أما فقهاؤنا الإمامية فقد شطبوا على تلکم الأوهام ولم يقيموا لها وزناً في عالم الاعتبار، كما لم يعتمدوها في مجال الفقه والإفتاء أبداً. ولا نجد فقيهاً من فقهاء الامامية، لا في القديم ولا في الجديد، من يكثرث بهكذا روايات ساقطة لا حجة فيها ولا اعتبار.

(١) اصول السرخسي ٢: ٨٠.

(٢) راجع ما حققه الشيخ علي حسن العريض مفتش الوعظ بالازهر في كتابه «فتح المنان» : ٢٢٤ - ٢٢٧.

ومن سفة القول نسبةً سخيّة إلى أمة، بحجة أنها ممّا ارتكبه بعض الشواذ من أبناء السنّة أو من الممتّمين إلى الشيعة! ولا سيّما إذا وقعوا منهم موضع استنكار وامتهان لاذع.

فإن كان أهل السنّة قد ابتلوا بحشويّات أهل الحشر في الحديث، وما دبّجوه من غثّ وسمين في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وفي تفسير القرآن الحكيم، مثل روايات التشبيه والتجسيم^١ ومسألة الجبر وسلب الاختيار عن العباد^٢ والقصص البائدة والاسرائيليات وهكذا روايات التحريف والزيادة والنقصان، وما أشبه ذلك ممّا يمسّ كرامة القرآن أو يحط من قدسية الشريعة الغراء.. ممّا ياباه العلماء اليوم^٣.

(١) هذا أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (٢٠٠ - ٢٨٠) حشّن كتابه «الرّد على الجهميّة» بروايات غريبة في التشبيه والتجسيم. وكذا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السّلميّ (٢٢٣ - ٣١١) في كتابه «التوحيد والصفات» كان مليئاً بالغرائب في إثبات التجسيم وأنّ لله جوارح وأعضاء وما أشبه من خرافات بني اسرائيل.. وكان هذان الكتّابان هما مستقّي كتابي «اللمع والأيانة» لأبي الحسن الأشعري في التشبيه والتجسيم.

(٢) راجع كتابي «اللمع» و«الأيانة» لأبي الحسن الأشعري، وقد أشاد مباني الجبر وسلب الاختيار عن العباد، وكان المؤسّس لمدرسة الجبر في أفعال العباد.

(٣) هذا الأستاذ أحمد أمين المصري يقرّر من مذهب المعتزلة، ويقول: ولقد كانت نظرته في توحيد الله نظرة في غاية السموّ والرفعة، فطبّقوا قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» أبدع تطبيق وفصلوه خير تفصيل، وحاربوا الأنظار الوضيعة من مثل أنظار المجسّمة الذين جعلوا لله تعالى جسماً له وجه ويدان وعينان.. وغاية ما قال أعقلمهم أنه جسم لا كالأجسام.. وقالوا بأنّ له جهة هي الفوقية وأنه يُرى بالأبصار وأنّ له عرشاً يستوي عليه.. إلى آخر ما قالوا ممّا ينطبق على الجسميّة. فأثنى المعتزلة وسَمّوا على هذه الأنظار وفهموا من روح القرآن تجريد الله عن المادّيّة، فساروا في تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً وأولوا ما يخالف هذا المبدأ وسلسلوا عقائدهم تسلسلاً منطقيّاً.. فهم من الناحية العقلية جريئون يقرّرون ما يرشد إليه في شجاعة وإقدام.. كذلك نظرهم إلى عدل الله، فقد وقفوا أمام مشكلة المثوبة والعقوبة، فرأوا أنّ ذلك لا يكون له معنى إلّا بتقرير حرية الإرادة في الإنسان.. إلى أن يقول: وعلى كل حال كان مسلك المعتزلة مسلماً لا بدّ منه، لأنه أشبه برّد فعل لحالة بعض العقائد في زمنهم. لقد قرروا سلطان العقل وبالغوا فيه أمام من لا يقر للعقل بسلطان.. وقالوا بحرية الإرادة وغلوا فيها أمام قوم سلبوا الإنسان إرادته، حتّى جعلوه كالريشة في مهبّ الريح أو كالخشيبة في اليمّ.. قال: وفي رأيي أنه لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي. وقد أعجزهم التسليم وشلّهم الجبر وقعد بهم التواكل.

وهذا سيد قطب يجري في تفسيره «في ظلال القرآن» بما يقرّر حرية الإنسان في إرادته واختياراته. بما لا يتخلّف عما قرره سائر علماء الاسلام المعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده في تفسير المنار. وسيدنا الأستاذ

فكذلك ابتليت الشيعة الامامية بجماعة الأخباريين، ورواياتهم في الغلو والتحريف. والشيعة يتبرأون منذ أول يومهم من المغالاة في العقيدة، وكذا من القول باحتمال الزيادة أو النقيصة في القرآن الكريم.

شهادات ضافية بنزاهة الامامية :

وليس الامامية وحدهم يتبرأون من سخائف القول في القرآن الحكيم^١، بل غيرهم من ذوي المذاهب الأخرى أيضاً يبرؤنهم عن مثل هذه النسبة الظالمة.. هذا أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري - شيخ أهل السنة ورأس الاشاعرة حتى اليوم - من أعلام مطلع القرن الرابع (توفي سنة ٣٣٠)، تراه يجعل من أبناء الشيعة «وقد سمّاهم الروافض» فريقين :

فريق هم أصحاب الظواهر، ممن لا عمق لهم في تفكير ولا باع لهم في مجالات البحوث النظرية^٢. يزعمون أن القرآن قد نقص منه لروايات يرددونها بهذا الشأن، ما لا قيمة لها عند المحققين، وانما أخذها هؤلاء جرياً على عاداتهم في الاسترسال، نظير اخوانهم الحشوية من أهل الحديث.

لكنهم يتكبرون أشدّ الإنكار وجود زيادة في النص احاضر، قالوا : لا يجوز ذلك بضرورة الشرع، كما لا تبديل في شيء منه ولا تغيير عما كان عليه، سوى أنه قد ذهب منه - في زعمهم - شيء كثير^٣ والامام القائم يحيط به علماً.

وأما الفريق الثاني - وهم المحققون من أهل النظر والاستنباط - فهم يرفضون احتمال

الامام الخوئي قدس سره في «البيان» وغيرهما من الاعلام.

(١) وستذكر نماذج من تصريحات أعلام الطائفة بهذا الشأن.

(٢) وهم الذين نستهم اليوم بالأخبارية المتطرفة.

(٣) ولعل أول من زعم أن القرآن قد ذهب منه شيء كثير هو عبد الله بن عمر، كان يقول : لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، ما يدره ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير (الانفان ٣ : ٧٢). وقد ذكر ابن شهاب أن القرآن قد ذهب منه كثير بذهاب حملته يوم اليمامة. (منتخب كنز العمال بهامش المسند ٢ : ٥٠).

أَيَّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَبْدِيلٍ، لَا بِنَقِيصَةٍ وَلَا بِزِيَادَةٍ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، رَفْضاً بَاتاً، كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ بَاقٍ كَمَا هُوَ، عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُغَيَّرْ وَلَمْ يُبَدَّلْ وَلَا زَالَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ.

وَالِيكَ نَصُّ كَلَامِهِ :

قَالَ : «وَاخْتَلَفَ الرُّوَافِضُ فِي الْقُرْآنِ، هَلْ زِيدَ فِيهِ أَوْ نَقِصَ مِنْهُ ؟ وَهُمْ فَرِيقَانِ، فَالْفَرَقَةُ الْأُولَى مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَقِصَ مِنْهُ. وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ. وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غُيِّرَ مِنْ شَيْءٍ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَأَمَّا ذَهَابُ كَثِيرٍ مِنْهُ فَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْهُ، وَالْإِمَامُ يَحِيطُ عِلْماً بِهِ.

وَالْفَرَقَةُ الثَّانِيَةُ مِنْهُمْ، وَهُمْ الْقَائِلُونَ بِالْإِعْتِزَالِ^١ وَالْإِمَامَةُ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَا نَقِصَ مِنْهُ وَلَا زِيدَ فِيهِ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يُغَيَّرْ وَلَمْ يُبَدَّلْ، وَلَا زَالَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ»^٢.

هَذِهِ شَهَادَةُ أَكْبَرَ زَعِيمٍ مِنْ زُعَمَاءِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ أَهْلِ السَّنَةِ فِي مَطْلَعِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ، تَنْبُؤُكَ بِوُضُوحٍ أَنَّ الْأَعْلَامَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ يَرَفُضُونَ قَاطِبَةً الْقَوْلَ بِالْتَّحْرِيفِ فِي جَمِيعِ أَشْكَالِهِ وَأَلْوَانِهِ، فَمَنْ ذَا يَأْتِرِي يُمْكِنُهُ نِسْبَةُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَيْهِمْ ؟ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَائِهاً فِي ضَلَالٍ !

يَقُولُ السَّيِّدُ شَرْفُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ : وَالبَّاحِثُونَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّ شَأْنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا مَا هُوَ الْحَقُّ الْمُحَقَّقُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ : وَالْمُنْصَفُونَ مِنْهُمْ يَصْرِّحُونَ بِذَلِكَ :

يَقُولُ الْإِمَامُ الْهَمَامُ الْبَاحِثُ الْمُتَتَبِّعُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْهِنْدِيُّ الدَّهْلَوِيُّ فِي كِتَابِهِ النَّفِيسِ

(١) نَسَبَهُمُ إِلَى الْإِعْتِزَالِ لِقَوْلِهِمْ بِأَصْلِ الْعَدْلِ وَتَحْكِيمِ الْعَقْلِ وَذَهَابِهِمْ إِلَى التَّنْزِيهِ فِي الصِّفَاتِ، فَإِنَّ الْإِمَامِيَّةَ مُتَوَافِقُونَ مَعَ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ فِي هَذِهِ الْأَصُولِ.. وَإِنْ كَانُوا يَفْتَرِقُونَ عَنْهُمْ فِي أُصُولٍ أُخْرَى.

(٢) رَاجِعْ : مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ لِلشَّعْرِيِّ ١ : ١١٩ - ١٢٠.

«إظهار الحق» ما هذا لفظه :

«القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه - وهم الفئة الأخبارية - فقول مردود غير مقبول عندهم...».

ثم يستشهد الامام الهندي بكلمات أعلام الطائفة أمثال : الصدوق والمرتضى والطوسي والطبرسي^١ وغيرهم من أعلام ومشاهير... ويعقبها بقوله : «فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامة الاثني عشرية، إن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما بأيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك...».

قال : «والشرذمة القليلة - ويعني بهم الأخبارية المتطرفة - التي قالت بوقوع التغيير، فقولهم مردود عندهم ولا اعتداد بهم فيما بينهم...».

قال : «وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته، وهو حق، لأن خبر الواحد لا يقتضي علماً، فيجب رده إذا خالف الأدلة القاطعة، على ما صرح به ابن المطهر الحلّي «العلامة» في مبادي الوصول إلى علم الأصول...».

قال : «وفي تفسير «الصراط المستقيم» الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة، في تفسير قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ أي لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان...»^٢.

ومن الأساتذة المعاصرين الدكتور محمد عبد الله دراز، أيضاً يشهد بنزاهة ساحة الشيعة الامامية عن تهمة القول بالتحريف إطلاقاً. يقول : «ومهما يكن من أمر فإن هذا المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الاسلامي، بما فيه فرق الشيعة، منذ ثلاثة عشر قرناً

(١) سنوافيك بنماذج من كلماتهم المشرفة.

(٢) راجع إظهار الحق، تحقيق الدسوقي ٢ : ٢٠٦ - ٢٠٩. والفصول المهمة لشرف الدين : ١٦٤ - ١٦٦.

من الزمان. ونذكر هنا رأي الشيعة الامامية - أهم فرق الشيعة - كما ورد بكتاب أبي جعفر الصديق: إن اعتقادنا في جملة القرآن الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو كل ما تحويه دفئا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر.. أما ما ينسب إلينا الاعتقاد في أن القرآن أكثر من هذا فهو كاذب..

قال الاستاذ: وبناءً على ذلك أكد «لوبلو» أن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الذي ليس فيه أي تغيير يذكر.. وكان «و. موير» قد أعلن ذلك قبله.. فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة...^١

وهكذا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر، يقول:

«وأما أن الإمامية يعتقدون نقض القرآن فمعاذ الله! وإنما هي روايات رويت في كتبهم، كما روي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيفوها وبيّنوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنة من يعتقده.

«ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب «الاتقان» للسيوطي ليرى فيه أمثال هذه الروايات التي تضرب عنها صفحاً».

«وقد ألف أحد المصريين^٢ في سنة ١٩٤٨ م. كتاباً اسمه «الفرقان» حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المفروضة، ناقلاً لها عن الكتب والمصادر عند أهل السنة. وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بين بالدليل والبحث العلمي أوجه

(١) راجع كتابه: مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٩ - ٤٠.

(٢) هو: ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف من علماء مصر المعروفين. طبع كتابه هذا بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م. على أساس جمع روايات التحريف زاعماً صحة أسانيدھا ووجوب اتباع ما فيها والالتزام بمبدالھا. ومن ثم تارت حوله ضجة في القطر المصري آنذاك، فصدر الكتاب لكن مصادرة شكلية بقيت منه نسخ في المكتبات ومبثوثة في الأفطار، منه نسخ في مكاتبنا اليوم.

البطلان والفساد فيه. فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرت الكتاب. فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً، فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها.

قال الأستاذ: أفيقال: إن أهل السنة ينكرون قداسة القرآن، أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان، أو لكتاب ألفه فلان !

فكذلك الشيعة الإمامية، إنما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا..^١

وما أشبه مأساة كتاب «الفرقان» لابن الخطيب، بمأساة كتاب «فصل الخطاب» للنوري. فإنه أثار ضجة عارمة في وقته في الأوساط العلمية القائمة في مدينة سامراء مركز العلم ومحط رحل الإمام الشيرازي الكبير يومذاك.

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني - وهو طالب علم ناشيء في بلدة سامراء -: كمت أرى سامراء تموج نائرة على نزيلها المحدث النوري، بشأن تأليفه كتاب «فصل الخطاب» فلا ندخل مجلساً في الحوزة العلمية إلا ونسمع الضجة والعجة ضد الكتاب ومؤلفه ونأشره يسلقونه بالسنة حداد..^٢ الأمر الذي اضطر النوري إلى جمع نسخ الكتاب، والجائه أخيراً إلى كتابة رسالة أخرى في رد ما كتبه أولاً.. ولكن من غير جدوى، بعد أن وضعت الحرب أوزارها..

هذر المستشرقين الأجانب:

وبعد.. فانظر إلى هذر بعض الأجانب من خارج الملة، استغل من تلکم الغوغاء العارمة ذريعة لثيمة إلى ضرب المسلمين بعضهم لبعض وإلى حط كرامة القرآن في نهاية

(١) راجع: مجلة رسالة الاسلام الصادرة عن دار التقريب - القاهرة - س ١١، ع ٤٤: ٣٨٢ - ٣٨٥.

(٢) في تقریظ كتبه على رسالة البرهان للميرزا مهدي البروجردی: ١٤٣ - ١٤٤.

إنهم إذا وجهوا تهمة القول بالتحريف إلى أفخم طائفة من طوائف المسلمين، فإنهم بالتالي قد أزاحوا الحريم عن قدسية كلام الله المجيد..

هذا المستشرق العلامة الشهير «إجنس جولد تسيهر» في كتابه «مذاهب التفسير الاسلامي» يحاول مبلغ جهده الحط من قيمة نص الحاء الإلهي المعجز القرآن الكريم.

يقول - في مفتتح كتابه - : لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عَقْدِيّاً على أنه نص منزل أو موحي به، يقدم نص في أقدم عصور تداوله. مثل هذه الصورة من الإضطراب وعدم اليات، كما نجد في نص القرآن^١.

وقد جعل دليله على ذلك اختلاف القراءات ولا سيما السبعة المعروفة.. ولم يدر المسكين أن لا مساس بين مسألة القراءات - وهي اجتهادات من القراء في قراءة نص الكتاب العزيز، لا شيء أكثر - ومسألة تواتر القرآن بنصه ولفظه ثباتاً وقراءة، كما عليه جمهور المسلمين في جميع الأعصار والقرون، نصاً واحداً لا اختلاف فيه ولا تحوير.

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»^٢. ورواة نص القرآن هم القراء اختلفوا فيما بينهم، أما المسلمون فقد جروا على نهجهم المستقيم تلقياً من فم الرسول الكريم وتوارثوه يدأ بيد خلفاً عن سلف، ولا يزال يشق طريقه إلى الأبدية في أمن وسلام.

ولذلك قال الاما عليه السلام : «اقرأ كما يقرأ الناس»^٣، أي العامة وجماهير المسلمين، لا

زيد وعمر وبيكر..

(٢) الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ٢ : ٦٢٠، رقم ١٢.

(١) مذاهب التفسير الاسلامي : ٤.

(٣) المصدر : ٦٢٣، رقم ٢٣.

ثم نراه يعرّج على مسألة تحريف القرآن ويحاول اثباته عن طريق اتهام الشيعة الامامية بذلك، مع علمه بالذات بأنهم بريئون من هذه التهمة المفضوحة، ولكن الغريق يتشبث بكل قشة، وبالفعل نراه تكلف الصعب وفضح نفسه في هذه الفرية العجماء !
﴿أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون﴾^١.

يقول - في افتراءه المصطنع :-

«إنه وان كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت اليه طائفة متطرفة منهم من أن القرآن المأثور لا يمكن الاعتراف به مصدراً للدين^٢. فإنهم قد تشككوا - على وجه العموم - منذ ظهورهم، في صحة صياغة النصّ العثماني، لانه يشتمل على زيادات وتغييرات هامة بالنسبة الى الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله. كما استوصلت فيه أيضاً من جانب آخر قطع هامة من القرآن الصحيح بالإبعاد والحذف.

قال : ويسود الميل عند الشيعة - على وجه العموم - الى ان القرآن الكامل الذي أنزله الله كان أطول كثيراً من القرآن المتداول في جميع الأيدي.

ويضيف قائلاً : إنهم يعتقدون في سورة الأحزاب (المشتملة على ٧٣ آية) أنها كانت تعدل سورة البقرة (المشتملة على ٢٨٦ آية). وسورة النور (تشتمل على ٦٤ آية) كانت تحتوي على اكثر من (١٠٠ آية). وسورة الحجر (٩٩ آية) كانت (١٩٠ آية).

وزاد شناعة قوله : وحديثاً وجدت في مكتبة «بانكيبور» بالهند نسخة من القرآن تشتمل

(١) الطور : ٤٢.

(٢) لعلّه يقصد ما نسب الى الأخباريين المتطرفين من عدم حجية ظواهر الكتاب وعدم امكان فهم أحكام الشريعة من نصوص القرآن الكريم الأعلى ضوء تفاسير الأئمة عليهم السلام.. لكننا أوغزنا في مباحثنا عن التفسير والمفسرين أن هذه النسبة مفتعلة، وانما مقصودهم : عدم جواز الأخذ بظواهر الكتاب الا بعد مراجعة اقوال ائمة السلف وعلى رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذا حق لا مرية فيه، بعد أن كانت المخصصات لعمومات الآيات، والمفندات لاطلاقها موجودة في السنة والمأثور من كلام الأئمة، فلا بد من مراجعتها ان كانت، ثم الأخذ بظواهر الكتاب.

على سور ساقطة من مصحف عثمان. منها : سورة نشرها «جارسان دي تاسي» وهي سورة النورين (٤١ آية). وسورة اخرى شيعية ذات سبع آيات، وهي سورة الولاية. وكل هذه الزيادات الشيعية نشرها «كليب تدا» باللغة الانجليزية !

قال : وكل ذلك يدل على استمرار افتراض الشيعة حصول نقص غير قليل في نص القرآن العثماني بالنسبة الى المصحف الأصلي الصحيح..!

هذا وقد جعل من كتابين منسوبين الى الشيعة، موضوعهما التفسير، أحدهما على نهج التأويل الصوفي. والآخر من نوع التفسير بالمأثور.. جعلهما موضع دراسته لآراء الشيعة - على وجه العموم - في التفسير.. في حين أن الشيعة ولا سيما الامامية تتحاشا التأويلات الصوفية البعيدة عن ذات الاسلام.. والتفسير الآخر لا يعرف واضعه لحد الآن.. أما التفسير الصوفي فهو كتاب «بيان السعادة في مقامات العبادة» وضعه قطب من اقطاب الصوفية هو : سلطان محمد بن حيدر الكنابادي. زعيم فرقة «النعمة الالهية» الملقب في الطريقة بـ«سلطان علي شاه» من مواليد سنة (١٢٥١ هـ.ق.). وقد فرغ من تأليفه عام (١٣١١ هـ.). والكتاب مبذول يجده الطالب في عامة المكتبات.

غير أن مستشرقنا الموماً اليه اشتبه بشأن هذا التفسير في موضعين :
أولاً - زعم أن تأليف الكتاب تمّ عام (٣١١ هـ. = ٩٢٣ م.). ولعل رقم الألف كان مُشوَّهاً غير مقروء في نسخته فلم يحققه تماماً..

وهذا التشوّه - إحتمالاً - نفع هذا المستشرق، فحسب من هذا التفسير أنه يحمل أقدم آراء الشيعة في التفسير، يرجع عهده الى ما قبل أحد عشر قرناً كما حسب المسكين.. يقول : بقيت كتب كاملة في التفسير الشيعي من القرن الثالث الى القرن الرابع الهجري، وربما كان أقدمها هو كتاب : «بيان السعادة في مقام العبادة» للسلطان محمد بن

حجر البخجتي، الذي أُرِخ الانتهاء من عمله بسنة ٣١١هـ = ٩٢٣م...^١
وثانياً - تبديله اسم (سلطان محمد بن حيدر البيدختي) (سلطان محمد بن حجر
البخجتي).

ومن ثمَّ فلتسائل : هل جهل الأمر أم تجاهله ؟ وعلى أيِّ تقدير، فهل ينبغي من مثل
هذا الباحث الناقد أن يبني حكمه الباتَّ على أمة كبيرة لها سابقة قَدَمٍ وقَدَمٍ في الاسلام،
أن يبني حكمه على جهالة لا تُغفَر في هكذا مقامٍ خطير ؟!

ثم كيف نسب الى الشيعة بالذات اعتقادهم بشأن سورة الأحزاب وغيرها أنها نقصت
بكثير عما كانت عليه ؟ في حين أنه لا يوجد ذلك في الشيعة ومؤلفاتهم اطلاقاً.. وانما هو
من حديث عروة بن الزبير ناسباً له الى خالته أم المؤمنين عائشة كانت تقول : كانت سورة
الأحزاب تقرأ زمن النبي صلى الله عليه وآله مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر
منها إلا على ما هو الآن^٢. وهكذا نسب الى الصحابي الكبير أبي بن كعب^٣ وحاشاه..
كيف نسب الى الشيعة ما لا يوجد في كتبهم، وغفل عن الموجود - بوفرة في كتب
غيرهم ؟!

ما هذه المحاباة في تحقيق علمي يمس كرامة أمة وقداسة كلام الله العزيز الحميد ؟!

ثم إن مثل هذا العلامة المحقق، كيف تغافل عن نظرة علماء الشيعة الامامية بالذات
في خصوص مذاهب النصوص المستوردة من اليونان القديم، مما تحاشاه الشيعة من أول
يومهم ولا يزالون ؟!

(١) مذاهب التفسير الاسلامي : ٣٠٤. (٢) أخرجه ابو عبيد باسناده الى عروة.. الانقان ٣ : ٧٢.

(٣) أخرجه احمد في المسند ٥ : ١٢٢، وظنه ابن حزم في المحلى ١١ : ٢٣٥، من اصح الاسانيد لا نغمر فيه.

وشيء أغرب: أن يأتي كاتب إسلامي فيطرح من جديد ما طرحه الأجنيبي الكافر، من غير دراية ولا وعي، متابعاً عمياء لا مبرر لها.. هو الشيخ خالد عبد الرحمن العكبي المدرّس بإدارة الإفتاء العام بدمشق.

يقول: ولعل أنشط الطوائف في تفسير القرآن تفسيراً مذهبياً أو سياسياً هم الشيعة. وقد توسّعوا في ذلك وصارت لهم تفاسير خاصّة، وغالبي البعض في هذا المجال مغالاة سيئة.

يأتي مثلاً بما رواه أبو الجارود (الذي تبرأ منه الامام الصادق عليه السلام كثرة دسّه ووضعه فيما يُشِين من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام^١)، ثم يجيء بتفسير «بيان السعادة في مقام العبادّة» للسلطان محمد بن حجر البخجتي وقد انتهى منه سنة ٣١١...^٢. انظر إلى هذا العمه في التقليد الأعمى!

وأما الاستناد إلى التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الرابع).. فأمر لا مبرر له بعد عدم ثبوت النسبة، بل الدلائل على تزيف النسبة متوفرة.. وقد حقّق العلماء أنّ هذا التفسير النقلي ملقّق من إملاءات علي بن إبراهيم على تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد العلوي. وقسط وافر من تفسير أبي الجارود الآنف. بضمّ روايات رواها أبو الفضل بنفسه، ومن ثم فهذا التفسير (ذو التلفيق الثلاثي) هو صنع أبي الفضل العلوي هذا..

وأبو الفضل هذا مجهول في تراجم الرجال. لا يعرف عنه شيء، كما لم يعتمد الكتاب أحدٌ من مؤلّفي الشيعة القدامى كالكليني - الذي هو تلميذ القمي - وغيره^٣.

(١) راجع: معجم رجال الحديث، للامام الخوئي ٧: ٣٢٢.

(٢) راجع ما كتبه في «أصول التفسير وقواعده»: ٢٤٩ - ٢٥٠، ط. بيروت.

(٣) راجع: الذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني ٤: ٣٠٢ - ٣٠٣. وراجع تحقيقنا بشأن هذا التفسير في رسالة

إذن فكيف صحَّ جعلُ مثل هذه الكتب (المجهولة النسب، الفاقدة للاعتبار) موضع
دراسة لفهم آراء أمة هي عريقة في الأدب والتاريخ وسائر انحاء الثقافات الاسلامية
الراقية ؟ !

قال سيّد المرعبيّين عيسى بن ابي طالب عليه السلام :

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي
لَا يَفِئُّ وَالرَّهَادِيُّ الَّذِي لَا يَضِلُّ
وَالْمُحَرِّثُ الَّذِي لَا كَذِبَ .

نهج البلاغة المظهير ١٧٦

٢

الشيخ محمد بن الشافعي

أحكام الأسرى في الإسلام

أحكام الأسرى وحقوقهم

وحقوقهم باب واسع الأبعاد، إلا أننا نختار منه بعض اللقطات، بما يحقق

لنا الغرض من هذا البحث، ونركز على الجوانب التالية :

أ - الموارد التي يجوز فيها الأسر.

ب - كيفية الأسر.

ج - إطلاق سراح الأسرى.

د - حقوق الأسرى.

أ - الموارد التي يجوز فيها الأسر

ويذكر الفقهاء - عادة - نوعين من المحاربين هما : الكافرون، والبيعة.

الكافرون :

يقول تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِنْهَا غَنِمَتُمْ حَرْزًا

طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * ١

ويقول تعالى :

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَسْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾^١

والآيتان واضحتان في حكم واقعي هو التفريق بين حالتين :

الحالة الاولى : فيما لو لم يتم الإثخان والتمكّن في الأرض فإنه تقتضي المصلحة القضاء على كل عنصر يمكنه أن يقلب الموازين لصالح العدو، ولا معنى - حينئذ - للأسر، وإذا كانت الآية الكريمة تلوم المسلمين على أسر بعض الكفار في هذه الحالة فهي تشير إلى المصلحة الأنفة، والتي لا يعدلها رجاء الفدية التي تُتوقع بعد الأسر، وهي عرض دينوي لا قيمة له في قبال النصر.

الحالة الثانية : وهي ما لو تمّ التمكن، وبدرت بوادر النصر، (حتى قبل انتهاء الحرب) فحينئذ يجوز الأسر بشد الوثاق، لئلا يهربوا. وحينئذ يختلف الفقهاء في موضوع الأسير بعد أسره والحرب قائمة، فيرجّح بعضهم أنّ الإمام مخير فيهم بين الفداء أو المنّ فقط، في حين يجيز بعضهم الآخر له القتل - أيضاً - إذا رأى المصلحة في ذلك، استناداً للآيات الأمرة بقتل المشركين^٢.

والحقيقة؛ إنّ الأمر في ذلك يتبع الخطر المحدق بالجيش الاسلامي، وليس هناك ما يمنع من قتله إذا كان فيه الخطر على المسلمين.

أمّا إذا تمّ الأسر بعد الحرب «فإنّ الإمام مخير في المنّ عليه، أو أخذ الفداء، أو الاستفادة من عمله. ولا يجوز - في هذه الحالة - قتل الاسير»^٣.

(١) سورة مُحَمَّد : ٤.

(٢) تراجع الكتب التالية : التذكرة ١ : ٤٢٥، والمنتهى : ٩٢٧، والميزان ١٨ : ٢٤٢، ومسالك الإقحام ٢ : ٣٣٥، وكنز العرفان ١ : ٣٦٥، وأحكام القرآن للجصاص ٥ : ٢٤٥، والبيان في تفسير القرآن ١ : ٢٩١.

(٣) تراجع : المبسوط ٢ : ١٢ - ٢٠، والتذكرة ١ : ٤٢٤، والنهاية : ٥٣، والجمل والعقود ٥ : ٦٢، والاصباح : ٧٣، والمهذب : ١٠٠، والسرائر : ١٧١، وإشارة السبق : ١٨٧، والشرائع : ٢٠٧، والمختصر النافع : ٢٢٨، والجامع لابن سعيد : ٢٣٦، والقواعد : ٢٤٨، واللمعة الدمشقية : ٢٧٤، والمسالك ١ : ١٥٣، والمنتهى ٢ : ٩٢٧، والتحرير ١ : ١٤٠.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام : كَانَ أَبِي يَقُول : ...إِذَا وَضَعْتَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا، وَأَتَخَنَ أَهْلَهَا، فَكُلَّ أَسِيرٍ أَخَذَ تِلْكَ الْحَالَ فَكَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَإِلَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ؛ إِنْ شَاءَ مَنْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شَاءَ فَادَاهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَعْبَدَهُمْ فَصَارُوا عِبِيداً .
البغاة :

والملاحظ هنا أَنَّ الاحكام تختلف - تماماً - مع البغاة، باعتبارهم مسلمين خارجين على الإمام، فرغم أنهم يهدّدون كيان الدولة الإسلامية كلّها، إلّا أَنَّ قبولهم ولو لفظاً للإسلام يغيّر الحكم عليهم، وخصوصاً في مجال الأسر. فهؤلاء البغاة لا يمكن قتالهم إلّا بشروط :

منها : أَن يَعْتَصِمُوا بِقَلْعَةٍ وَأَمْثَالِهَا، مِمَّا لَا يَتَيَسَّرُ مَعَهُ تَفْرِيقُهُمْ، إلّا بِإِرْسَالِ قِطْعَاتٍ حَرَبِيَّةٍ إِلَيْهِمْ.

وقد أشار صاحب «الجواهر» إلى هذا الشرط - بعد ذكر بعض النصوص - قائلاً :
ولعلّه لهذه النصوص ونحوها قال الشيخ وآبنا إدريس وحمزة - فيما حكى عنهم - أنّه يُعْتَبَرُ فِي جَرَيَانِ الْحُكْمِ كَوْنُهُمْ فِي مَنَعَةٍ، وَكَثْرَةٍ، لَا يُمْكِنُ كَفُّهُمْ، وَتَفْرِيقُ جَمْعِهِمْ، إلّا بِالْإِتِّفَاقِ، وَتَجْهِيزِ الْجِيُوشِ وَالْقِتَالِ، فَأَمَّا إِنْ كَانُوا نَفَرًا يَسِيرًا - كَالوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ وَالْعَشْرَةِ - وَكَيْدَهُمْ ضَعِيفٌ، لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِمْ حُكْمُ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَهُوَ الْمَحْكِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ. مُسْتَدَلِّينَ بِأَنَّ ابْنَ مَلْجَمٍ لَمَّا جَرَحَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُبِضَ عَلَيْهِ، أَوْصَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَقَالَ : «إِنْ بَرِئْتُ فَأَنَا أَوْلَى بِأَمْرِي، وَإِنْ مِتُّ فَلَا تَمُتْلُوا بِهِ». وَلَكِنْ عَنْ بَعْضِ الْجُمْهُورِ جَرَيَانِ حُكْمِ الْبَغَاةِ حَتَّى عَلَى الْوَاحِدِ، إِذَا خَرَجَ بِالسَّيْفِ، بَلْ فِي «الْمُنْتَهَى» وَ«التَّذَكُّرَةِ» أَنَّهُ قَوِيٌّ، بَلْ قِيلَ إِنَّهُ مُقْتَضَى إِطْلَاقِ الْمَتْنِ «شُرَائِعُ الْإِسْلَامِ» وَ«الْقَوَاعِدُ» وَ«الْإِرْشَادُ» وَغَيْرِهَا. وَإِنْ كَانَ قَدْ يَنَاقِشُ بِانْسِيَاقٍ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِطْلَاقِ الْمَزْبُورِ، خُصُوصاً

والخلاف ٢ : ٣٣٢. والمختلف ١ : ٣٣١. والغنية ١٥٨ - ١٦٠. وفقه القرآن : ١٣١.

(١) تهذيب الأحكام ٦ : ١٤٣.

بعد ذكرهم الفئة ونحوها، مما يظهر منه الإجتماع المعتقد به، ولا أقل من الشك، فيبقى الأصل - حينئذ - بحاله. نعم يجري عليه حكم المحارب لو فرض إشهاره للسلاح أو غيره مما يندرج فيه^١.

ومن هذا النص يظهر أنه يرى فعلية هذا الشرط، رغم ما ينسب إلى الآخرين من الخلاف فيه.

ومنها: أن لا يكونوا تحت سيطرة الإمام، وإلا لم يعودوا من البغاة، وأستند في ذلك إلى روايه جاء فيها:

إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ رَجُلٌ بِيَابِ الْمَسْجِدِ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، - تعريضاً بعلي عليه السلام أنه حكم في دين الله الرجال - فقال علي عليه السلام: «كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث:

- لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا اسم الله فيها.

- ولا نمنعكم الشيء ما دامت أيديكم معنا.

- ولا نبداكم بقتال»^٢.

ورغم تشكيك صاحب «جواهر الكلام» في حجية هذه الرواية، إلا أنه يقول: قد يقال: إن حكم البغاة لم يعلم إلا من فعله عليه السلام كما اعترف به الشافعي وغيره، ولم يثبت لنا شيء من فعله، فيما عدا الفرق الثلاث وقد كانوا كذلك^٣.

ومنها: أن يكونوا ينطلقون - في انفصالهم عن السلطة الإسلامية - من معتقد يعتقدونه. وربما أستند في هذا إلى نصوص منها قول علي عليه السلام في «نهج البلاغة»:

(١) جواهر الكلام ٢١: ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) المبسوط للشيخ الطوسي ٧: ٣٦٥. وجامع أحاديث الشيعة ١٣: ٨٧. وأحكام القرآن للحصاص ٥: ٢٨٢. والسنن الكبرى ٨: ١٨٤. والمبسوط للسرخسي ١٠: ١٢٥. وابن أبي شيبة في المسند ١٥: ٣٢٧. ومجمع الزوائد ٦: ٢٤٢. وأنساب الأشراف ٢: ٣٥٢. وتاريخ بغداد ١٤: ٣٦٥.

(٣) جواهر الكلام ٢١: ٣٣٣.

«لا تقتلوا الخوارج بعدي؛ فليس مَنْ طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه»^١.
وعلى أي حال، فإنَّ البغاة إن رجعوا إلى طاعة الإمام، ووضعوا أسلحتهم، أو هُزموا،
ولم ينحازوا إلى فئة متناوئة أخرى، لم يُجز قتالهم، ولم يُتَعَقَب الفارّ منهم، ولا يُقتل
أسيرهم، ويداوى الجرحى منهم. والعلماء يجمعون على ذلك. وبدون ذلك، فالأمر يعود
للإمام ليقوم فيهم بما يراه مصلحة للمسلمين.

وهنا ننبّه إلى أنَّ أحكام البغاة مأخوذة من سيرة عليّ عليه السلام في الباغيين، وها نحن
نذكر طرفاً من ذلك :

يقول عبد الرحمن بن الحجاج سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان في قتال
عليّ عليه السلام أهل القبلة بركة، ولو لم يقاتلهم عليّ عليه السلام لم يدر أحد بعده كيف يسير
فيهم^٢.

روى أبو أمامة : أنه شهد صفين، فلم ير جريحاً يُقتل، ولا مولى يُقتل، ولا قتيلاً يُسَلَّب^٣.
سأل أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الإمام عما هو فاعل بأهل الجمل
فقال عليه السلام : «بالمَن كما سار رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة»^٤.
- وأتي عليّ بأسير يوم صفين، فبايعه، فقال عليّ : «لا أقتلك، إني أخاف الله ربّ العالمين»
فخلّى سبيله، وأعطاه سلبه الذي جاء به^٥.

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : إنَّ علياً عليه السلام سار في
أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل الشرك ! قال فغضب، ثم جلس، ثم
قال : سار والله فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح؛ إنَّ علياً عليه السلام كتب إلى
مالك - وهو على مقدّمته في يوم البصرة - بأن لا يطعن في غير مقبل، ولا يقتل مدبراً، ولا يجهز

(١) نهج البلاغة : ٩٤، خ ٦١، ط. الصالح.

(٢) السنن الكبرى : ٨ : ١٨٢. ومسنّد ابن أبي شيبة : ١٢ : ٤٢٤. والطبقات الكبرى : ٧ : ٤١١.

(٣) وسائل الشيعة : ١١ : ٥٨.

(٤) ن. م. ١١ : ٥٤. نقلاً عن التهذيب. والجامع : ١٣ : ١٧٦.

على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن^١.

والروايات هنا مفصلة.

والواقع، إن سيرة علي عليه السلام رسمت صورة للحاكم المسلم الذي يقيم ذلك التوازن المشار إليه في بحثنا بين الرحمة والمصلحة العليا.

وربما أمكننا - بالإستناد إلى الرواية التي ذكرناها للتوّ - القول بأن الإمام يتعامل في حربه مع الكفار والبغاة على ضوء هذا التوازن، إلا إن الحرب مع الكفار فيها الخطر الكامن لإفناء الوجود الإسلامي كله، فتصعب الاجراءات، ولكن حينما ينتهي الخطر - كما في فتح مكة - يأتي المنّ العظيم. ولكن إذا كان البغاة يفرون إلى تجمع آخر لهم فخطرهم كبير، لذلك فهم يتابعون بكلّ شدة.

ب - كيفية الأسر

تشير الآية الكريمة إلى شدّة الوثاق، وليس المراد إلا التأكّد منه، لئلا يفِرّ، وقد كانت هناك أساليب أخرى تستخدم لضمان عدم فرار الاسير: كأن يُقسّموا بين المسلمين، أو يوثقوا إلى اسطوانات المسجد، وما إلى ذلك.

ومع ذلك نجد الرسول العظيم صلى الله عليه وآله - أحياناً - يتألم، لأنّ أحد أسراه - وهو عمّه العباس - موثق يشنّ^٢.

ج - إطلاق سراح الأسرى

وتتفق كتب الأحاديث، والتاريخ، والمغازي، على أنّه صلى الله عليه وآله كان يمنّ على الأسرى، فيطلقهم دونما فدية، أو مع فدية، ويبادلهم بأسرى المسلمين:

فمن المشهورات قولته صلى الله عليه وآله لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^٣.

وهبط ثمانون من أهل مكة، من جبال التنعيم - صباحاً - على النبي صلى الله عليه وآله

(١) وسائل الشيعية ١١ : ٥٥، نقلاً عن الكافي والتهذيب. وبحار الأنوار ٣٢ : ٢١٠، نقلاً عن الكافي.

(٢) الطبري ٣ : ٦١

(٣) البداية والنهاية ٣ : ٢٩٨.

ليقتلوه، ولكنه أسرهم دون حرب، ثم أطلق سراحهم^١.

وروي أنه صلى الله عليه وآله كان يطلق كل الأسرى عند حلول شهر رمضان^٢.

وقد أرسل رجالاً إلى نجد، وعادوا إليه بأسير من بني حذيفة، يدعى ثمامة بن أثال، وأوثقوه إلى المسجد فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله^٣.

وقد أطلق سراح مجموعة من أسرى بدر، شريطة أن يعلم كل منهم مسلماً القراءة والكتابة^٤.

ومن على أسرى هوازن في حنين - بعد القسمة - وطلب من المسلمين أن يطلقوا سراح أسراهم^٥.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً.

هذا بالنسبة لأسرى الكفار. أما بالنسبة لأسرى البغاة فالأمر فيهم أكثر حناناً، ولطفاً.

وقد قال أصحاب علي عليه السلام بعد معركة الجمل : إقسم بيننا أهل البصرة فنجعلهم رقيقاً، فقال : لا، فقالوا : كيف نُحلّ لنا دماءهم ونُحرّم علينا سبيهم ؟ فقال عليه السلام : كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام ؟ أنا ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأنا ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه^٦. وهذا من أروع النصوص الدالة على رحمة الإسلام.

د - حقوق الأسرى^٧

يمكننا أن نلخص أهم هذه الحقوق بالنقاط التالية :

- (١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٧٣. ونيل الاوطار ٨ : ١٤٠ - ١٤١. ومشكاة المصابيح : ٢٤٥. فما بعدها. وحياة الصحابة ٢ : ٣٧.
- (٢) وسائل الشيعة ٧ : ٢٢٩.
- (٣) السنن الكبرى ٩ : ٨٨. وصحيح الترمذي ١ : ١٢٥. ومشكاة المصابيح : ٣٤٢. ومسنند أبي عروانة ١ : ١٥٧.
- (٤) المستدرک للحاكم ٣ : ٣٣. ونيل الاوطار ٨ : ١٤٤. ومصنف عبد الرزاق ٥ : ٣٥٢.
- (٥) نصب الراية ٣ : ٤٠٦. ومشكاة المصابيح : ٣٤٥. والطبري ٣ : ٨٧ - ٨٩. وصحيح البخاري ٣ : ١٩٣، و٩ : ٨٩ منه.
- (٦) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٠.
- (٧) وحقوق الأسرى مفصلة، ونحن هنا نعتمد - اجمالاً - على تحقيق لسماحة العلامة الشيخ الأحمد الميانجي حفظه الله.

أولاً: العطف والرحمة بالأسير

- ذلك أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حين أقبل بالأسارى من بدر فرّقهم بين أصحابه، وقال صَلَّى الله عليه وآله: «استوصوا بهم خيراً».

- وكان أبو عزيز بن عمير، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، في الأسارى، قال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى، فقال: شدّ يدك به، فإنّ أمّه ذات متاع، لعلّها تفديك. قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إليّاهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نفعني بها، فأستحي فأردّها فيردّها عليّ ما يمّسّها^١.

وقال أبو العاص بن الربيع: كنت مستأسراً مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً كنّا إذا تعشينا أو تغدينا آثرونا بالخبز وأكلوا التمر، والخبز عندهم قليل، والتمر زادهم، حتّى أنّ الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، قال: وكانوا يحملوننا ويمشون^٢.

وقد روي أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يبعث الأسارى من المشركين ليحفظوا، وليقيم بحقّهم^٣.

وقد عاتب رسول الله بلالاً لأنّه مرّ بأسيرات يهوديات على أجساد أعزّائهن، قائلاً له: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حتّى تمرّ بامراتين على قتلى رجالهنّ؟»^٤.

ثانياً: إطعام الأسير وسقيه

فعن أبي بصير قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً﴾ فقال عليه السلام: هو الأسير وقال: الأسير يطعم، وإن كان

(١) الطبري ٤: ٤٦٠، عن الواقدي. والبداية والنهاية ٣: ٣٠٦. وآثار الحرب: ٤٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ١٨٩. (٣) الإمام الرازي في تفسيره ٣٠: ٢٤٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥١. وبحار الأنوار ١: ٥. والطبري ٣: ١٤. والكمال ٢: ٢٢١. والبداية والنهاية ٤: ١٩٧.

يَقْدَمُ لِلْقَتْلِ. وَقَالَ: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَطْعَمُ مَنْ خَلَدَ فِي السِّجْنِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ.^١

ثالثاً: وجوب تأمين الظلّ للأسير

روى زرارة عن الصادق عليه السلام قوله: إطعام الأسير حقٌّ عليّ مَنْ أسره، وإن كان يريد من الغد قتله فإنه ينبغي أن يطعم، ويسقى، [ويظّل]، ويرفق به، كافرًا كان أو غيره.^٢

ويستفيد الشيخ الاحمدي من ذلك تأمين كل ضروريات الحياة.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عندما رأى أسرى بني قريظة في يوم حارٍّ أمر برشهم بالماء، لئلا يجتمع عليهم حرُّ السلاح وحرُّ الصيف.^٣

رابعاً: توفير اللباس اللائق بالأسير

وهو ما يستفاد من عموم الاحسان بهم وما طبقه رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسبة للعباس، حيث جلب الأصحاب له ثوب عبد الله بن أبي.^٤

خامساً: احترام الأسير ذي المرتبة ومراعاة كرامته ومنزلته

وهذا ما نرى رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعله مع ابنة حاتم طي^٥، وكما تعامل المسلمون مع نساء يزدجرد ملك فارس.^٦

سادساً: توفير الدواء والعلاج اللازم

وذلك بمقتضى عموم الاحسان، وقد نقل أنه صلى الله عليه وآله أمر بالمنّ على جرحى الكفار وإطلاق سراحهم^٧، كما ذكر أنّ عليّاً أمر بمعالجة أربعين رجلاً من جرحى النهروان في الكوفة، ثمّ فسح لهم المجال ليذهبوا أينما يشاؤون، أو سلّمهم إلى قبائلهم.^٨

(١) وسائل الشيعة ١١: ٦٩. (٢) وسائل الشيعة ١١: ٦٨، إلا أنه ليس فيها (ويظّل).

(٣) آثار الحرب: ٤٠٥، نقلاً عن شرح السيد الكبير ٢: ٢٦٤.

(٤) جامع الأحاديث ٨: ٥١١-٥١٦ وأعيان الشيعة ١: ٦٢٩. وأبو داود ٣: ١٧٩.

(٥) الطبري ٣: ١١٢-١١٣. والبداية والنهاية ٥: ٦٤.

(٦) بحار الأنوار ٣٢: ٣٥٧، نقلاً عن نصر بن مزاحم في صفين.

(٧) كشف الأستار ٢: ٢٨٨.

(٨) أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٤٨٦. وكشف الأستار ٢: ٢٨٨.

سابعاً : هدايته إلى الحق

يقول تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

بالإضافة لعمومات الهداية والتعليم.

ثامناً : تحريم قتل النساء والأطفال

وقد مرّ بنا تحريم قتل النساء والأطفال والضعفاء.

تاسعاً : عدم قتل الأسير من البغاة

كما مرّ بنا أنّه لا يجوز قتل الأسير الباغي عند انكساره، وعدم عودته إلى فئة، بل يمكن للإمام أن يعفو عمّن له فئة.

عاشراً : أخذ البيعة من الأسير القوي

وإن كان الأسير الباغي قوياً جلدأ وأهلاً للقتال تُطلَب منه البيعة، فإنّ بايع قبل انتهاء الحرب أُطلق سراحه^٢.

وإن لم يبايع يُسَجَن، فإنّ انتهت الحرب وتاب العدو وألْقَى سلاحه، أو لم يلجأ هو إلى فئة يُطلَق سراحه.

حادي عشر : عدم معاملة أسرى البغاة بالمثل

لا معنى للمعاملة بالمثل بالنسبة لأسرى البغاة، فلو أنهم قتلوا أسرى المسلمين، فإنّه لا يجوز قتل أسراهم.

ثاني عشر : عدم قتل الأسير إن أسلم قبل النصر

إذا أسلم الأسير قبل النصر لم يَجْز قتله بالإجماع، بلا فرق بين كون إسلامه عن خوف

(١) الأنفال : ٧٠.

(٢) المبروط : ٧ : ٢٧١. والمنتهى : ٢ : ٩٨٧. والمغني : ١٠ : ٦١.

أو رغبة.

وقد قال صلى الله عليه وآله : «أميرت أن اقاتل المشركين حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، فإذا شهدوا أن لا اله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وصلّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبائحنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقّها»^١.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، لا بدّ من الإشارة لبعض النقاط، لكي يمكن أن تكتمل الصورة -إلى حدّ ما- في الأذهان :

النقطة الاولى

إننا نلاحظ إن الموقف -في النهاية- يعود إلى قائد الأمة الإسلامية، والمفروض به أنّه يمتلك أسمى درجات الإلتزام بالشريعة الإسلامية، وهي شريعة الرحمة واليسر، لكي يقرّر أفضل الحالات المطروحة أمامه، موازنًا بين عنصري الرحمة والمصلحة العليا، فيرفض أيّ تعذيب أو تخريب، أو تفريق بين الأم ولولدها، أو تبييت للإغارة وأمثال ذلك، وليفتنم كل الفرص لتقوية الجبهة الإسلامية، ويسد كلّ ثغرات الضعف فيها، محققاً الهدف الكبير وهو؛ خدمة مصالح الأمة الإسلامية العليا، والحفاظ على وجودها، محترماً للعهود والمواثيق، وملاحظاً مدى تطبيقها، مانثلاً إلى السلام والصلح -مهما أمكن- وإلى الإحتفاظ بالطاقات النافعة لمستقبل الإسلام، متجنباً أيّ تفريط بها، مهتماً بالإسلام، وهداية الآخرين، بل ويكفيه الإسلام الظاهري لأنه سبيل للتعرف على حقيقته، وأخيراً مهتماً بتعميق أهداف الحرب في قلب الجندي المسلم، كما رأينا في

(١) انظر بحار الانوار ٦٨ : ٢٤٣. السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٤٩، و٧ : ٤٠٣. وكتر العمال ١ : ٧٧ - ٧٦. وسنن الدارمي ٣ : ٢١٨. وسنن ابن ماجه ٢ : ١٢٩٥. وصحيح مسلم ١ : ٥٣. والأموال لأبي عبيد : ٢٧ - ٢٨. ومسند أحمد ٢ : ٤٣٥ و٤٣٩ و٤٧٥ و٤٨٢ و٥٠٢.... وصحيح البخاري ١ : ١٢٠ و١٠٩.

مطلع البحث.

النقطة الثانية

الملاحظ : أنَّ الفقهاء - على اختلاف مشاربهم - حاولوا أن يستنبطوا كثيراً من الأحكام، على ضوء تقرير أو تعامل خاص قام به الرسول أو أحد القادة الإسلاميين تجاه موقف معين، والحقيقة هي : أنَّ هناك خطراً يسميه المرحوم الإمام الصدر «خطر التجريد في دليل التقرير» ويتلخّص في تجريد السلوك المعاصر لعهد التشريع عن خصائصه وقرائنه، واستنباط موقف إسلامي عام، «مع أنَّ من الضروري - لكي يكون الاستدلال بدليل التقرير موضوعياً - أن تُدخل في حسابنا كل حالة من المحتمل تأثيرها في موقف الإسلام من ذلك السلوك، فحين تتغيّر بعض تلك الحالات والظروف يصبح الاستدلال بدليل التقرير عقيماً، فإذا قيل لك مثلاً : إنَّ شرب الفقاع في الإسلام جائز، بدليل أنَّ فلاناً - حين مرض على عهد النبي صلى الله عليه وآله - شرب الفقاع، ولم ينه النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك كان لك أن تقول : إنَّ دليل التقرير هذا - وحده - لا يكفي دليلاً على سماح الإسلام بشرب الفقاع لكل فرد، ولو كان سليماً، لأنَّ من الممكن أن تكون بعض الأمراض مجوّزة لشربه بصورة استثنائية، فمن الخطأ أن نعزل السلوك المعاصر لعهد التشريع عن ظروفه وخصائصه»^١.

والحقيقة : إننا نستطيع أن نعبر بهذه الحقيقة : عن مجال دليل التقرير إلى مجال الأوامر الإدارية والعسكرية بكل وضوح، بل ربّما أمكننا القول بأن العبور هنا أولي، باعتبار أنَّ الأوامر الولائية موقّنة تماماً، يلاحظ فيها ولي الأمر المصلحة المطلوبة، اللّهم إلّا أن يصرح بقاعدة عامّة يمكنها أن تشكّل قانوناً عاماً. ولهذا البحث تفاصيله.

ومن هنا نرى أنَّ الكثير من الموارد التي استند إليها الفقهاء لا يمكنها أن تشكّل - بنفسها - أدلة مقنعة، إلّا أنَّ هناك حقيقة أخرى هي : أننا نستطيع من خلال استقراء

المواقف المتنوعة «حتى ولو كانت ولائية» أن نستنبط حكماً يقينياً، أو - على الأقل - نكتشف «مورد إضاءة» وحكماً يقدم إلى ولي الأمر ليلاحظه ويأخذه بعين الاعتبار في تعامله مع المواقف المشابهة.

فالامر - إذن - يتوقف على تعدد الحالات ووضوحها، ليكشف لنا - يقيناً - عن موقف عام تتبناه الشريعة، بعد إلغاء الخصوصيات التي نظمته بعدم دخلها في الموضوع. والذي نريد أن نخلص إليه هو: إننا نعتقد أن منطق التوازن بين النزعة الإنسانية والمصلحة العليا هو الروح السائدة التي يمكن أن نستنبطها من مجمل ما مر من نصوص وأحكام، وهي التي يجب أن يلحظها الإمام في تعامله مع المواقف المتنوعة، ومنها المواقف التي تنتجها الحرب.

النقطة الثالثة

إنه كثيراً ما يبدو التزاحم بين النزعتين أنفتي الذكر، وحينئذ فالذي تشير إليه النصوص هو: ترجيح النزعة الإنسانية مهما أمكن، إلا أن يتوجه خطر كبير للمصلحة العليا، وحينئذ فهي المقدمة.

فمن الأحكام المشهورة والمسلم بها، أن الأسير إذا عجز عن المشي ولم تكن هناك وسيلة لحمله أطلق سراحه، لانه لا يعلم رأي الإمام فيه.

وقد روي عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام قوله: «وإذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي، ولم يك معك محمل، فأرسله ولا تقتله، فإنك لا تدري ما حكم الامام فيه، والاسير إذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيئاً»^١.

وقد صرح به الكثير من الفقهاء؛ كالطوسي في «المبسوط» و«النهاية»، والحلي في «السرائر» و«المختصر النافع»، وابن قدامة في «المغني»^٢.

والملاحظ هنا، أن هناك تزامناً بين الجانب الإنساني «الرحمة»، والجانب المصلحي

(٢) النذكرة ١: ١٢٥. والمغني ١٠: ٢٩٩. وغيرهما.

(١) الكافي ٥: ٣٥. وتهذيب الأحكام ٦: ١٥٣.

«وهو الاحتفاظ بالأسير»، بعد أن لم يمكن الجمع بينهما، وتمّ تغليب جانب الرحمة وإطلاق الأسير. وعلى هذا الغرار نلاحظ مسألة الإمتناع عن قتل النساء، حتّى ولو عاون أزواجهن، إلّا أننا نجد - في قبال ذلك - أحكاماً أخرى :
منها : أنّه لا يقبل الأسر قبل أن تتمّ السيطرة الإسلامية على الموقف، خوفاً من تغيير الموقف لصالح العدو.

ومنها : أنّه لو تترس الكفّار بالمسلمين الأسرى، أو حتّى لو تترسوا بالنساء والأطفال، وتوقف الفتح النهائي - تماماً - على اقتحام هذه العقبة، وجب الاقدام - مهما كانت النتائج - إذعائاً للمصلحة العليا.

يقول الشيخ الطوسي في «النهاية» : ومتى استعصى على المسلمين موضع منهم، كان لهم أن يرموهم بالمجانيق، والنيران، وغير ذلك مما يكون فيه فتح لهم، وإن كان في جملتهم قوم من المسلمين النازلين عليهم، ومتى هلك المسلمون فيما بينهم، أو هلك لهم من أموالهم شيء، لم يلزم المسلمين ولا غيرهم غرامتهم من الدية والأرش، وكان ضائعاً^١.

ويقول القاضي عبد العزيز بن البرّاج في «المهذب» : وإذا اتّرس المشركون بأسارى المسلمين، وكانت الحرب ملتحمة لم يقصد الأسير بالرمي، فإنّ أصيب لم يكن على من رماه شيء، وإن لم تكن الحرب ملتحمة يجوز رميه، فإنّ رماه - ولم يقصده - فإنّ أصابه كان ذلك خطأ وعليه دية^٢.

ويقول ابن ادريس في «السرائر» : وإذا تترس المشركون بأطفالهم، فإنّ كان ذلك حال التحام القتال جاز رميهم، ولا يقصد الطفل، بل يقصد من خلفه، لأنّه لو لم يفعل ذلك لأدّى إلى بطلان الجهاد، وكذلك الحكم إذا تترسوا بأسارى المسلمين، وكذلك إذا

(١) البنايع الفقهية، كتاب الجهاد : ٥١.

(٢) ن.م. : ٨٤.

تَنَزَّسُوا بِالنِّسَاءِ...^١

والملاحظ هنا تقديم المصلحة العليا على النزعة الإنسانية ولكن هذه نظرة ابتدائية. ذلك أَنَّ المصلحة العليا للمسلمين هي مصلحة الإنسانية جمعاء - كما يراها الإسلام - وإن الإسلام هو صوت العدالة الإنسانية كلها، وبه يمكن انقاذها من براثن الوثنية، والضياع، والكفر، فكل عمل لصالح الإسلام هو لصالح الإنسانية - في الحقيقة - فلا يمكن التفريط بهذه المصلحة الإنسانية العليا لصالح رحمة موقته.

النقطة الرابعة

ونقصد هنا أَنَّ نَبَّهَ إِلَى أَنَّ آخْتِلَافَ بَعْضِ الْإِحْكَامِ فِي مَجَالِ الْحَرْبِ ضَدَّ الْكُفْرِ، عَنْهَا فِي مَجَالِ مَكَاافِحَةِ الْبَغْيِ، رَبَّمَا أَمَكُنْ تَعْلِيلُهُ بِأَنَّ حَاكِمِيَّةَ الْكُفْرِ أَشَدَّ خَطَرًا - بِلَا رَيْبٍ - مِنْ حَاكِمِيَّةِ الْبَغْيِ، رَغْمَ مَا فِيهِ مِنْ انْحِرَافٍ وَأَخْطَارٍ جَسِيمَةٍ.

النقطة الخامسة

من الطبيعي أَن نَشِيرَ هُنَا - أَيْضًا - إِلَى تَرْكِيزِ الْإِسْلَامِ عَلَى عِنَصَرِ الْعَقْدِ وَالْعَهْدِ، كَمَنْعِ أَسَاسٍ لِلْإِتِّزَامِ.

فَإِذَا افْتَرَضْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ دَخَلَتْ مَعَ الْمَجْتَمَعِ الدَّوْلِيِّ أَوْ مَعَ دَوْلَةٍ أُخْرَى فِي مَعَاهِدَةٍ دَوْلِيَّةٍ أَوْ ثَنَائِيَّةٍ، أَوْ وَقَّعَتْ بروتوكولاً مَعِيناً فُهِى - فِي الْوَاقِعِ - تَضْيِيفٌ إِلَى تَعَاهِدَاتِهَا الْأَصْلِيَّةِ تَعَاهِدَاتٍ قَانُونِيَّةٍ عَلَيْهَا الْإِتِّزَامُ بِهَا عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ، حَتَّى أَنَّهُ يَمَكُنُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لِلْمَعَاهِدَةِ نَفْسَهَا مَوْضُوعِيَّتَهَا، دُونَ النَّظَرِ إِلَى مَقْتَضِيَّاتِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ.

والحمد لله رب العالمين.

ينهى أن يكون حب هذه الأمور أقوى وأشد عند المؤمن من حب الله ورسوله وجهاد في سبيله، ويقول تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله﴾^١.

والآية الثانية تكمل دلالة الآية الأولى، فلا ينبغي أن يكون في الكون شيء أحب إلى قلب المؤمن من الله، وعليه أن يجعل لحب الله المنزلة العليا في نفسه، وإن يمكن حب الله من نفسه أكثر من أي شيء آخر، مهما كان ذلك الشيء، وما لم يكن لحب الله على قلب المؤمن مثل هذه الهيمنة القوية والفاعلة لا يكون الإنسان كامل الإيمان.

فإن الله تعالى يقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^٢.

وليس على المؤمن بأس أن يحب كل ذلك ما لم يحرمه الله... إذا كان حبه لله أشد وأقوى حتى من حبه لنفسه. فيكون الحب الإلهي أقوى وأنفذ في نفس المؤمن من أي حب آخر وعلاقة أخرى. وقد روي عن الصادق عليه السلام: «لا يمحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولديه وأهليه وماله ومن الناس كلهم»^٣.

وليست هيمنة الحب الإلهي على قلب المؤمن مسألة نظرية معزولة عن حياته وحبه وعلاقاته، وتحركه.

فللحب متطلبات ومستلزمات وتبعات، وما لم يقترب الحب بها لن يكون من الحب الصادق ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾^٤.

وعندما يتعارض حب وحب في قلب المؤمن، وتتعارض أحكام ومتطلبات كل واحد منهما، يكون حب الله أقوى في نفسه، وأكثر نفوذاً وفاعلية، ويكون استجابته لحب الله دون غيره، هو علامة صدقه في الحب.

(٢) آل عمران : ١٤.

(٤) آل عمران : ٣١.

(١) البقرة : ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار : ٧٠ : ٥.

وقد ورد هذا المعنى في الكثير من النصوص الاسلامية في الادعية، عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روي عنه من الدعاء: ﴿اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي﴾^١. وورد مثله عن داود عليه السلام^٢.

وورد أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي، واجعل خشيتك أخوف الاشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقر عيني من عبادتك»^٣.
ثانياً: تحكيم حب الله:

تحكيم الحب الإلهي على كل علاقاته وصلاته وميوله القلبية، فيكون حب الله تعالى حاكماً على قلبه، ومتصرفاً في مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، فيلغي من قلب المؤمن ما لا ينسجم معه من الحب والكراهة، ويثبت في قلبه ما يتطلبه حب الله من حب وكره، ويطرده من قلبه ما لا يرتضيه الله تعالى من حب وكره.

فليس محظوراً على الانسان المسلم أن يحب ويكره، ولكن عليه أن يضع الحب والبغض والرضا والغضب حيث يريد الله، وحيث يقره على ذلك. فما كان من الحب في امتداد حب الله تعالى فإن الله يأمر به، وما كان من الحب لا ينهي عنه الله تعالى فإن الاسلام يقره، وما كان من الكراهة لأعداء الله فإن الله يأمر به، وما كان منه ممّا لا ينهي عنه الله فإن الاسلام يقره. هذا هو الأمر الاول.

وما كان من الحب يعارض حب الله فإن الاسلام يلغيه من حياة المؤمن، وهذا هو الأمر الثاني.

يقول تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على

(٢) كنز العمال للمتقي ٢: ١٩٥، ح ٣٧١٨.

(١) كنز العمال للمتقي ٢: ٢٠٩، ح ٣٧٩٤.

(٣) كنز العمال للمتقي ٢: ١٨٢، ح ٣٦٤٨.

الايماين، ومن يتوَلَّهم منكم فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^١.

فلم يكن المؤمنون الذين خاطبهم الله بهذه الآية يحبّون آباءهم وإخوانهم أشدّ من حبّهم لله، ولكنهم كانوا يحبّونهم رغم كفرهم، ويضمرون لهم المودة والحبّ والولاء، فنهاهم الله عن ذلك، وعدّ حبّهم والولاء لهم من الظلم.

وهذه الآية نزلت في «حاطب بن أبي بلتعة»^٢ الذي أرسل إلى قومه من المشركين يخبرهم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وآله... ولا نشكّ في أن «حاطب بن أبي بلتعة» كان مؤمناً، ولم يكن حبّه لأهله بأشدّ من حبّه لله، إلّا أنه كان يحبّ أهله وقومه، رغم عدائهم لله ولرسوله.

ولا يتّسع قلب لحبّين يتعارضان في وقت واحد، حبّ الله وحبّ أعداء الله، فإذا أخلص قلبه لله في الحبّ والبغض وحكّم حبّ الله تعالى في كل متعلّقاته النفسية، فليس عليه من بأس بعد ذلك أن يحبّ أو يكره، كلّما توفّرت الضوابط العقائدية للحبّ والكره لديه.

وليس للمؤمن أن يرسل عواطفه، كما يشاء وأين يشاء، ولا أن يمدّ صلاته وعلاقته كما يريد، وإنما يجب عليه أن يحكّم حبّه لله في صلاته، وعلاقته، وميوله النفسية، بشكل دقيق، إن كان صادقاً في حبّه لله.

ولقد كان المسلمون الأوائل يقتلون آباءهم، وإخوانهم، وأعمامهم من المشركين، فلا يتردّدون في شيء من ذلك، ولا يتزلزل لهم قدم، ولن يكون الولاء والحبّ لله صادقاً إلّا عندما يمكّن صاحبه من التخلّي عن كل حبّ وبغضه وميوله النفسية وعلاقته لله بشكل مطلق، ويتحرّر من كل الوشائج النفسية التي تربطه بهذا أو ذاك بشكل كامل. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا،

وأبناءنا، وإخواننا، وأعمامنا... ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضيئاً على اللقم^١، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو - ثم يقول عليه السلام -: فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الاسلام^٢.

وتستوقفنا في هذا الحديث فقرتان :

أولاهما : «ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً» وهذه الفقرة تحكي عن سنّة من سنن الله تعالى هي سنّة (العلاقة بين العطاء وبين الايمان والحب)، وهذه سنة لا يعيها إلا قلّة من الناس.

والناس عادة يتصوّرون الأمر بالعكس، فيتصوّرون أن المعاناة وتحملّ الابتلاء يستنفذ صبر الانسان ومقاومته، وما وراء هذا الصبر والمقاومة من إيمان وحبّ يبعثان على الصبر والمقاومة... بينما الأمر بالعكس تماماً، فإن المعاناة وتحملّ الآلام والابتلاء، وقتل الأبناء والأبناء في الله يزيد في قدرة الانسان المؤمن على تحملّ الابتلاء والمعاناة، وعلى الصمود والصبر، ويزيد في إيمان الانسان وحبّه لله تعالى.

والفقرة الثانية : التي تستوقفنا في هذا الحديث للتأمل هذه العلاقة الوثيقة بين الصدق من الحبّ والولاء والنصر. «فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت»... فإن النصر لا ينزل إلا حيث يكون الصدق في الولاء والموقف، ولا تنفصل الساحة العسكرية في نتائجها عما يستقرّ في القلوب من الصدق في الحبّ والولاء.

فلن يكون المؤمن - إذن - صادقاً في حبّه وولائه لله إلا إذا كان قادراً على أن يحكمّ ولاءه لله في كل علاقاته وصلاته.

خارطة الحبّ والبغض :

ان حبّ الله تعالى يرسم للمؤمن خارطة دقيقة جداً لعلاقاته الاجتماعية وصلاته

(١) اللقم : معظم الطريق أو وسطه وواضحه، المنجد، مادة لقم. (التحرير).

(٢) نهج البلاغة، اخراج صبحي الصالح ١ : ٩١ - ٩٢، خ ٥٢.

وأعدائه وأصدقائه...ومن خلال هذه الخارطة يستطيع المؤمن أن يشخص بدقة كاملة، أعداءه عن أصدقائه، وأهله عن الغرباء.

وإن أمر هذه الخارطة لعجيب، تقرب البعيد، وتبعد القريب، وتدخل الخارج، وتخرج الداخل.

يخرج ابن نوح عليه السلام من أهل نوح، فيكون غريباً عنه، وينهى الله تعالى نبيه نوح عليه السلام أن يسأله عن ابنه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^١.

ويدخل سلمان الفارسي في زمرة آل محمد صلى الله عليه وآله، فيتحول من سلمان الفارسي إلى سلمان المحمدي، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : «سلمان منا أهل البيت»^٢.

يقول الشيخ المفيد في الاختصاص : «جرى ذكر سلمان وذكر جعفر الطيار بين يدي جعفر بن محمد عليهما السلام وهو متكي، ففضل بعضهم جعفرأ عليه، وهناك أبو بصير، فقال بعضهم : إن سلمان كان مجوسياً ثم أسلم، فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً مغضباً، وقال : يا أبا بصير جعله الله علوياً بعد أن كان مجوسياً، وقرشياً بعد أن كان فارسياً، فصلوات الله على سلمان، وإن لجعفر شأنأ عند الله يطير مع الملائكة في الجنة...»^٣.

إن هذه الخارطة يختلف أمرها عما يألوه الناس من خرائط الحب والبغض والاعداء والاصدقاء، وإنها لتصنف الناس إلى جبهتين اثنتين، جبهة أولياء الله وأنصاره وأحبابه، وجبهة أعداء الله ومناوئيه...على اختلاف درجات الناس في هاتين الجبهتين في حب الله تعالى وعداء الله.

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢٢٤.

(١) هود : ٤٥ - ٤٦.

(٣) الاختصاص للمفيد : ٣٤١.

الحب في الله والبغض في الله :

وليس للمؤمن الخيار المطابق في هواه وحبّه، وإنما عليه أن يتبع في حبّه وهواه وميوله وعلاقاته النقاط الحمراء، والنقاط الخضراء من هذه الخارطة بشكل دقيق. فيضع ولاءه وحبّه حيث يأمره الله، وحيث يحبّ الله، ويتبرّأ عمن يتبرّأ الله تعالى منه، ولن يصدق في إيمانه، ولن يبلغ محض الايمان من دون هذا الولاء والحب لأحبّاء الله والبراءة والعداء لأعداء الله، والمواقف الايجابية الثابتة حيث يحبّ الله، والمواقف السلبية حيث يأمر الله. فيحبّ بحبّ الله كل من احبّ الله. وببغض كل من يبغضه الله. حتى رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه بحبّ الله، وببغضه لله، يقول صلى الله عليه وآله : «أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله عز وجل، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي»^(١). وهكذا يتسلسل الحب في الله على هذا الامتداد، ويشمل كل أولياء الله وعباده الصالحين، كما يتسلسل الكره والعداء والبغضاء في الخط الآخر المعادي لله ولرسوله. وعندما نمعن النظر في النصوص الاسلامية الواردة في الحب والبغض في الله نجد أنها تقسم الساحة إلى شطرين أساسيين وجهتين متقابلتين : جبهة أولياء الله وأحبّائه على اختلاف درجاتهم في حبّ الله، وجبهة أعداء الله على اختلاف درجاتهم في العداء والحب.

وليس للمؤمن خيار في هذه الساحة، وإنما عليه أن يحدد مواقفه وتحركاته وميوله النفسية ضمن ضوابط الحب في الله والبغض في الله.

ولن يكون للمؤمن عمل من الاعمال الصالحة رغم كثرتها، يرفعه إلى الله أفضل من

(١) بحار الأنوار ٧ : ١٤. ويقول العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله في كتابه سيرتنا وسنننا : ٨، في تخريج هذا الحديث، أخرجه جمع من الحفاظ وأئمة الحديث بأسانيد صحيحة رجالها كلهم نقات. راجع صحيح الترمذي ١٣ : ٢٠١، الجزء الأول والثالث من المعجم الكبير للطبراني، مستدرک الحاكم ٣ : ١٤٩، تاريخ بغداد ٤ : ١٦٠ ومصادر أخرى تناهز ثلاثين مصدراً.

أن يحب في الله ويبغض في الله.

وإليك هذه الباقية من الروايات :

١- روى البرقي في (المحاسن) عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء، حتى يُعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابون في الله^١.

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لبعض أصحابه ذات يوم : يا عبد الله أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك...^٢.

٣- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله عز وجل^٣.

فلا ينال أحد ولاية الله -إذن- إلا إذا أخلص قلبه لله، فكان في الله حبه وبغضه وقربه وبعده وولايته وبرائه... ولن يكون بين عرى الإيمان -وهي كثيرة- عروة أوثق من الحب والبغض في الله.

٤- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : من أحب كافراً فقد أبغض الله، ومن أبغض كافراً فقد أحب الله، ثم قال عليه السلام : صديق عدو الله عدو لله^٤.

٥- وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : أوحى الله إلي بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأما انقطاعك إلي فتعزك بي، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً^٥.

٦- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فهو ممن كمل إيمانه^٦.

(١) بحار الأنوار ٧٤ : ٣٩٩، عن المحاسن ٢٦٤ - ٢٦٥. (٢) أمالي الصدوق : ١١.
(٣) أمالي الصدوق : ٣٤٥، طبعة حجرية. (٤) أمالي الصدوق : ٣٦٠، طبعة حجرية.
(٥) تحف العقول : ٤٧٩. (٦) المحاسن : ٢٦٣.

٧- وعن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : وَدُّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شُعْبِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَأَعْطَى فِي اللَّهِ، وَمَنَعَ فِي اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ^١.

٨- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّلَاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الزَّكَاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصِّيَامُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْجِهَادُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لِكُلِّ مِمَّا قُلْتُمْ فَضْلٌ، وَلَيْسَ بِهِ، وَلَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ، وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَالتَّبَرُّيُّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ^٢.

٩- وعن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قال : إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَامَ مَنَادٌ فَنَادَى يُسْمِعُ النَّاسَ، فَيَقُولُ : أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ ؟ فَيَقُومُ عَنْقَ مَنْ النَّاسَ، فَيَقَالَ لَهُمْ : إِذْهَبُوا إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قَالَ : وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ إِلَى أَيُّنَ ؟ فَيَقُولُونَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قَالَ : فَيَقُولُونَ : فَأَيُّ ضَرْبٍ أَنْتُمْ مِنَ النَّاسِ ؟

فَيَقُولُونَ : نَحْنُ الْمُتَحَابِّونَ فِي اللَّهِ.

قَالَ : فَيَقُولُونَ : وَأَيُّ شَيْءٍ كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ ؟

قَالُوا : كُنَّا نَحِبُّ فِي اللَّهِ وَنَبْغِضُ فِي اللَّهِ.

قَالَ : فَيَقُولُونَ : نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ^٣.

١٠- عن أبي جعفر عليه السلام : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فَيْكَ خَيْرًا فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنْ كَانَ يَحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ، فَفَيْكَ خَيْرٌ، وَاللَّهُ يَحِبُّكَ، وَإِنْ كَانَ يَبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ، فَلَيْسَ فَيْكَ خَيْرٌ، وَاللَّهُ يَبْغِضُكَ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٢٥.

(١) أصول الكافي ٤ : ١٢٥.

(٣) أصول الكافي ٢ : ١٢٦.

أحب^١.

١١ - وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : كل من لم يحبّ على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له^٢.

١٢ - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أن عبيدين تحابّا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة، وقال النبي صلى الله عليه وآله : أفضل الاعمال الحبّ في الله والبغض في الله.

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحبّ في الله فريضة، والبغض في الله فريضة^٣.

١٣ - وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : هل عملت لي عملاً؟ قال : صليتُ لك، وصمت وتصدّقت، وذكرت لك، قال الله تبارك وتعالى : أمّا الصلاة فلك برهان^٤، والصوم جنة، والصدقة ظلّ، والذكر نور. فأَي عمل عملت لي؟ قال موسى عليه السلام : دلّني على العمل الذي هو لك، قال : يا موسى، هل واليت لي ولياً، وهل عاديت لي عدواً قط؟

فعلم موسى أن أفضل الاعمال الحبّ في الله والبغض في الله^٥.
خارطة الولاء والبراءة في النفس والمجتمع :

هذه باقية من النصوص الإسلامية تحدّد بشكل دقيق علاقات الانسان المؤمن الاجتماعية والاسرية، وميوله ورغباته النفسية وترسم له خارطة دقيقة لساحة المجتمع الانساني بكل جبهاته المتضاربة والتواءاته السياسية والعقائدية، وما بين هذه الجبهات والفئات من قرب ومن بعد، وما بها من هدى وضلال، واستقامة واعوجاج، وما لديها من انقياد للحق، وعناد، وتمرد عليه، وما عليها من بصيرة وهدى، أو ضلال، وعمى... إن هذه

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٢٧.

(٤) أي برهان ودليل على إسلامك.

(١) أصول الكافي ٢ : ١٢٦.

(٣) جامع الاخبار : ١٤٩.

(٥) بحار الانوار ٦٩ : ٢٥٢ - ٢٥٣.

الساحة المليئة بالمتناقضات والحروب والصراعات والتحالفات واللقاءات هي ساحة عملنا وتحركنا.

ومن دون وجود دليل خبير بمسالك هذه الساحة ومدخلها، والمناطق المحظورة، والمناطق المجازة فيها لا نستطيع أن نتحرك في هذه الساحة، ولا نستطيع أن نميز فيها بين أعدائنا وأصدقائنا، وأن الحب في الله يرسم لنا لهذه الساحة خارطة دقيقة نستطيع أن نميز فيها بدقة الاصدقاء عن الاعداء، ونعرف أين نضع ثقتنا ومن أين نسحب الثقة، وإلى من نركن وعمّن نحذر، وإلى من نمذ أيدينا، وعمّن نسحب أيدينا، ومع من نتعامل بثقة، ومع من نتعامل بحذر.

فلقد شطت هذه الامة طويلاً، والتبس عليها الأمر طويلاً، وركنت كثيراً إلى الذين نهى الله عن الركون إليهم، وأقامت علاقات وثيقة مع الذين نهى الله عن مودتهم، ووصلت حبلها بحبل أعداء الله، وقطعت حبلها عن حبل أولياء الله، ومالت إلى أقصى اليمين طوراً، وإلى أقصى اليسار طوراً، وصفقت لاعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله ومالت مع كل ربح... كل ذلك في غياب الضوابط والمعايير الاسلامية في الحب والبغض والتقارب والتباعد.

وإن ضوابط الولاء و(الحب في الله) تعطينا خطوطاً دقيقة جداً للعلاقات والصلوات والوشائج، وترسم لنا الخارطة السياسية للساحة البشرية عموماً، وتميز لنا فيها أصدقائنا من أعدائنا.

كما إنها ترسم لنفوسنا الحدود الدقيقة لميولها وتعلقاتها، ورغباتها، وحبها وبغضها. إن هذه الخارطة تقسم الساحة البشرية إلى جزئين متميزين (للولاء والبراءة). ولكل من الولاء والبراءة مساحة خاصة بها، ولكل من هاتين المساحتين أحكامهما الخاصة بهما، وإن ضوابط الولاء والحب في الله تحدد بصورة دقيقة مساحة كل من الولاء والبراءة، والاحكام الخاصة بكل منهما.

وضابطة الولاء والبراء واضحة...إنها الحب في الله والبغض في الله.
إن أوليائنا وأصدقاءنا في هذه الساحة هم المؤمنون. وإن أعداءنا الذين نحاربهم هم
أعداء الله ورسوله وأئمة الكفر.

إن المساحة المؤمنة من المجموعة البشرية بعضهم من بعض، وبعضهم أولياء بعض
يجمعهم الولاء لله وللرسول، وحب الله ورسوله، وجمعنا بهم هذا الولاء
والحب...﴿والمؤمنون والمؤمنات، بعضهم أولياء بعض، يأمرُونَ بالمعروف، وينهونَ عن
المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله﴾^١.
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا
أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^٢.

وهذه هي مساحة الولاء في الساحة البشرية.
ومساحة البراءة على الأرض، وفي المجتمع هي المساحة التي تضم أعداء الله
ورسوله من الكفار، والمشرّكين، ومن أئمة الكفر من الذين يحادّون الله ورسوله،
ويشاقونهما، ويصدون الناس عن دين الله، ويحاربون الله ورسوله.
هؤلاء يشكّلون جهة متميزة على وجه الأرض...تقف دائماً في قبال الجماعة
المؤمنة، وتضمّر لها الكيد والمكر، وترث العداء للمؤمنين خلفاً عن سلف، ولن تكفّ
عن محاربة الأمة المسلمة حتى تتبع ملتها. ولن يهدأ لهم بال ما دام لهذا الدين قائمة على
وجه الأرض. ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ﴾^٣.

هؤلاء بعضهم أولياء بعض، وبعضهم من بعض، أمة واحدة في قبال الأمة
المسلمة...والموقف منهم المفاصلة التامة ليست بيننا وبينهم صلة أو مودة، ومن

(٢) الأنفال : ٧٢.

(١) التوبة : ٧١.

(٣) البقرة : ١٢٠.

يتخذهم منا أولياء فهو منهم، وينقطع ما بيننا وبينه من وشيجة الولاء.
والقرآن الكريم صريح وحاسم في تقرير هذه الحقيقة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾^١.

مساحة الحب والبغض للنفس:

وما سبق من الحب والبغض هو الحب النابع من الولاء، والبغض النابع من البراءة، إلا
إن الاسلام لا يمنع المسلم من أن يحب لنفسه، أو يبغض لنفسه في مساحة محدودة، وإن
كان يسعى لتهديب القلب المؤمن حتى لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا في الله.
ومع ذلك يُخضع هذه المساحة من الحب والبغض التفسير لضابطة دقيقة. وتلك أن
لا يحب من يبغضه الله ومن يحارب الله ورسوله، ولا يبغض أولياء الله والمؤمن بالله
ورسوله.

فليس للمؤمن خيار في هاتين الحالتين، ولا يجوز له أن يضمركرهما لمؤمن أو يضمركر
حياً لكافر.

ثالثاً: تحكيم الحب في الله:

تحكيم (الحب في الله) على كل علاقاته وصلاته، وميوله القلبية تماماً، كما كان عليه
أن يحكم حب الله على كل علاقاته.

فليس من حظرك في الاسلام على المسلم أن يحب الانسان لنفسه ما يشاء وما تهوى
نفسه، وإن كان من منهج التربية الاسلامية أن يسعى ليكون (حب الله) هو مصدر كل
حب في حياته، حتى لا يحب شيئاً إلا لله.

ولكن لا يجوز أن يكون حبه لشيء أشد من حبه لله. وهذه هي أولى الضابطتين
السابقتين في الحب، ولا يجوز له أن يحب من يبغضه الله، أو يبغض من يحبه الله وهذه

هي ثانية الضابطتين والضابطة الثالثة التي نذكر هنا ألا يجعل من (حبّه لنفسه) محوراً حاكماً للحبّ والبغض بمعزل عن الضوابط الشرعية للحبّ والبغض، بعكس (الحبّ في الله) فإنه المحور الحاكم للحبّ والبغض في حياة الانسان، فما كان من الحبّ في الله فهو حاكم على كل علاقات الانسان، وما كان من الحبّ للنفس فهو محكوم لضوابط الحبّ والبغض في الاسلام.

وهذا هو الفرق الثالث بين (حبّ الله) و(الحبّ في الله) من جانب وبين الحبّ للنفس من جانب آخر.

وهذا هو معنى محورية الحبّ في الله في علاقات المسلم وميوله القلبية، كما كان حبّ الله محوراً للحبّ والبغض في حياة الانسان المسلم.

ونفس محورية (الحبّ في الله) وتحكيمه على علاقات الانسان وميوله ضمن نقطتين:

١- النقطة الاولى: أن يحكم (الحبّ في الله) سلباً في نفي ما لا ينسجم مع الحبّ في الله من حبّ وإيجاباً في إثبات ما يتطلبه الحبّ في الله من حبّ. فان (الحبّ في الله)، كما كان الأمر في (حبّ الله)، يستتبع حبّاً وبغضاً...ولن يكون المسلم صادقاً في (حبّه في الله) إلا إذا حكم حبّه في الله في كل علاقاته وميوله، واستجاب لكل ما يستتبعه (الحبّ في الله) من حبّ وبغض، وكما لم يكن له خيار في (الحبّ في الله) و(البغض في الله)، ليس له خيار فيما يستتبعه الحبّ في الله من حبّ وبغض.

فإن امتداد (الولاء) في علاقات الانسان وارتباطاته وصلاته وميوله وتعلّقاته القلبية لا حدّ لها، وإذا استجاب الانسان للولاء فلا خيار له فيما يستتبعه الولاء من حبّ وبغض، مهما امتدّ في حلقات سلسلة الوشائج والعلاقات.

ولعل هذا الحديث الذي رواه الفريقان من المسلمين في حبّ أهل البيت عليهم السلام

لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله لحبّ الله... بهذا التسلسل الولاوي... ما يلقي الضوء على مسألة تحكيم الحبّ في الله على صلوات المسلم وعلاقاته وميوله القلبية.

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبي^١.

فلن يكون حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله من الحبّ في الله حقاً إلا إذا كان المسلم يستجيب لكل ما يستتبعه هذا الحبّ من حبّ وبغض «وأحبّوا أهل بيتي لحبي».

هذا في الجانب الايجابي فيما يستتبعه الحبّ في الله من حبّ... وأما في الجانب السلبي فان الحبّ في الله كـ (حبّ الله)، قضيته مبدئية في حياة الانسان يستتبع البغض والكره والحرب أحياناً، وتكلف الانسان الكثير في هذا الجانب، ومن دون هذه الناحية السلبية لن يكون الانسان صادقاً في حبه وولائه.

فلن يكون الحبّ في الله أمراً شاقاً، لو لم يستلزم مثل هذه التبعات في حياة الانسان وعلاقاته وميوله وصلاته، ولو لم يتطلب من الانسان أن يدفع ضريبة هذا الحبّ من علاقاته وصلاته، ومن ذات نفسه وميوله وتعلّقاته.

والشواهد على حاكمية الحبّ في الله في الشريعة كثيرة نذكر جملة من هذه الشواهد:

عن زيد بن أرقم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام : (أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم)^٢.

وعن أبي هريرة قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين،

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٢، ح ٣٧٨٩، ط. دار الفكر. والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣ : ١٥٠. قال الحاكم : وهذا حديث صحيح الاسناد لم يخرجاه. وبحار الانوار ٧٠ : ١٤. وأمالى الصدوق : ٢١٩. وعلل الشرائع ١ : ١٣٩، ط. المكتبة الحيدرية. وأمالى الطوسي ١ : ٢٨٠. وبشارة المصطفى : ١٦١.
(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٤٩.

فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^١.

وفي حديث الغدير يقول براء بن العازب : أخذ (رسول الله) بيد علي، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^٢.

وعن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال : ألتستم تعلمون أو ألتستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا : بلى، قال فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه. اللهم عاد من عاداه ووال من والاه^٣.

والاحاديث بهذا المضمون كثيرة.

(فالحب في الله) - إذن - محور حاكم في حياة الانسان يستتبع الحب والبغض، والولاء والعداء.

وقد ورد هذا المضمون في الزيارات الماثورة لأولياء الله وأئمة المسلمين كثيراً. ففي زيارة سيد الشهداء الحسين عليه السلام (فمعكم معكم لا مع عدوكم)^٤.

فإن محبة الحسين عليه السلام، عندما تكون لله، تتطلب المفاصلة والمقاطعة مع أعدائه (لا مع عدوكم)، ومن دون هذه المقاطعة والمفاصلة لا تكتسب هذه المحبة قيمتها الحقيقية.

وهذه هي النقطة الاولى في (الحب في الله).

٢ - النقطة الثانية : أن يحكم المؤمن (الحب في الله) في درجات الحب وفي الايثار وتقديم حب على حب وتفضيل أمر على آخر.

فاذا تراحمت الميول، والعلاقات، والتعلقات القلبية قَدَم منها ما كان في الله وأخر

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٤٩، قال الحاكم : هذا حديث من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل. وقد أخرج الفقيه السعيد الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله حديث الغدير عن مائة طريق فرائد في كتابه القيم (الغدير) الجزء الاول منه.
(٢) نفس المصدر.

(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل ٤ : ٢٨١.

(٤) مفاتيح الجنان - زيارة الاربعين للامام الحسين عليه السلام.

منها ما كان لنفسه، وآثر منها ما كان لله على ما كان لنفسه، وضمن الضوابط الواردة في الشريعة في تقديم الأهم على المهم.

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ماله وولده»^١.

ورواه مسلم في الصحيح عن أنس بالصورة التالية: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله ومن الناس أجمعين^٢.

وعن طريق ابن ليلى الانصاري عن رسول الله: لا يؤمن عبد لله حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحبَّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبَّ إليه من أهله^٣. وعندما يكون الحب في الله حاكماً على علاقات الانسان وتعلقاته النفسية يتحول إلى محور حاكم في حياة الانسان.

وبهذا يختلف (الحب في الله) عن (حب النفس) الذي يقع في الدائرة المسموح بها إسلامياً.

فإن الثاني يقع دائماً محكوماً للاول، فحب القوم والوطن أمر جائز ولم يمنع عنهما الاسلام «في الدائرة المسموحة شرعاً» إلا أن هذا الحب لا يشكّل محوراً حاكماً في العلاقات الاجتماعية والتعلقات القلبية، ويكون محكوماً لضوابط (حب الله) و(الحب في الله).

فلا يجوز للانسان أن يمتدَّ مع حبه لقومه ووطنه في كل مستلزمات هذا الحب وتوابعه، من دون قيود. ولا يسمح للانسان أن يحب اعداء الله ورسوله من قومه ووطنه،

(١) صحيح البخاري ٦: ١، ط. دار الطباعة، سنة ١٢٨٦.

(٢) صحيح مسلم ١: ٤٩، ط. دار الفكر، بيروت. ورواه في كنز العمال ١: ٣٧، حديث ٧٠.

(٣) نقله الشيخ عبد الحسين الاميني في كتابه سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته: ١١، عن النصيبي في الجزء الثاني من أحاديثه، والحافظ البيهقي في شعب الايمان والديلمي في مسنده، ورواه العلامة المجلسي في البحار باختلاف يسير ٢٧: ٧٦.

كما لا يجوز أن يبغض المؤمنين من غير قومه ووطنه... فيجب عليه أن يحب المؤمنين من غير قومه ووطنه، ويبغض ويحارب أعداء الله ورسوله من قومه وعشيرته ووطنه.

سئل علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن العصبية. فقال: العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم^١.

وأما حب الاسلام والامة الاسلامية، فإنه لما كان من مصاديق (الحب في الله)، فإنه يمتد إلى كل مستلزماته ومتطلباته، فيجب على المؤمن أن يحب كل المسلمين من قومه ووطنه، ومن غير قومه ووطنه، ويحارب كل أعداء الله والمعتدين من قومه ووطنه ومن خارج قومه ووطنه.

فيكون الحب الاول من الحب المسموح به والمحكوم بضوابط الحب في الله وليس من (الولاء) لغير الله.

بينما يكون الحب الثاني من الولاء الحاكم على كل علاقاته وتعلقاته بالقومية والوطنية.

إن ظاهرة القومية والوطنية التي عمت العالم الاسلامي، والتي استوردتها المسلمون من الغرب في الأغلب... ليس حباً ساذجاً فقط محكوماً لضوابط الولاء الاسلامي وللحب والبغض لله وفي الله، وإنما تشكّل محوراً جديداً وحاكماً للحب والبغض في حياة الانسان المعاصر في مقابل محور حب الله والحب في الله.

وإنما نقول عنها أنها تشكّل محوراً جديداً في الحب والبغض؛ لأن القومية والوطنية في مفهومها المعاصر توجه عواطف الانسان وأحاسيسه من خلال قناة الانتماء القومي والوطني، فيحب من الرجال والابطال، والشعراء، والاساطير، والادب والحوادث، والوقائع، ما يتصل بقومه ووطنه طابت أم خبثت، ويكره من الاقوام والابطال والشعر

(١) أصول الكافي ٢: ٤٠٨. وبحار الانوار ٧٣: ٢٨٨.

والاساطير والحوادث والايام ما كان في اتجاه مخالف لقرمه ووطنه، طابت أم خبثت. وعلى هذا الاساس تقوم الاتجاهات القومية الحديثة في العالم الاسلامي بإحياء الحضارات الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والمجوسية لربط حاضر المسلمين بماضيهم، طاب هذا الماضي أم كان خبيثاً.

فالقومية والوطنية -إذن- في مفهومها المعاصر، اتجاه لإقامة محاور جديدة للولاء في مقابل الولاء لله وللرسوله.

وانما نقول في مقابل الولاء لله وللرسول، ولا نقول في عرض الولاء لله وللرسول، أو مع الولاء لله وللرسول...، مع أن هذه المحاور القومية والوطنية لا تنفي الولاء لله وللرسول غالباً... ومع ذلك نقول عنها إنها محاور جديدة للولاء في قبال الولاء لله وللرسول لأن مسألة الولاء لا تتقبل التعدد والتوزع، ومتى يطرح ولاء جديد في عرض الولاء لله وللرسول فإنها تنفي الولاء لله وللرسول لا محالة. فإن مسألة الولاء مسألة التوحيد دائماً، فأما أن يكون للانسان ولاء لله، فلا يكون له لغير الله تعالى ولاء، وأما أن لا يكون له لله وللرسول ولاء فيختار الانسان لولائه وحبه وبغضه ما يشاء من المواضيع. إن جوهر (الولاء) وقيمة (الولاء) في التوحيد، فإذا انتفى التوحيد ينتفى الولاء رأساً، ونحن إذا أدركنا هذه الحقيقة في معنى الولاء نستطيع أن نفهم معنى (الولاء)، ومن دونها يبقى فهمنا لمسألة الولاء فهماً عاماً ساذجاً، ينسجم الولاء فيه مع الولاء لكل أحد، ولكل شيء، حتى مع الولاء لأعداء الله، فيجتمع حب الله والولاء له ولأنبيائه عليهم السلام مع حب فرعون والولاء له، ويجتمع حب الاسلام والولاء له مع حب الحضارات المجوسية والفرعونية والبابلية والولاء لها.

وعندما يهبط الولاء إلى هذا المستوى يفقد الولاء كل محتواه وقيمه وأثره. فالحب في الله - إذن - يشكّل في حياة الانسان المسلم محوراً للولاء في السلب والايجاب، والحب والبغض، والقرب والبعد، ويكون حاكماً على كل علاقات الانسان

وتعلقاته وميوله وتوجهاته.

وكل حب آخر لا ينافي الحب لله فهو مسموح به وجائز على أن يبقى محكوماً للحب لله. وحتى عندما يحب المسلم طائفتين مسلمتين في الله ولا يتخاصما في أمر فلا يمكن أن يجمع بينهما الانسان في الحب، ويضطر لاتخاذ موقف منهما. فإن ضوابط الحب في الله هي التي تتحكم في اتخاذ مثل هذا الموقف، ولا يترك الأمر في مثل هذه المواقف لعواطف الانسان تجاههما، ودرجة حبه وتعلقه بكل واحد منهما، فيؤثر منهما من كان أقرب إلى نفسه... ويقف من الآخر موقفاً يميل إلى السلب... أقول: ليس للمسلم في مثل هذه المواقف، وهو يحب الطائفتين في الله، أن يرسل عواطفه تجاههما لضوابط الحب في الله بدقة، فيحاول أن يصلح بينهما ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإن بغت إحداهما على الأخرى وقف مع الفئة المعتدّ عليها ضد الفئة الباغية المعتدية، بحزم وقوة، ومن دون أن يميل مع ميوله وعلاقاته النفسية، ويحسب حساباً لقرب إحداهما منه أو بعدها، ومن دون أن يرقّ أو يلين للفئة الباغية على حساب الحق، وإذا لم ترتدع الفئة الظالمة عنبغيها وغيتها، أعلن عليها الحرب وقاتلها إلى جنب الفئة المعتدّ عليها ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾^١. فالحب في الله - إذن - محور حاكم في حياة الانسان المسلم. يرسم له خريطة واضحة لعلاقاته في المجتمع والاسرة ولقربه وبعده، وحبه وبغضه.

ومن خصائص هذا المحور انه يرفض دائماً أي محور إلى جنبه، مهما يكن ذلك المحور.

وهذه الفقرة بحاجة إلى مزيد من التوضيح: فإن الله كريم، ومن طبع الكريم الكرم والاحسان والعطاء.

(١) الحجرات: ٩.

ولكن نعم الله تعالى لا تعبر فقط عن كرمه وجوده سبحانه وتعالى، وإنما تعبر عن معنى آخر غير الكرم والجود، وهو التجبب إلى عباده.

فإن الله تعالى لما ينعم على عباده يريد أن يتجيب إليهم، ويدعوهم إلى حبه. وواضح لمن يقرأ كتاب الله، أن القرآن الكريم يحرص على توظيف النعمة في توجيه الإنسان إلى حب الله وحمده وشكره.

تأملوا في هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الزخرف، وهما مثل واحد على ما نقول : ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين^١.

إذن الغاية من الفلك والأنعام والدواب ثلاثة، وليست واحدة :

١ - ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾، وهي الاستفادة من النعمة.

٢ - ثم ﴿تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾، وهي وعي النعمة.

٣ - ثم تقولوا ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾، وهي الشكر والحمد والتسبيح.

والذين يتلقون نعم الله تعالى من دون وعي وحمد - كالبهائم - يستفيدون في الحقيقة من النعمة إستفادة ناقصة. فإن النعمة تزود الجسم والروح والعقل والقلب.

والذين يستفيدون من النعمة فائدة ناقصة يحرمون عقولهم وقلوبهم وأرواحهم من النعم الإلهية.

كما تحفل النصوص الإسلامية بتوجيه الأنبياء والدعاة إلى الله بدعوة الناس إلى الله، وتحبيب الله إليهم من خلال (النعمة).

في الحديث القدسي : أوصني الله تعالى إلى موسى عليه السلام أحببني وحببني إلى

خلقي. قال موسى: يا رب، إنك لتعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟

فأوحى الله إليه: فذكرهم نعمتي وآلاني فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً^١.
وقال الله عز وجل لداود: أحببني وحببني إلى خلقي. قال: يا رب نعم أنا أحبك، فكيف أحبك إلى خلقك؟
قال: اذكر أياديَّ عندهم، فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني^٢.
والله يغار على عبده:

ومن حبَّ الله تعالى لعبده أنه يغار على عبده، ويحب أن يخلو له وجه عبده، ويفرغ له قلبه وقد تحدَّثنا عن هذه النقطة، فلا نعيد.
ويدعوهم إلى التوبة:

ومن حبَّه تعالى لعباده أنهم إذا عصوه، وأعرضوا عنه لم يعرض عنهم، وإنما يمدُّ إليهم جمل المودة، ويدعوهم إلى العودة، ويفتح عليهم أبواب التوبة. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^٣.
ويأخذهم بالبأساء والضراء:

وإن لم يتوبوا، ولم يرجعوا إليه، واستمروا في إعراضهم وصدودهم لم يعرض عنهم الله، ولم يقطع عليهم طرق العودة، وإنما يبتليهم، ويأخذهم بالبأساء والضراء، لعلهم يضرعون ويعودون. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾^٤.

وقد ورد في المناجاة الثامنة للإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «يا من هو على المقبلين عليه مقبل، وبالعطف عليهم عائد متفضل، وبالغافلين عن ذكره رحيم ودود

(٢) بحار الانوار ٧٠: ٢٢.

(٤) الاعراف: ٩٤.

(١) بحار الانوار ٧٠: ٢٢.

(٣) النساء: ١١٠.

عطوف^١

فهو سبحانه عطوف، ودود، حتى على الغافلين، والمعرضين عنه، (يحبّ عباده)،
(ويتحبّ إليهم)، (ويمنحهم الحبّ)، (ويفتح إليهم طريق العودة إلى الحبّ إذا أعرضوا
عنه).

وعليه، فإن الله تعالى هو مصدر الحبّ وغايته. ومن أراد الحبّ الإلهي ، فعليه أن
يطلبه من الله.

وفي نصوص الادعية نلتقي بكثرة سؤال (الحبّ) من الله تعالى، وقد عرضنا بعض
هذه النماذج خلال هذا الحديث.

وفي دعاء الامام علي بن الحسين عليهما السلام: «اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك،
وخشية منك، وتصديقاً لك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك»^٢.

وفي الدعاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم اجعل حبّك أحبّ الاشياء إليّ،
واجعل خشيتك أخوفّ الاشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك»^٣.

وفي الدعاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً: «اللهم إني أسألك حبّك، وحبّ من
يحبّك، والعمل الذي يُبلغني حبّك. اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من نفسي وأهلي»^٤.

وفي المناجاة السابعة من المناجاة الخمس عشرة: «اللهم احملنا في سفن نجاتك،
ومتّعنا بلذيق مناجاتك، وأوردنا حبّاً من حبّك، وأدقنا حلاوة ذكّ، واجعل جهادنا فيك،
وهمّنا في طاعتك، واخلص نياتنا في معاملتك، فإنّا بك، ولك، ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت»^٥.

«يتبع»

(١) مفاتيح الجنان، المناجاة النامية.

(٢) بحار الانوار ٩٨: ٩٢.

(٣) كنز العمال، ج ٣٦٤٨.

(٤) كنز العمال، ج ٣٧١٨.

(٥) مفاتيح الجنان: ١٢٣.

فنون وأدب

مضغني محمد الغزيري «فنون»

ذُكْرَاكَ تَكْبِيرُ فِي الْقُلُوبِ وَيَا لِيذْرَاكَ الرُّطْبِيَّةُ !
مَا إِنْ تَزَالَ ظِلَالُهَا بِدَمٍ يُعْطَرُهَا سَكْبِيَّةُ
ذُكْرَاكَ يَا مَوْلَايَ رُؤْيَا مِثْلَ عَاشِقِهَا غَرْبِيَّةُ
وَهَوَى يَمُدُّ بِأَضْلَعِ الْعُشَاقِ - يَا غَدَةَ - وَجْهِيَّةُ

لِقَوَائِلِ الْكَبِيرِ الْمُضْمَخِ بِالْخُلُودِ دَمَ الْوَرِيدِ
وَحَيْنٌ أَضْلَاعُ تَفُورُ بِجَهْشَةِ الْأَلَمِ الْمُرِيدِ
لَكَ يَا قَوَائِلُ مَا يَشَاءُ الْقُرُ مِنْ ذَوْبِ الْقَصِيدِ
لَكَ مَا يَضُمُّ الْكَوْنُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ شَجْوٍ قَرِيدِ

أَمَنْتُ بِالتَّوْحِيدِ تَقْدِيساً وَتَنْزِيهاً مُرَادَا
إِنْ يَغْبِدُ الْقَوْمُ « الْمَجَسَّم » وَالْمُتَوَجَّعَ وَالْجَمَادَا !
وَعَرَفْتُ بِالتَّفْرِيدِ ذَاتِي فَأَخَذْتُ الْحُبَّ زَادَا !
وَحَمَلْتُ نَارِي حِينَ لَمَلَمَ عَاشِقُ اللَّيْلِ الرَّمَادَا !

الْحُبُّ إِلَّا فِي الْإِمَامِ مَفَارَّةٌ جُنْتُ بِرَكِبِ
عَطَشٌ يَسِيلُ بِذَاتِ قَتَالَيْنِ: شَرْقِيٍّ وَغَرْبِيٍّ!
مُهَجِّجٌ بُبَاعٍ - كَمَا الرِّقِيقُ - وَتُشْتَرَى! مِنْ دُونِ ذَنْبِ
وَمَدَامِيعِ الْعُشَّاقِ تَزُوي فِي السُّكُونِ قَصِيدَ حُبِّ

الْحُبُّ أَضْحَى فِي الْإِمَامِ جَرِيْمَةٌ سَادَتْ عُصُورًا
أَفْتَى بِهَا «الْعُلَمَاءُ» لِلْحُكَّامِ بُهْنَانًا وَزُورًا!
رَعَفَتْ بِهَا أُمُويَّةٌ تَتَحَلَّبُ الزَّمَنَ الْكَفُورًا
شُمُطَاءٌ فِي «بَذْرِ» لَهَا تَأَرَّ تَأَلَّى أَنْ يَثُورًا

جُتُّوا بِعِنْعِنَةٍ يَعْنُ وَرَاءَهَا بَعْدُ شَتَاتُ!
تُرْجَى لِمَنْ كَانُوا... لِيَتَسَبَّحَ فِي الدَّمَاءِ الصَّافِنَاتُ
وَتُكَمَّمُ أَفْوَاهُ... وَتُقْفَأُ أَعْيُنٌ... وَتُثَلَّلُ ذَاتُ
وَالْحَاكِمُ الْأُمُويُّ يَا أَيْمَاهُ... قِرْدٌ وَلَا تُثَلَّلُ!

يَا سَيِّدِي أَنَا فِي ظِلَالِكَ مُثْقَلٌ بِالْهَمِّ لَخْنِي
أُزَوِي صَبَابَاتِ الْأَلَى ذَابُوا عَلَى وَتَرٍ أَعْنُ
وَأَلَمُ شَكْوَى الْجِيلِ أُوْدِعَ فِي شِفَاءِ الْعَصْرِ فَنِي...
بِكَ يَسْتَجِيرُ الْعَاشِقُ الْمَهْمُومُ مِنْ جَمْرِ التَّظَنِّي!

وَبِحَقِّ جَدِّكَ يَا ابْنَهُ، نَسَبَ بِهِ عَرِفَ الْكَمَالِ
لَوْلَا كِتَابُ كُتُبِهِ وَلَأَنْتَ مِنْ حَالِيهِ حَالٌ...
يَا ابْنَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا خَطَرْتُ بِنَفْسِيهَا الشَّمَالَ
لَوْلَاهُ مَا اكْتَحَلْتُ بِأَعْرَاسِ الْفُتُوحَاتِ الرِّمَالِ...

بِالطَّفِ مِنْ دَمِكَ الزَّكِيِّ سَرَائِرُ تَهَبُ الْخُلُودَا
وَمَقَامُ حُبِّ يَا إِمَامُ تُضِيءُ ذِكْرَهُ الْعُهُودَا
وَمَنَارَةُ خَضِرَاءُ أَنْجَبَتِ الشَّهَادَةَ وَالشَّهِيدَا
يَأْتِي الرِّمَانُ - وَإِنْ تُكَابِرُ مُوجِشَاتِ - أَنْ تَبِيدَا

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ صَدُودٍ إِذْ يُعَاقِرُ مَنْ تَوَلَّى!
تَأْرِسُ بَغْيٍ أَوْزَنْتَ أَيَّامَهُ صَبْرًا وَدَفَلَى!
أَوْ كُلَّمَا جَاءَ الرَّسُولُ بِآيَةٍ... جَاؤُوا بِـ «كَلَا»!!
أَعْدَى عَدُوِّ اللَّهِ مَنْ جَاءَ «الْحُسَيْنِ» فَدَقَّ نَضْلًا...

مَنْ رَاحَ يُفْتِي أَوْ يُزَيِّنُ أَوْ يُدَاهِنُ أَوْ يُجَارِي!
وَرَى الْخِلَافَةَ لِلطَّلِيحِ يَرَى الْإِمَامَةَ لِلْمُكَارِي!!
عِزُّ الْخِلَافَةِ مَا تَمُوجُ بِهِ الْقُصُورُ مِنَ الْجَوَارِي!
عِزُّ الْخِلَافَةِ... لَا تَسْلُ... كَيْدُ الطَّلِيحِ إِلَى بَوَارِ...

* * *

قُمْ يَا إِمَامَ تَرَّ الشُّعُوبَ تَسْوِسُهَا ذُؤَبَانُ غَابِ
تَسْعَى بِهَا غَايٍ... لِتَأْكُلَ أَوْ تَنَاسَلَ أَوْ تُرَابِي!!
غَنَى لَهَا يَأْسُ فَأَسْلَمَتِ الْقِيَادَ إِلَى غُرَابِ!
مَنْ ذَا يُفَكِّرُ فِي الصَّبَابِ؟ وَمَنْ يُنْتَظَرُ لِلْيَبَابِ!!

قُمْ يَا إِمَامَ تَرَّ ابْنَ قَاتِلِكَ الْمُتَوَجِّعِ وَالْإِمَامَا!
وَتَرَّ الْأَلَى غَابُوا إِذَا سُئِلُوا يُجِلُّونَ الْحَرَامَا!
غَنُوا لِمَنْ تَحْذُوا الشُّعُوبَ غَنِيمَةً وَالْدِينَ لَامَا!
أَحْيُوا لَنَا «حَسْرَةً» مَدُّوا بِهَا عُتْقًا وَهَامَا!

يَا أُمَّة... لَا يَوْمُهَا رَعْدٌ وَلَا غَدَا يَمِيدُ!
مَا زَالَ يُبْجِرُ فِي مَوَاجِعِهَا زِيَادٌ أَوْ يَزِيدُ!
لِلْجَاهِلِيَّةِ يَوْمُهَا وَغَدٌ وَمَاضِيهَا الْمَجِيدُ!
كَمْ بِأَنْسَمِ تَأْرِخِ الْجُدُودِ تَهَوَّنَ أَفْرَاسُ وَبِيدُ!

يَا أُمَّةَ يَلْهُوا بِأَعْلَى مَا يُطَهِّرُهَا الْغَرِيبُ!
نُظْمٌ تَقْيَاهَا الزَّمَانُ الْمُرُّ وَالْمَدَدُ الْمُرِيبُ
وَكُنُوزُهَا أَثَرِي بِهَا «هُودَا» وَجَمَدَهَا «صَلِيبُ»!
وَالْمَجْدُ... حَدَّثَ عَنْ أَسَاطِيرِ يَنْوُ بِهَا الْغُرُوبُ!

الْمَجْدُ... حَدَّثَ عَنْ هَيَاتٍ لَا تَسْلُ لِمَنْ الْهَيَاتُ ؟
عَنْ مُتَرَفِينَ وَكُلُّهُمْ « شَاءَ » وَكُلُّ الشَّعْبِ شَاءَ !
عَنْ مَوْجِسِينَ تَأْتَقُوا فِي الدَّرْبِ بِاسْمِكَ يَا رُقَاءُ !
الَّذِينَ طَاعَةُ حَاكِمٍ ! وَالْمَجْدُ مَا فَعَلَ الطُّغَاءُ !

هَٰذَا الْوَعْدُ الْمُرْسَلَاتُ فَأَيْنَ صِدْقُ الصَّادِقِينَ ؟
الصِّدْقُ مَا اشْتَغَلَتْ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ بِهِ حِينًا !
أَيْنَ الْأَلَى كَانُوا فَأَمْطَرَ صَحُوفَهُمْ غَدَقًا مَعِينًا ؟
أَيْنَ الَّذِينَ مَعَ الْإِمَامِ تَوَسَّمُوا الْفَجْرَ الْمُبِينَا ؟ !

يَا حَامِلَ الشُّورَى اتَّعَلَّمْ أَيَّ قَاتِلِهَا الْأُمِيرُ ؟ !
أُودَى « مُعَاوِيَةَ » بِهَا وَهُوَ الْمُطَهَّرُ وَالْحَصُورُ ! !
عَفَوَ الْعَقِيدَةَ إِلَهُ فِي صَفْحَةِ التَّارِيخِ زور...
مَنْ سَلَّ قَافِلَةَ الْهُدَى ؟ يَنْسُ الْمُعْطَلُ وَالْكَفُورُ !

يَا قَاتِلَ الشُّورَى - قُتِلَتْ - بِقَتْلِهَا حَلَّ الْعِقَابِ !
فَانْحَلَّ مَا عَقَدْتُهُ أَيْمَانًا... وَأَبْرَمَهُ كِتَابُ
الْقَلْبِ رُغْبٌ وَالْعَقِيدَةُ عُزْبَةٌ... وَالذَّرْبُ غَابَ !
وَالْعَهْدُ غَدَرٌ وَالْخِلَافَةُ - يَا مُشَرَّدَهَا - غِلَابُ !

وَالْحُبُّ يُنْفَى أَوْ يُقْتَلُ أَوْ يُصَلَّبُ مِنْ خِلَافِ !
 لِلْعَذْرِ دَانِيَّةُ الظِّلَالِ وَلِلْمُرُوءَاتِ الْمَنَافِي !
 الْعَذْرُ... يَا لِبَطُولَةٍ شَرِقتْ بِمَغْسُولِ السُّلَافِ !
 يَا زَاكِبَ التَّارِيخِ... مَا أَبْقَيْتَ مِنْ ظَهْرِ لِحَافِ !

يَا زَاكِبَ التَّارِيخِ... مَا فِتَنَ يَسُودُ بِهَا دَعْيِ
 تَوْدِي بِأَعْلَى مَا يَجُودُ بِهِ كِتَابُ أَوْ نَبِي
 مُدَّتْ لِدُنْيَا مُتَتَهَى أَشْوَاقَهَا شَبَعُ وَرَيِّ
 وَلَكُمْ تَعَبَّدَهَا الْغَوَاةُ... وَبُسَمَا عَبْدَ الْعَوِي !

مُدُنٌ مِنَ الْأَشْبَاحِ تَزُوي قِصَّةَ الْحُلُمِ الْمُهَاجِرِ !
 أُسْطُورَةُ الْقِيَارِ، يُودِعُ سِرَّهُ صَمْتَ الْمَقَابِرِ !
 وَرِوَايَةُ حُبْلَى بِعِطْرِ الْوَرْدِ أَوْ رُغْبِ الْخَنَاجِرِ
 وَهَمُومَ جَلِيلٍ مُتَعَبٍ بِصَبَابَةِ الْوَعْدِ الْمُقَابِرِ !

مُدُنٌ مِنَ الْأَشْبَاحِ تَزْحَلُ فِي سَوَارِعِهَا الْعُمُورُ
 تَرْتَدُّ حَسَرَتِي حَيْثُ لَا وَرْدَ وَلَا عِطْرَ مَصُونُ !
 وَبَغِيمٌ فِي أَهْدَابِهَا صَحْوٌ بِمَا عَصَرُوا هَتُونُ !
 مُدُنٌ يُبَاعُ بِهَا الْيَقِينُ وَتُشْتَرَى فِيهَا الطُّنُونُ !

* * *

حُلْمٌ يُضِيءُ كَمَا «الْحُسَيْنُ» وَمَا أَجَلَ اسْمِ «الْحُسَيْنِ» !
 أَنِنِي بِمُطْلَقِ حُبِّهِ فَأَفْـوِزُ مِنْهُ بِحُسْنَيْنِ
 وَالْمُ زَيْحَانَ الْخُلُودِ... أَلُمُّ مِلءَ الْيَدَيْنِ
 أَوْيَ إِلَى عَتَبَاتِهِ... أَزُوي حَيْنَ الْقِبْلَتَيْنِ

آتِيكَ يَا حُلْمِي لِأَقْطِفَ مِنْ جَيْبِكَ قُبْلَتَيْنِ
 وَأَسْـوُفَ عِطْرِكَ يَا غَرِيبَ الدَّارِ يَابْنَ الْغُرْبَتَيْنِ
 وَأُسْـمِعُ ضَوْءَكَ أَحْمَدِيَّ الْوَسْمِ يَابْنَ الْفَرْقَدَيْنِ
 يَابْنَ الَّذِي تُجْلِي الْمَفَاخِرَ حِينَ يُجْلِي الْأَصْفَرَيْنِ

جَسَدُ «الْحُسَيْنِ»... وَتَضَرَّخُ النَّاعُونَ وَآ جَسَدَ الْحُسَيْنِ !
 مُلْقَى تُعَايِرُهُ الرِّيحُ السُّودَ وَالرَّمْحُ الرَّذِيضُ !
 مُلْقَى تَدْتَرُّ بِالْعَفَافِ يَصُونُ مِنْهُ السُّوَائِيْنِ !
 يَا أُمُّ... وَأَبَاءُ... وَآ حُزْنَاءُ... يَا ابْنَ الْأَكْرَمَيْنِ

لَوْلا عَيْرٌ مِنْ ضِيَائِكَ أَهَّيَا الْمَلَكُ الرَّحِيمُ
 يَا مَنْ يَهْبُ عَلَى الرِّمَالِ فَتَزْهِي الْجُرُزُ الْعَقِيمُ
 يَا مَنْ إِذَا لَمَسَتْ يَدَاهُ الصَّخْرَ أَوْزَقَتِ الْكُرُومُ
 لَوْلَاكَ لَمْ تُمِطْزَ عَلَى جَذَبِ الْمَسَافَاتِ الْغُيُومُ

لَوْلَاكَ يَا بَنَى التَّيَرِينَ لَمَا عَرَفْنَا مَا الشَّهَادَةُ !
 مَا رَحْلَةَ قُدْسِيَّةٍ تَخْذُو بِحَادِيهَا السَّعَادَةُ !
 الْحُبُّ أَنْتَ ... وَمِنْكَ يَأْخُذُ عَاشِقُ الْأَسْفَارِ زَادَهُ
 مِنْ فَيْضِ جَدِّكَ ذَلِكَ الشَّرَفُ الْمُطَهَّرُ وَالسِّيَادَةُ

أَنَا يَا إِمَامَ قَصِيدَةٍ حَلَمْتُ وَكَانَ الْفَجْرُ حُلْمًا
 يَنْسَابُ مِنْ سِفْرِ الْغُيُوبِ الْحَرْفُ فِي شَفَتَيَّ أَلْمَى
 يَنْسَابُ يَخْتَصِرُ الْعُصُورَ عَلَى الْهَجِيرِ وَلَيْسَ يَظْمَى
 وَأَجَلُ مَا تَهَبُ الْقُلُوبُ مَشَاعِرُ لِلْحُبِّ تُنْمَى

أَشْرَبْتُ حُبَّكَ مُنْذُ كَانَ الْقَلْبُ فِي جَنْبِي طِفْلًا
 وَهَوَاكَ ... جَلْتُ فِي هَوَاكَ مَوَاسِمَ خُضْرٍ ... وَجَلَا
 زَفَرْتُ فِي ذِكْرَاكَ شَجَرِ قَصَائِدِي عَلَاً وَنَهْلًا
 وَتَخَذْتُ فِي رَمْضَاءِ أَيْامِي الْهَوَى زَاداً وَظِلًّا

قَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 الْحُبُّ أَكْبَرُ الْغُرَبَاءِ

حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ
 أَحِبَّ اللَّهُ مَنَّهُ أَحَبَّ هُسَيْنًا

مكتبة النور ١٢ : ٣٤٦٦٤

كِتَابُ

عَنِ الرَّسُولِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ

لِلْإِسْلَامِ: الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

المؤلف : عبد الجبار الرفاعي.

طبع ونشر : منظمة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية في إيران.

عدد الأجزاء والصفحات : إثنا عشر جزءاً بمعدل ٥٠٠ صفحة لكل جزء ويشمل الجزء الثاني عشر منه فهرس المعجم.

القطع : الوزيري.

الطبعة : الأولى.

يشتمل المعجم بأجزائه الإثني عشر على حوالي ثلاثين ألف عنوان من الكتب والأبحاث التي ألّفت في هذا المجال بعدة لغات، مستوعباً فيه الأقسام

التالية :

القسم الأول : السيرة النبوية الشريفة.

القسم الثاني : فاطمة الزهراء عليها السلام.

القسم الثالث : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

القسم الرابع : الإمام الحسن بن علي المجتبي عليه السلام.

القسم الخامس : الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام.

القسم السادس : الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام.
القسم السابع : الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام.
القسم الثامن : الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.
القسم التاسع : الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.
القسم العاشر : الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.
القسم الحادي عشر : الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام.
القسم الثاني عشر : الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام.
القسم الثالث عشر : الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.
القسم الرابع عشر : الإمام محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام.
القسم الخامس عشر : أهل البيت (المصادر المشتركة حول أهل البيت عليهم السلام).
القسم السادس عشر : السّنة النبويّة الشريفة.
وقد صدر منه لحدّ الآن ستّة أجزاء والباقي تحت الطبع.

القواعد المعتمدة في ترتيب المعجم وتنظيمه :

أشار المؤلّف إلى أنّه اعتمد قواعد وضوابط في إخراج المعجم بطريقة تيسّر للمراجع الاستفادة منه، وتناوَى به عن اللبس والتداخل في استخراج المصادر كالآتي :

١- اعتمد في التدوين على نوع الحرف المكتوب به عنوان الكتاب أو البحث، فما كتب من عناوين وبيانات بالحروف العربية (كاللغة العربيّة، والفارسيّة، والكرديّة، والأرديّة، والتركيّة - قبل استعمال الحرف اللاتيني - والگجراتيّة)، رتبت وفقاً للأبجديّة العربيّة مستقلّة، فيما رتّب ما كُتب من عناوين بالحروف اللاتينيّة (كالإنجليزيّة، والفرنسيّة، والألمانيّة،... وغيرها)، في قسم آخر تبعاً لنظام الأبجديّة اللاتينيّة.

٢- اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.

٣- رُتِّبَ المداخل في كلِّ أقسام المعجم تبعاً للترتيب الهجائي التام، واعتبار الوحدة في الترتيب هي الكلمة، أي على أساس كلمة كلمة، ثمَّ حرف حرف.

٤- إهمال أداة التعريف (أل) في الترتيب الهجائي مع بقائها رسماً إذا ما جاءت في أول الكلمة، وتحتسب في الترتيب الهجائي إن كانت في أصل الكلمة.

٥- تمَّ ترتيب الأرقام كما تكتب بالحروف.

٦- ألحق بالمعجم كشافان :

الأول: كشاف عامٍّ للمؤلفين.

الثاني: كشاف عامٍّ للعناوين.

توضيحات وإرشادات ذكرها المؤلف في طريقة ترتيب واستعمال المعجم :

أولاً : ذكر ما توفَّر من بيانات متعلِّقة بالكتب بالشكل الذي يفي بتشخيص هويَّة الكتاب ولغته وحدود مضامينه ومراجعته.

ثانياً : ترتيب الأطروحات هجائياً ضمن الكتب مع بيان لكافة المعلومات المتوفرة عنها.

ثالثاً : اشتمل المعجم على استقراء ما أمكن استقراؤه من أبحاث ومقالات الدوريات الشهرية والفصلية ونصف السنوية والحولية فقط باستثناء ما له قيمة خاصَّة. وقد أدرجت هذه الأبحاث والمقالات هجائياً بضمن تسلسل الكتب والأطروحات مع ذكر البيانات الخاصَّة بها.

رابعاً : أوضح المؤلف طريقة استعمال المعجم في استخراج المؤلَّفات والمؤلفين وذلك على أساس التسلسل الألفبائي للموضوعات في المعجم، وكشاف عناوينه. وكذلك على أساس التسلسل الألفبائي للمؤلفين والمشاركين من خلال مراجعة كشاف المؤلفين والمشاركين.

خامساً : أشار المؤلف إلى أصناف المنابع الأساسية التي تمَّ تحصيل البيانات

بواسطتها تحريماً للدقة والأمانة العلمية.

الهدف والقيمة العلمية للمعجم :

يمكن ايجاز الهدف من إصدار هذا المعجم وتحديد قيمته العلمية في إطار أساسين :
الأساس الأول : هو توقّف البحث العلمي بمختلف أشكاله ومستوياته على المصادر والوثائق والمعلومات الأساسية التي يقوم عليها، وهذا بحدّ ذاته يحتاج إلى استقراء وتتبع شامل يبذله الباحث العلمي فيما كُتب وأُلف من دراسات في الاختصاص أو الموضوع الذي يتصدّى لتناوله، ومن هنا تأتي ضرورة الفهارس الموضوعية لتعينه على القيام بدراسته وإنجازها بالشكل المستوعب للآراء والأقوال.

الأساس الثاني : تعتمد دراسات التراث والتقييم الحضاري لثقافات الشعوب والأمم على أساس طبيعة ومستوى الموضوعات العلمية التي بذل علماءها جهوداً متواصلة في إنجازها وإبرازها للوسط العلمي، لتحكي قيم وأطروحات تلك الأمم ورسالاتها التي بشرت بها، وهنا يأتي دور ما اصطلح عليه حديثاً بـ «البليوغرافيا» ليصبح هو أيضاً من نوع العلوم التي تخدم هذا الهدف.

تقييم :

إنّ المراجعة النقدية لهذا المعجم الجليل والدقة والشمول الذي يميّز به، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار كونه يتناول ما كُتب عن الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم يجعلنا نقول بكلّ أمانة وصدق إنّه :

أ - أول معجم على طريقة البليوغرافيا الحديثة صدر في بابه.

ب - قد بُذلت في تأليفه جهود كبيرة كمّاً وكيفاً.

وعليه فنحن إذ نبارك للمؤلف جهده وصبره على إنجاز هذا العمل الكبير لا يفوتنا أن

نقترح عليه الإستمرار في إصدار الملاحق له تبعاً، ليوكب بها كل المستجدات في هذا الباب الحيوي من أبواب أصول المعرفة الإسلامية.

قَالَ الْأَئِمَّةُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

سَرِقًا وَغَرَبًا لَنْ تَجِدَ عِلْمًا صَحِيحًا إِلَّا
سَبِيحًا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ الْبَيْتِ .

بهارا المنوار ٢ : ٩٢

من القرن الأول إلى الرابع عشر الهجري

عبد الكريم زروق، دكتور

تحدثنا في ما سبق عن بعض الجوانب المهمة لحديث الثقلين، وهو بعد حديث طري في مضمونه، متجدد في عطائه، واضح في أهدافه. تصريح بين من لدن الرسول القائد، ظلت تحمله القلوب المؤمنة وتتناقله ألسن المسلمين على مر الأجيال. وقد أشرنا إلى أن الحديث يتمتع بميزات مهمة قل ما توافر في غيره من الأحاديث الكريمة وذلك لجهتين :

الجهة الأولى : تتعلق بسند الحديث الشريف، فالحديث مقطوع به من حيث الصدور، لأنه متواتر في النقل منذ صدوره الأول إلى يومنا هذا، فعند الرجوع إلى أسماء الرواة الناقلين له طيلة أربعة عشر قرناً نرى توافقهم على روايته بأسانيدهم المعتبرة الكثيرة، واهتمامهم البالغ بحفظه وضبطه وإخراجه قل ما نراه في أحاديث أخرى.

الجهة الثانية : تتعلق بمتن الحديث ودلالته الواضحة الرامية إلى رسم مسيرة الأمة الإسلامية، وحفظ كيائها من الإنزلاق والأخطار المحيطة بها. وهذا ما سنعود لتحدث عنه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا أسماء رواة الحديث من الصحابة والبالغ عددهم ٣٥ صحابياً وصحابة، والآن نشير إلى أسماء سائر الرواة ونبدأ بعهد التابعين ثم المحدثين والرواة والمخرجين للحديث من القرن الثاني وحتى القرن الرابع عشر الهجري، وقد راعينا التسلسل الزمني

لهؤلاء الرواة حسب سني الوفاة وضبطها عن طريق الرجوع إلى المصادر، ما عدا بعضهم، فإننا لم نثبت سنة وفاتهم، وذلك لأنَّ البعض من هؤلاء كانوا أحياء - أو لا يزالون أحياء - ومعاصرين لأصحاب المصادر الذين ترجموا لهم، والبعض الآخر من المتقدمين الذين لم تُضبط سني وفاتهم، وقد أدرجناهم حسب التسلسل الزمني وفقاً للقرائن التي ظفرنا بها.



رواة الحديث من التابعين :

- ١ - أبو الطفيل عامر بن واثلة، وعدّوه من الصحابة.
- ٢ - عطية بن سعيد العوفي.
- ٣ - حنش بن المعتمر.
- ٤ - الحارث الهمداني.
- ٥ - حبيب بن أبي ثابت.
- ٦ - علي بن ربيعة.
- ٧ - القاسم بن حسان.
- ٨ - حصين بن سبرة.
- ٩ - عمرو بن مسلم.
- ١٠ - أبو الضحى مسلم بن صبيح.
- ١١ - يحيى بن جعدة.
- ١٢ - الأصعب بن ثبّانة.
- ١٣ - عبد الله بن أبي رافع.
- ١٤ - المطلب بن عبد الله بن حنطب.
- ١٥ - عبد الرحمن بن أبي سعيد.
- ١٦ - عمر بن علي بن أبي طالب.
- ١٧ - فاطمة بنت علي بن أبي طالب.
- ١٨ - الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
- ١٩ - زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

رواة الحديث في القرن الثاني :

- ١ - حبيب بن أبي ثابت المتوفى ١١٩ هـ.
- ٢ - سعيد بن مسروق الثوري المتوفى ١٢٦ هـ.
- ٣ - أبو إسحق السبيعي الهمداني المتوفى ١٢٩ هـ.
- ٤ - الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري

- ١٦٠ هـ. المتوفى
- ١٧ - محمد بن طلحة بن مصرف
اليامي الكوفي المتوفى ١٦٧ هـ.
- ١٨ - أبو الجحاف داود بن أبي عوف
التميمي.
- ١٩ - صالح بن أبي الأسود الليثي.
- ٢٠ - أبو عوانة وضاح بن عبد الله
الشكري الواسطي البراز
- المتوفى ١٧٥ هـ.
- ٢١ - حسان بن إبراهيم بن عبد الله
الكرماني المتوفى ١٧٦ هـ.
- ٢٢ - شريك بن عبد الله القاضي
المتوفى ١٧٧ هـ.
- ٢٣ - أبو الجارود زياد بن المنذر
العبدى.
- ٢٤ - حاتم بن إسماعيل
المتوفى ١٨٦ هـ.
- ٢٥ - جرير بن عبد الحميد بن قرط
الضبي الكوفي المتوفى ١٨٨ هـ.
- ٢٦ - أبو الحسن علي بن مسهر
القرشي المتوفى ١٨٩ هـ.
- ٢٧ - أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن
- ١٣١ هـ. المتوفى الكوفي
- ٥ - محمد بن عمر بن علي بن أبي
طالب.
- ٦ - حكيم بن جبير.
- ٧ - أبو حيان يحيى بن سعد بن حيان
التمي الكوفي المتوفى ١٤٥ هـ.
- ٨ - عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة
المرزمي المتوفى ١٤٥ هـ.
- ٩ - سليمان بن مهران الأسدي
الكااهلي المعروف بالأعمش
المتوفى ١٤٧ هـ.
- ١٠ - زكريا بن أبي زائدة
المتوفى ١٤٨ هـ.
- ١١ - فطر بن خليفة المخزومي.
- ١٢ - محمد بن إسحق بن يسار
المدني المتوفى ١٥١ هـ.
- ١٣ - كثير بن زيد المتوفى ١٥٨ هـ.
- ١٤ - إسرائيل بن يونس السبيعي - أبو
يوسف الكوفي - المتوفى ١٦٠ هـ.
- ١٥ - معروف بن خربوذ المكي.
- ١٦ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة
بن مسعود الكوفي المسعودي

- مقسم الأسدي البصري المعروف بابن
عليّة المتوفّى ١٩٣ هـ.
- ٢٨- أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل
بن غزوان الضبّي الكوفي
المتوفّى ١٩٤ هـ.
- ٢٩- علي بن ثابت الجزري.
- ٣٠- كثير النّوّا.
- ٣١- عبد الله بن سنان الزهري.
- ٣٢- هارون بن سعد العجلي.
- ٣٣- عبد الله بن ثُمير الهمداني
المتوفّى ١٩٩ هـ.
- ٣٤- يونس بن أرقم الكندي.
- ٣٥- عثمان بن المغيرة الثقفي.
- ٣٦- زيد بن الحسن الأنماطي.
- ٤- جعفر بن عون المخزومي
المتوفّى ٢٠٦ هـ.
- ٥- الأسود بن عامر الشامي
المتوفّى ٢٠٨ هـ.
- ٦- يعلى بن عبيد الطنافسي
المتوفّى ٢٠٩ هـ.
- ٧- عبيد الله بن موسى العبسي.
- ٨- تليد بن سليمان المحاربي.
- ٩- هاشم بن القاسم أبو النظر
الكناني.
- ١٠- يحيى بن حمّاد بن أبي زياد
الشيباني المتوفّى ٢١٥ هـ.
- ١١- أبو غسان مالك بن إسماعيل
النهدي المتوفّى ٢١٩ هـ.
- ١٢- محمد بن سعيد بن سليمان ابن
الإصفهاني المتوفّى ٢٢٠ هـ.
- ١٣- محمد بن كثير العبدي.
- ١٤- سعيد بن سليمان الواسطي
المتوفّى ٢٢٥ هـ.
- ١٥- أبو جعفر محمد بن حبيب
الهاشمي البغدادي المتوفّى ٢٢٥ هـ.
- ١٦- عبد الله بن بكير الغنوي.
- رواة الحديث في القرن الثالث :
- ١- محمد بن عبد الله أبو أحمد
الزيري الحبال المتوفّى ٢٠٣ هـ.
- ٢- أبو عامر عبد الملك بن عمرو
العقدي المتوفّى ٢٠٤ هـ.
- ٣- يزيد بن هارون الواسطي
المتوفّى ٢٠٦ هـ.

- ١٧ - سعيد بن منصور الخراساني المتوفى ٢٢٧ هـ.
- ٢٩ - أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي المعروف بابن راهويه المتوفى ٢٣٨ هـ.
- ٣٠ - أبو محمد وهبان بن بقية بن عثمان الواسطي المتوفى ٢٣٩ هـ.
- ٣١ - جعفر بن حميد القرشي المتوفى ٢٤٠ هـ.
- ٣٢ - أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى ٢٤١ هـ.
- ٣٣ - إسماعيل بن موسى الفزاري بن بنت السدي المتوفى ٢٤٥ هـ.
- ٣٤ - سُفيان بن وكيع بن الجراح المتوفى ٢٤٧ هـ.
- ٣٥ - نصر بن عبد الرحمن بن بكار الناجي الكوفي الوشاء المتوفى ٢٤٨ هـ.
- ٣٦ - محمد بن يزيد أبو كرخويه الواسطي.
- ٣٧ - أبو محمد عبد بن حميد الكسي المتوفى ٢٤٩ هـ.
- ٣٨ - عباد بن يعقوب الرواجني الأسدي المتوفى ٢٥٠ هـ.
- ١٨ - داود بن عمرو الضبي.
- ١٩ - عمار بن نصر المروزي المتوفى ٢٢٩ هـ.
- ٢٠ - أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري البصري المتوفى ٢٣٠ هـ.
- ٢١ - أبو محمد خلف بن سالم المخرمي المهلبى، المتوفى ٢٣١ هـ.
- ٢٢ - منجاب بن الحارث التميمي المتوفى ٢٣١ هـ.
- ٢٣ - زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي المتوفى ٢٣٤ هـ.
- ٢٤ - عبد الرحمن بن صالح الأزدي المتوفى ٢٣٤ هـ.
- ٢٥ - أبو الفضل شجاع بن مخلد الفلاس البغوي المتوفى ٢٣٥ هـ.
- ٢٦ - أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥ هـ.
- ٢٧ - بشر بن الوليد الكندي المتوفى ٢٣٨ هـ.
- ٢٨ - محمد بن بكار بن الريان

- ٣٩ - نصر بن علي بن نصر بن علي
الجهضمي المتوفى ٢٥٠ هـ.
- ٤٠ - محمد بن المثنى أبو موسى
العنزي المتوفى ٢٥٢ هـ.
- ٤١ - يوسف بن موسى القطان
المتوفى ٢٥٣ هـ.
- ٤٢ - أبو محمد عبد الله بن عبد
الرحمن بن بهرام الدارمي السمرقندي
المتوفى ٢٥٥ هـ.
- ٤٣ - علي بن المنذر الطريقي الكوفي
المتوفى ٢٥٦ هـ.
- ٤٤ - مسلم بن الحجاج القشيري
النيسابوري المتوفى ٢٦١ هـ.
- ٤٥ - أحمد بن المنصور الرمادي
المتوفى ٢٦٥ هـ.
- ٤٦ - أحمد بن يونس أبو العباس
العتبي المتوفى ٢٦٨ هـ.
- ٤٧ - إبراهيم بن مرزوق بن دينار
المتوفى ٢٧٠ هـ.
- ٤٨ - الحسين بن علي بن جعفر.
- ٤٩ - محمد بن عبد الوهاب أبو أحمد
الفراء المتوفى ٢٧٢ هـ.
- ٥٠ - أبو عبد الله محمد بن يزيد بن
ماجة القزويني المتوفى ٢٧٢ هـ.
- ٥١ - أبو داود سليمان بن أشعث
السجستاني المتوفى ٢٧٥ هـ.
- ٥٢ - أبو قلابة عبد الملك بن محمد
الرقاشي البصري المتوفى ٢٧٦ هـ.
- ٥٣ - أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي
العوام بن يزيد بن دينار الرياحي التميمي
المتوفى ٢٧٦ هـ.
- ٥٤ - الحافظ يعقوب بن سفيان
الفسوي المتوفى ٢٧٧ هـ.
- ٥٥ - إبراهيم بن إسحاق القاضي أبو
إسحاق الزهري المتوفى ٢٧٧ هـ.
- ٥٦ - أبو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الترمذي المتوفى ٢٧٩ هـ.
- ٥٧ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن
عبيد بن سفيان بن قيس الأموي البغدادي
المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ هـ.
- ٥٨ - أبو عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي المتوفى ٢٨٥ هـ.
- ٥٩ - أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي
عاصم النبيل المعروف بابن أبي عاصم

الشياني المتوفى ٢٨٧ هـ.

٦٠ - محمد بن الفضل أبو جعفر

المسقطي المتوفى ٢٨٨ هـ.

٦١ - فهد بن سليمان النحاس

المصري.

٦٢ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن

أحمد بن حنبل الشياني المتوفى ٢٩٠ هـ.

٦٣ - أبو العباس أحمد بن يحيى

الشياني البغدادي المعروف بثعلب

المتوفى ٢٩١ هـ.

٦٤ - أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد

الخالق البزاز المتوفى ٢٩٢ هـ.

٦٥ - أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه

القباني المتوفى ٢٩٢ هـ.

٦٦ - أحمد بن القاسم الجوهري

المتوفى ٢٩٣ هـ.

٦٧ - الحافظ صالح جزيرة

المتوفى ٢٩٤ هـ.

٦٨ - أحمد بن يحيى الحلواني

المتوفى ٢٩٦ هـ.

٦٩ - الحافظ أبو جعفر المطين محمد

بن عبد الله بن سليمان المتوفى ٢٩٧ هـ.

رواة الحديث في القرن الرابع :

١ - الحافظ الحسن بن سفيان النسوي

المتوفى ٣٠٣ هـ.

٢ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب

بن علي النسائي المتوفى ٣٠٣ هـ.

٣ - الحافظ أبو يحيى زكريا بن يحيى

الساجي المتوفى ٣٠٧ هـ.

٤ - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى

بن يحيى التميمي الموصلي

المتوفى ٣٠٧ هـ.

٥ - العباس بن أحمد أبو حبيب البرتي

المتوفى ٣٠٨ هـ.

٦ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى ٣١٠ هـ.

٧ - أبو بشير محمد بن أحمد الدولابي

المتوفى ٣١٠ هـ.

٨ - أبو بكر محمد بن إسحق بن

خزيمة النيسابوري المتوفى ٣١١ هـ.

٩ - أبو بكر محمد بن محمد بن

سليمان بن الحارث الباغندي الواسطي

البغدادي المتوفى ٣١٢ هـ.

- ١٠ - أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري ثم الأسفراييني المتوفى ٣١٦ هـ.
- ١١ - أبو بكر بن أبي داود السجستاني المتوفى ٣١٦ هـ.
- ١٢ - أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المتوفى ٣١٧ هـ.
- ١٣ - الحسن بن مسلم الصنعائي.
- ١٤ - الحافظ الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة المتوفى ٣٢١ هـ.
- ١٥ - أبو جعفر العقيلي محمد بن عمرو بن حماد المتوفى ٣٢٢ هـ.
- ١٦ - أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المتوفى ٣٢٨ هـ.
- ١٧ - أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المعروف بالأنباري المتوفى ٣٢٨ هـ.
- ١٨ - أبو عبد الله حسين بن إسماعيل بن محمد الضبي المحاملي المتوفى ٣٣٠ هـ.
- ١٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة المتوفى ٣٣٢ هـ.
- ٢٠ - الحسن بن يعقوب أبو الفضل البخاري المتوفى ٣٤٢ هـ.
- ٢١ - أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم الشيباني المتوفى ٣٤٤ هـ.
- ٢٢ - أبو محمد عبد الله بن جعفر الاصبهاني المتوفى ٣٤٦ هـ.
- ٢٣ - محمد بن أحمد بن تميم الخياط القنطري المتوفى ٣٤٨ هـ.
- ٢٤ - أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني المتوفى ٣٥١ هـ.
- ٢٥ - أبو محمد دعلج بن أحمد بن دعلج السجزي المعدل المتوفى ٣٥١ هـ.
- ٢٦ - أبو بكر محمد بن عمر بن مسلم التميمي المعروف بابن الجعابي المتوفى ٣٥٥ هـ.
- ٢٧ - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى ٣٦٠ هـ.
- ٢٨ - أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب القطيعي المتوفى ٣٦٨ هـ.

رواة الحديث في القرن الخامس :

١ - أبو عبيد الله الهروي صاحب

الغريبين المتوفى ٤٠١ هـ.

٢ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله

الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هـ.

٣ - أبو سعد عبد الملك بن محمد

الواعظ النيسابوري الخرکوشي

المتوفى ٤٠٧ هـ.

٤ - يحيى بن إبراهيم أبو زكريا المزكى

النيسابوري المتوفى ٤١٤ هـ.

٥ - القاضي عبد الجبار بن أحمد

المعتزلي المتوفى ٤١٤ هـ.

٦ - أبو اسحق أحمد بن محمد بن

إبراهيم الثعلبي المتوفى ٤٢٧ هـ.

٧ - أبو نعيم أحمد بن عبد الله

الاصفهاني المتوفى ٤٣٠ هـ.

٨ - أبو الفرج محمد بن عبد الله بن

أحمد بن شريد الإصفهاني.

٩ - أبو نصر محمد بن عبد الجبار

العتبي.

١٠ - أبو سعد الكنجرودي محمد بن

عبد الرحمن المتوفى ٤٥٢ هـ.

٢٩ - الحافظ أبو الشيخ بن حيان

البستي المتوفى ٣٦٩ هـ.

٣٠ - أبو منصور محمد بن أحمد بن

طلحة الأزهرى اللغوي المتوفى ٣٧٠ هـ.

٣١ - محمد بن أحمد بن بالويه

المتوفى ٣٧٤ هـ.

٣٢ - محمد بن أحمد بن حمدان أبو

عمرو الحيري المتوفى ٣٧٦ هـ.

٣٣ - أبو الحسين محمد بن المظفر بن

موسى بن عيسى البغدادي

المتوفى ٣٧٩ هـ.

٣٤ - عبد الله بن أحمد بن حمويه

الحموي المتوفى ٣٨١ هـ.

٣٥ - أبو الحسن علي بن عمر بن

أحمد الدارقطني المتوفى ٣٨٥ هـ.

٣٦ - الحافظ أبو الحسن علي بن عمر

بن شاذان السكزي المتوفى ٣٨٦ هـ.

٣٧ - أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن

المخلص الذهبي المتوفى ٣٩٣ هـ.

٣٨ - أبو محمد سليمان بن داود

البغدادي.

٢٠ - أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي المتوفى ٤٨٨ هـ.
٢١ - أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني المتوفى ٤٨٩ هـ.

رواة الحديث في القرن السادس :

١ - أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٥٠٧ هـ.
٢ - أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي الشيباني المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى ٥٠٧ هـ.
٣ - أبو شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فتاخسرو الديلمي الهمداني المتوفى ٥٠٩ هـ.
٤ - أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي المعروف بمحيي السنة المتوفى ٥١٦ هـ.
٥ - أبو بكر المزرفي محمد بن الحسين الشيباني المتوفى ٥٢٧ هـ.
٦ - أبو عبد الله محمد بن العمري المتوفى البوشنجي.

١١ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ.
١٢ - أبو بكر أحمد بن عبيد الله بن خلف الشيرازي.
١٣ - أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي المعروف بابن بشران المتوفى ٤٦٢ هـ.
١٤ - أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ.
١٥ - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ.
١٦ - ابن الغريق أبو الحسين ابن المهدي بالله المتوفى ٤٦٥ هـ.
١٧ - أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي البوشنجي المتوفى ٤٦٧ هـ.
١٨ - أبو محمد حسن بن أحمد بن موسى الفندجاني المتوفى ٤٦٧ هـ.
١٩ - أبو الحسن علي بن محمد بن الطيب الجلابي المعروف بابن المغازلي المتوفى ٤٨٣ هـ.

المكّي المعروف بأخطب خوارزم
المتوفى ٥٦٨ هـ.

١٨ - الحافظ أبو العلاء الحسن بن
أحمد العطار الهمداني المتوفى ٥٦٩ هـ.

١٩ - أبو القاسم علي بن الحسين بن
هبة الله المعروف بابن عساكر
المتوفى ٥٧١ هـ.

٢٠ - عمر بن عيسى الخطيبي
الدهلقي.

٢١ - محمد بن عمر بن أحمد بن عمر
الاصبهاني المعروف بأبي موسى
المديني المتوفى ٥٨١ هـ.

٢٢ - أبو عبد الله محمد بن مسلم بن
أبي الفوارس الرازي.

٢٣ - سراج الدين أبو محمد علي بن
عثمان بن محمد الأوشي الفرغاني
الحنفي المتوفى ٥٩٦ هـ.

رواة الحديث في القرن السابع :

١ - أبو الفتح أسعد بن محمود بن
خلف المجلي الاصفهاني
المتوفى ٦٠٠ هـ.

٧ - محمد بن حمويه الجويني
المتوفى ٥٣٠ هـ.

٨ - أبو نصر الطوسي أحمد بن علي
المعروف بابن العراقي.

٩ - زاهر بن طاهر أبو القاسم
الشحامي المستملي المتوفى ٥٣٣ هـ.

١٠ - أبو الحسين رزين بن معاوية
العبدري المتوفى ٥٣٥ هـ.

١١ - جـار الله الزمخشري
المتوفى ٥٣٨ هـ.

١٢ - أبو البركات عبد الوهاب بن
المبارك بن أحمد الأنماطي البغدادي
المتوفى ٥٣٨ هـ.

١٣ - القاضي أبو الفضل عياض بن
موسى اليحصبي المتوفى ٥٤٤ هـ.

١٤ - القاضي أبو محمد بن عطية
المحاربي الغرناطي المتوفى ٥٤٦ هـ.

١٥ - أبو محمد أحمد بن محمد بن
علي العاصمي.

١٦ - أبو الفضل بن ناصر السلامي
البغدادي المتوفى ٥٥٠ هـ.

١٧ - أبو المؤيد موفق بن أحمد

- ٢ - المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى ٦٠٦ هـ.
- ٣ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى ٦٠٦ هـ.
- ٤ - أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي البغدادى المتوفى ٦١١ هـ.
- ٥ - أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ.
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن النجار المتوفى ٦٤٢ هـ.
- ٧ - ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المتوفى ٦٤٣ هـ.
- ٨ - رضي الدين حسن بن محمد الصغاني المتوفى ٦٥٠ هـ.
- ٩ - أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الشافعي المتوفى ٦٥٢ هـ.
- ١٠ - شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي سبط ابن الجوزي المتوفى ٦٥٤ هـ.
- ١١ - أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي الأنصاري المتوفى ٦٥٦ هـ.
- ١٢ - عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي المتوفى ٦٥٦ هـ.
- ١٣ - أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ هـ.
- ١٤ - أبو الفتح محمد بن محمد بن أبي بكر الأبيوردي الشافعي المتوفى ٦٦٧ هـ.
- ١٥ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦ هـ.
- ١٦ - الحافظ محيي الدين النووي المتوفى ٦٧٦ هـ.
- ١٧ - شرف الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عبد الواحد الموصللي.
- ١٨ - القاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى ٦٨٥ هـ.
- ١٩ - محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي المتوفى ٦٩٤ هـ.
- ٢٠ - سعيد الدين محمد بن أحمد الفرغاني المتوفى ٦٩٩ هـ.

٨ - علاء الدين علي بن محمد بن

إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن
المتوفى ٧٤١ هـ.

٩ - فخر الدين الهانسي.

١٠ - ولي الدين أبو عبد الله محمد بن

عبد الله الخطيب المتوفى ٧٤١ هـ.

١١ - أبو الحجاج يوسف بن عبد

الرحمن بن يوسف المزي
المتوفى ٧٤٢ هـ.

١٢ - حسن بن محمد الطيبي

المتوفى ٧٤٣ هـ.

١٣ - شمس الدين محمد بن المظفر

الشاهرودى الخلخالى المتوفى ٧٤٥ هـ.

١٤ - أثير الدين أبو حيان الأندلسي

المتوفى ٧٤٥ هـ.

١٥ - شمس الدين أبو عبد الله محمد

بن أحمد الذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ.

١٦ - علاء الدين بن التركمانى الحنفى

المتوفى ٧٤٩ هـ.

١٧ - جمال الدين محمد بن يوسف

بن الحسن الزرندي المدينى الأنصارى
المتوفى بعد سنة ٧٥٠ هـ.

٢١ - نظام الدين حسن بن محمد بن

حسين القمى النيسابورى المعروف
بـ (النظام الأعرج).

رواة الحديث فى القرن الثامن :

١ - جمال الدين أبو الفضل محمد بن

مكرم الأنصارى الإفريقى المصرى
المتوفى ٧١١ هـ.

٢ - صدر الدين أبو المجمع إبراهيم

بن محمد بن المؤيد الحمونى
المتوفى ٧٢٢ هـ.

٣ - ظهير الدين عبد الصمد الفارقى

الفارابى.

٤ - زين العرب على بن عبد الله بن

أحمد.

٥ - بدر الدين أبو محمد الحسن بن

حبيب الحلبي.

٦ - نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن

محمد بن مكّي بن ياسين القمولى
المتوفى ٧٢٧ هـ.

٧ - ابن تيمية الحرّانى

المتوفى ٧٢٨ هـ.

- ١٨ - سعيد الدين محمد بن مسعود
بن محمد الكازروني المتوفى ٧٥٨ هـ.
- ١٩ - إسماعيل بن عمرو بن كثير
القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ.
- ٢٠ - شمس الدين محمد بن الحسن
الواسطي المتوفى ٧٧٦ هـ.
- ٢١ - السيد علي بن شهاب الدين
الهمداني المتوفى ٧٨٦ هـ.
- ٢٢ - السيد محمد الطالقاني.
- ٢٣ - سعد الدين مسعود بن عمر
الفتازاني المتوفى ٧٩١ هـ.
- ٢٤ - حسام الدين أبو عبد الله حميد
بن أحمد المحلي.
- ٤ - أبو العباس تقي الدين المقرئ
المتوفى ٨٤٥ هـ.
- ٥ - عثمان بن حاجي بن محمد
الهروي.
- ٦ - ملك العلماء شهاب الدين بن
شمس الدين الزاولي الدولت آبادي
المتوفى ٨٤٩ هـ.
- ٧ - الحافظ ابن حجر العسقلاني
المتوفى ٨٥٢ هـ.
- ٨ - نور الدين علي بن محمد
المعروف بابن الصبّاغ المالكي
المتوفى ٨٥٥ هـ.

رواة الحديث في القرن العاشر :

- ١ - أبو الخير محمد بن عبد الرحمن
السخاوي المتوفى ٩٠٢ هـ.
- ٢ - حسين بن علي الكاشفي
المتوفى ٩١٠ هـ.
- ٣ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي
بكر السيوطي المتوفى ٩١١ هـ.
- ٤ - نور الدين علي بن عبد الله
السمهودي المتوفى ٩١١ هـ.
- رواة الحديث في القرن التاسع :
- ١ - نور الدين علي بن أبي سليمان بن
سليمان الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ.
- ٢ - مجد الدين محمد بن يعقوب
الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى ٨١٧ هـ.
- ٣ - محمد بن محمود الحافظي
البخاري النقشبندي المعروف
بـ (خواجه پارسا) المتوفى ٨٢٢ هـ.

- ٥ - الفضل بن روز بهان الخنجي الشيرازي.
٦ - شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي المتوفى ٩٢٣ هـ.
٧ - شمس الدين محمد العلقي المتوفى ٩٢٩ هـ.
٨ - عبد الوهاب بن محمد بن رفيع الدين البخاري المتوفى ٩٣٢ هـ.
٩ - شمس الدين محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي المتوفى ٩٤٢ هـ.
١٠ - الحافظ ابن الديبع الشيباني المتوفى ٩٤٣ هـ.
١١ - شمس الدين بن طولون الدمشقي المتوفى ٩٥٣ هـ.
١٢ - محمد بن أحمد الشربيني الخطيب المتوفى ٩٦٨ هـ.
١٣ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي المتوفى ٩٧٣ هـ.
١٤ - علي بن حسام الدين المتقي المتوفى ٩٧٥ هـ.
١٥ - محمد طاهر الفتني الكجراتي المتوفى ٩٨٦ هـ.
١٦ - عباس بن معين الدين الشهر بميرزا مخدوم الجرجاني ثم الشيرازي المتوفى ٩٨٨ هـ.
١٧ - الشيخ ابن عبد الله بن شيخ عبد الله العيدروسي اليمني المتوفى ٩٩٠ هـ.
١٨ - كمال الدين بن فخر الدين الجهمي.
١٩ - محمد بن أحمد بن مصطفى بن ابراهيم الصوفي المدعو ببدر الدين الرومي.
٢٠ - عطاء الله بن فضل الله الشيرازي المعروف بجمال الدين المحدث المتوفى ١٠٠٠ هـ.
- رواة الحديث في القرن الحادي عشر:**
- ١ - علي بن السلطان محمد الهروي المعروف بعلي القاري المتوفى ١٠١٤ هـ.
٢ - عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي المتوفى ١٠٣١ هـ.
٣ - الملا يعقوب البنياني اللاهوري.

- ٤- نور الدين علي بن إبراهيم بن علي الحلبي الشافعي المتوفى ١٠٣٣ هـ.
- ٥- أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي المتوفى ١٠٣٧ هـ.
- ٦- محمود بن محمد بن علي الشبخاني القادري المدني.
- ٧- السيد محمد بن السيد جلال ماه عالم البخاري المتوفى ١٠٤٥ هـ.
- ٨- الشيخ عبد الحق الدهلوي المتوفى ١٠٥٢ هـ.
- ٩- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي المتوفى ١٠٦٩ هـ.
- ١٠- علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم العزيزي البولاقى الشافعي المتوفى ١٠٧٠ هـ.
- ١١- محمد بن محمد بن سليمان السوسي المغربي المتوفى ١٠٩٤ هـ.
- رواة الحديث في القرن الثاني عشر:
- ١- صالح بن مهدي بن علي المقبل
- الصنعاني المتوفى ١١٠٨ هـ.
- ٢- عبد الملك العصامي المكي المتوفى ١١١١ هـ.
- ٣- محمد أمين المحبي المتوفى ١١١١ هـ.
- ٤- أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشي المتوفى ١١١٣ هـ.
- ٥- ابن حمزة الحسيني المتوفى ١١٢٠ هـ.
- ٦- محمد بن عبد الباقي بن يوسف الأزهرى الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢ هـ.
- ٧- حسام الدين بن محمد بايزيد بن بديع الدين السهاريوري.
- ٨- الميرزا محمد بن معتمد خان الحارثي البدخشي.
- ٩- رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر الحسيني الشامي الشافعي المتوفى ١١٤٢ هـ.
- ١٠- عبد القني النابلسي المتوفى ١١٤٣ هـ.
- ١١- محمد صدر العالم.

- ١٢ - إبراهيم الشبراوي المتوفى ١١٦٢ هـ.
- ١٣ - ولي الدين بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى ١١٧٦ هـ.
- ١٤ - محمد معين بن محمد أمين السندي.
- ١٥ - محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الصنعاني المتوفى ١١٨٢ هـ.
- ١٦ - محمد بن علي الصبان.
- ١٧ - أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الزبيدي النجفي.
- ١٨ - أحمد بن عبد القادر بن بكر العجيلي الشافعي المتوفى ١١٨٢ هـ.
- ٤ - جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد العلي المعروف بميرزا حسن علي المحدث اللكهنوي.
- ٥ - عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي پوري المتوفى ١٢٦٧ هـ.
- ٦ - ولي الله بن حبيب الله اللكهنوي المتوفى ١٢٧٠ هـ.
- ٧ - رشيد الدين خان الدهلوي.
- ٨ - عاشق علي خان اللكهنوي.
- ٩ - السيد سليمان بن إبراهيم المعروف بخواجه كلان الحسيني البلخي القندوزي المتوفى ١٢٩٤ هـ.
- ١٠ - المولوي حسن الزمان.

رواة الحديث في القرن الرابع عشر:

- ١ - الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المتوفى ١٣٠٣ هـ.
- ٢ - أحمد زيني دحلان المتوفى ١٣٠٤ هـ.
- ٣ - أحمد ضياء الدين الكمشخاوي.
- ٤ - المولوي صديق حسن خان

رواة الحديث في القرن الثالث عشر:

- ١ - مير غني الحسيني المتوفى ١٢٠٧ هـ.
- ٢ - محمد مبین بن محب الله اللكهنوي المتوفى ١٢٢٠ هـ.
- ٣ - محمد إكرام الدين بن محمد نظام الدين بن محب الحق الدهلوي.

المتوفى ١٣٠٧ هـ. ١٠ - محمد بن عبد الرحمن

٥ - مؤمن بن حسن الشبلنجي المباركفوري.

المتوفى ١٣٠٨ هـ. ١١ - أحمد البنا الساعاتي.

٦ - بهجب بهلول أفندي. ١٢ - عبد الله الشافعي.

٧ - يوسف بن إسماعيل النبهاني. ١٣ - محمود أبو رية.

المتوفى ١٣٥٠ هـ. ١٤ - توفيق أبو علم.

٨ - الشيخ منصور علي ناصف. ١٥ - حبيب الرحمن الأعظمي.

المصري المتوفى بعد ١٣٧١ هـ. * * *

٩ - العباس بن أحمد اليمني.

وختاماً نكمل هذا الاستقراء بذكر مجموع أعداد الرواة حسب توالي القرون:

١ - رواية حديث الثقلين من الصحابة ٣٥.

٢ - رواية حديث الثقلين من التابعين ١٩.

٣ - رواية حديث الثقلين في القرن الثاني ٣٦.

٤ - رواية حديث الثقلين في القرن الثالث ٦٩.

٥ - رواية حديث الثقلين في القرن الرابع ٣٨.

٦ - رواية حديث الثقلين في القرن الخامس ٢١.

٧ - رواية حديث الثقلين في القرن السادس ٢٣.

٨ - رواية حديث الثقلين في القرن السابع ٢١.

٩ - رواية حديث الثقلين في القرن الثامن ٢٤.

١٠ - رواية حديث الثقلين في القرن التاسع ٨.

١١ - رواية حديث الثقلين في القرن العاشر ٢٠.

١٢ - رواية حديث الثقلين في القرن الحادي عشر ١١.

١٣- رواية حديث الثقلين في القرن الثاني عشر ١٨.

١٤- رواية حديث الثقلين في القرن الثالث عشر ١٠.

١٥- رواية حديث الثقلين في القرن الرابع عشر ١٥.

المجموع: ٣٦٨

المصادر

١- عباة الأنوار، المجلد الثاني في حديث الثقلين، السيد حامد حسين اللكهنوي الهندي النشابوري.

٢- خلاصة عباة الأنوار، الجزء ١ و٢، السيد علي الحسيني الميلاني.

٣- وفيات الأعيان لابن خلكان.

٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي.

٥- مصابيح السنة، (الفهارس العامة)، للبغوي.

٦- إثبات الهداة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي.

٧- المراجعات، الإمام عبد الحسين شرف الدين. وسبيل النجاة في تمة

المراجعات، بقلم الشيخ حسين الراضي.

٨- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف إيان سركيس.

٩- المنجد في الأعلام.

١٠- قاموس الزركلي، الأعلام، خير الدين الزركلي.

سبحان الله العظيم

هل تمثل المرجعية الدينية - في نطاقها الشرعي - المرجعية في الفتيا والقضاء، فليس للمرجع أن يتدخل في الشؤون العامة للناس من موقع الشرعية الملزمة التي يملكها في موقعه، بل يقتصر على شؤون الفقه والقضاء؟ أو أنها تمثل المرجعية العامة التي تجعل منه مفتياً وقاضياً وحاكماً عاماً للناس بحيث ينفذ حكمه في الأحكام والخصومات والموضوعات؟

هذا سؤال لا بد لنا من طرحه لنحدد الجواب عنه من خلال الآراء الفقهية المختلفة في صلاحيات المجتهد فيما يجب على الناس الإلتزام به.

هناك اتجاهات فقهية ثلاثة:

الاتجاه الأول: إن الفقيه نائب الإمام - في النظرية الشيعية الإمامية - فهو يملك من السلطات ما يملكه الإمام - إلا ما ثبت اختصاصه بالإمام - فله حق الفتيا في القضايا الشرعية، وللعموم أن يقلدوه في ذلك، وله حق القضاء بين الناس، فلهم الرجوع إليه في خصوماتهم، وعليهم الإلتزام بحكمه حتى لو كانوا من الفقهاء الذين يختلف رأيهم الفقهي عن رأيه.

وله حق الولاية على الناس، فيجب عليهم الإلتزام بكل أحكامه في شؤونهم العامة والخاصة التي تتحرك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السلطة الحاكمة التي

تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا هو المعروف بولاية الفقيه.

الإتجاه الثاني : إنَّ الفقيه يملك سلطة الفتيا والقضاء، ويملك إصدار الأحكام في الموضوعات العامة أو الخاصة فينفذ حكمه فيها، كما ينفذ حكمه في القضايا الشرعية.. ولكنه لا يملك الولاية العامة، فيكون موقع حكمه في الموضوعات التي قد تحتاج الأمة إلى إثباتها بحكم الحاكم كثبوت الهلال ونحوه كما هو موقع حكمه في باب القضاء فينفذ على الناس جميعاً سواء أكانوا مجتهدين أم مقلّدين، وهذا هو المعروف بحجّة حكم الحاكم في الأحكام والموضوعات.

الإتجاه الثالث : هو الذي يسلب عن المجتهد سلطة إصدار الأحكام في الموضوعات، فليس له الحقّ في ذلك، ولا يجب على الناس إطاعته فيها، فلو أصدر حكماً في ثبوت الهلال في شهر رمضان فلا يجب على الناس - حتّى إذا كانوا مقلّدين له - الصيام، لأنّ حكمه ليس حجة عليهم، إلّا إذا أوجب لهم الإطمئنان الذاتي.

إنّا نلاحظ - في هذا الإتجاه الأخير - اقتصار دور المرجعية على الفتيا والقضاء، فلا تتعدّاه إلى غيرهما إلّا في دائرة الولاية على شؤون القاصرين والغائبين، وبعض الموارد الخاصة كالأوقاف ونحوها، ممّا يدخل في دائرة الأمور الحسينية التي تقطع بأنّ الله لا يرضى بضياعها بل يريد للناس كلّهم أن يقوموا بها بنحو خاصّ. وربّما جعل بعض الفقهاء الذين يلتزمون هذا الإتجاه، الولاية للفقيه على إقامة الحدود بين الناس ليكون موسّعاً لمركز القضاء، فيكون له السلطة على الجانب التنفيذي بالإضافة إلى سلطة إصدار الأحكام.

وفي ضوء ذلك لا مجال للمرجعية الدينية العامة في موقع المجتهد حتّى لو كان يملك المرجعية في التقليد، فليس له التدخّل في الشؤون العامة للناس من موقعه المرجعي، بل يكون رأيه مجرد رأي شخصي، كبقية الآراء الصادرة عن الآخرين الذين لا يملكون أي موقع ديني عام، فللناس أن يقبلوه أو أن يرفضوه، تبعاً لما تفرضه قناعاتهم

من ذلك.

أما في الاتجاه الثاني، فقد نجد له موقفاً أكثر فاعليّة في الشؤون المتّصلة بحياة الناس، لكن ذلك يبقى في دائرة الموضوعات التي تحتاج إلى الإثبات - في غير باب الخصومات - ممّا يملك فيه الحاكم الشرعي وسائل ثبوته.. فلا يتعدّاه إلى التدخل في شؤون الناس من موقع السلطة العامّة التي تفرض عليهم التزاماً سياسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، فيما لا يقتنعون به أو يرفضونه، وفي ضوء ذلك فإنّ مرجعيّته تتّصل بدائرة حجّية رأيه في الإثبات في الموضوعات العامّة، فلا تقتصر على جانب الحجّية في الإثبات في باب القضاء.

وببقى الاتجاه الأوّل هو الاتجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلامياً عاماً، إذا كان مؤهلاً للتقليد بحيث كان جامعاً لشروطه لأنّه يمثل القيادة الإسلاميّة التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامّة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواء أكان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متّسعة لكلّ ما تتّسع له ولاية النبي والإمام في صفة الحاكميّة، أو التي تجعل لها حدوداً ضيّقة تختلف عنهما في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصيّة النبوة والإمامة بعض المميّزات في ذلك كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الابتدائي.

وفي هذا الاتجاه يمكن للمجتهد الفقيه أن يعمل على التحرك في الأمور العامّة خارج نطاق الدولة في المناطق التي لا يحكمها الإسلام في شريعته الشاملة، كما يعمل على التخطيط لبناء الدولة بكلّ الوسائل الشرعيّة المطروحة بين يديه فيكون قائداً في الحرب وحاكماً في السلم ومرجعاً في الأمور الجزئية والكليّة التي تحتاج إلى قرار شرعيّ حاسم.

أما في الاتجاهين الأولين، فقد يمكن للأمة أن ترجع إليه في غير دائرة الإلزام، فيما قد تحتاجه من الموقع الذي يملك الإحترام والخضوع الروحي والثقة الدينيّة ممّا يحصل

عليه المجتهد المقلد من خلال رجوع الناس إليه في التقليد؛ حيث يملك من إمكانيات التأثير ما لا يملكه غيره من الفعاليات السياسية أو الاجتماعية، فيمكن له أن يتحرك في الظروف الصعبة التي تحتاج فيها الحركة إلى الرمز الذي يوحد الأمة ويحرك مواقعها على الطريقة الشرعية فيما تفرضه الوقائع من مجريات الأحكام، ولن يكون قراره في إصدار التعليمات السياسية أو العسكرية نافذاً من حيث هو قرار قيادي ملزم، بل من حيث هو كاشف عن شرعية التحرك في تحديده للتكليف الشرعي، فيما يمكن للمكلف أن يستقل فيه بشكل فردي أو جماعي تبعاً للدائرة التي يتحرك فيها هذا التكليف.. أو من حيث هو مبيّن للمصلحة العامة الملزمة التي قد تفرض حكماً شرعياً ملزماً على أساس العناوين الثانوية.

وربما تفرض المصلحة العامة قيادة الفقيه في بعض المواقع أو المواقف على أساس الظروف الطارئة الدقيقة التي تمرّ بالمسلمين فيما يواجهونه من التحديات السياسية والعسكرية في ساحة الصراع، بحيث ترتبط المسألة بالقضايا المصيرية التي لا يمكن أن تُترك في منطقة الفراغ القيادي، فيدور الأمر بين قيادة الفقيه العادل الذي يملك تقوى القرار، كما يملك تقوى التنفيذ من خلال معرفته بحدود الله، وخوفه من الله، لا سيما في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وبين قيادة غيره الذي لا يملك ما يملكه الفقيه من ذلك، أو لا يصل إلى مستواه في كل الأمور إذا كان يشاركه في بعضها.. وحينئذ يطرح الأصوليون حكم العقل القطعي بتعيين الفقيه للقيادة لدوران الأمر بين التعيين أو التخيير، لأنّ الضرورة التي تفرض وجود القيادة تفرض براءة الذمة بالسير مع الفقيه في قيادته لأنّه طرف في دائرة التخيير، ومتعيّن في احتمالات التعيين.. بينما لا تفرض براءة الذمة مع غيره على كلّ حال.

ولعلّ هذا التخيير للمسألة، يطرح الحلّ في قيادة الفقيه للدولة بعد قيامها، حتّى لو لم يجد لنفسه الولاية على الناس بالنظرية الأولى فيما هو الحكم الشرعي الأولي، لأنّه

يجد نفسه ملزماً بالقيام بهذه المهمة في نطاق الظروف التي تتحرك في حجم الضرورة بالنظرة الثانوية فيما هو الحكم الشرعي الثانوي.

وبقي للفقهاء أن يحدّد الضرورة الملزمة من خلال خبرته أو خبرة الآخرين الذين يملكون عمق المعرفة للمصالح العامة للمسلمين ليتحرك على هذا الأساس.

وربما كانت مشكلة الكثيرين من الفقهاء أنهم يعيشون في عزلة عن حركة الواقع الإسلامي، في القضايا السياسية، فلا يستشعرون الأخطار التي تحيط بالمسلمين في بعض الظروف الصعبة التي تهدّد الإسلام في الصميم في وجوده الفكري والتشريعي حتّى على مستوى الأفراد، أو تهدّد المسلمين في قضاياهم المصيرية في خطّ الحرية والعدالة، بالمستوى الذي يفرض على العلماء الفقهاء أن يتحركوا ليحرّكوا الأمة حسب الطاقات التي يملكونها.

وربما يحيط ببعضهم في دائرة المرجعية بعض الأصحاب والمستشارين الذين لا يؤمنون بالتحرّك الفاعل لا سيّما إذا كان يؤدّي إلى بعض الأخطار على نظرة بعض القواعد الشعبية أو الرسمية للمرجعية بطريقة سلبية، لأنّ مثل هؤلاء قد يستغرقون في مصلحة نجاح المرجعية من ناحية ذاتية، أكثر ممّا يستغرقون في نجاح الإسلام من خلال مواقعها العامة. فيحجبون عن المرجع المقلّد كثيراً من المعلومات الضرورية التي توضّح الرؤية بشكل جيّد، أو يمنعون الجهات الفاعلة الواعية التي يمكن أن تعرّفه غوامض القضايا ودقائق الأمور.

وقد يهولون عليه الوضع بحيث يشعر بعدم القدرة على مواجهة المشاكل، ويصل إلى بعض القناعات التي قد يجد فيها المفسدة في التحرك غالباً على المصلحة ليكون الحكم الشرعي في نطاق المنع لا الرخصة.

وقد يقودونه إلى التحرك في الاتجاه الآخر المضادّ الذي فرض نفسه ودوره على الواقع من خلال قوّة الظلم وأجهزة الاستكبار.. وذلك من خلال الفكرة القائلة بأنّ على

الناس مجاملة الظالم والإنسجام معه في حكمه في الحالات التي لا يستطيع الناس فيها أن يعارضوه أو يسقطوه، لأنّ في ذلك حفاظاً على مصالح الناس العامة والخاصة التي قد تضيق في خط المقاطعة أو المواجهة.

وهكذا تفقد الأمة طاقةً كبيرةً فاعلةً في موقع المرجعية بفعل بعض المحيطين به، أو بفعل العزلة عن الواقع العام وقد يتخذ بعض الناس مثل هذا الاتجاه العملي حجةً على القعود والإنكفاء والإبتعاد عن التيار الإسلامي الحركي بحجة أنه لا يمثل الشرعية الإسلامية، لأنها تحتاج إلى رأي الفقيه الذي لا يرضى للحركة أن تنطلق في مواقع الخطر لأنه لا يرى المصلحة للإسلام والمسلمين في ذلك.

إنّ النقطة التي نحب إثارتها في هذا المجال هي أنّ موقع الفقيه لا سيّما إذا كان مرجعاً، فيما هي المرجعيّات الصغيرة أو الكبيرة، يمثل الموقع المتقدم في حياة الأمة حيث تجد فيه الشخص الذي تمثّل كلمته أو حركته الموقف الشرعي المبريء للذمة أمام الله.

ولذلك فإنّ إيجابيته أو سلبيته تجاه القضايا العامة تترك تأثيرها الإيجابي والسلبي على مجمل النتائج العملية.. حتّى لو كان لا يرى لنفسه الصلاحيّة الشرعيّة في ولاية أمور المسلمين في مثل هذه القضايا، لأنّه لا يرى حجّة حكم الحاكم في الموضوعات، أو لأنّه لا يرى ولاية الفقيه العامة.. لأنّ المسألة تتصل بالمستوى الواقعي لموقعه الديني في تأثيره الاجتماعي أو السياسي.

وفي ضوء ذلك، فإنّنا لا نتحدّث عن ضغوط يمارسها العاملون عليه، بل نتحدّث عن انفتاح على الواقع كلّ من أجل التدقيق في الموضوعات الواقعيّة التي قد تحتزن المصلحة الملزمة أو العناوين المختلفة عن الطابع الذاتي للأشياء، فتحدّد له تكليفه في مواقفه، كما تحدّد للناس مواقعهم في هذا التكليف.

وإذا كان بعض الناس يجد أنّ مهمّة الفقيه الإجهاديّة لا تتدخّل في الموضوعات بل

تقتصر على التدخل في الأحكام، فإننا نشير إلى حقيقة مهمة، وهي أن بعض القضايا المصيرية قد تفرض التكليف من جهة أخرى، وهي الأهمية الكبرى التي يتوقف عليها حفظ النفوس والأموال والأعراض، بحيث لا يكون إهمالها والإبتعاد عن النظر فيها عذراً شرعياً على كل حال.

وربما كانت هذه الأمور تمثل تكليف الإنسان المسلم بقطع النظر عن صفته العلمية أو السياسية أو الإجتماعية إلا بمقدار ما يكون للصفة من دور في حجم التأثير في الموقف.. وربما كانت بعض هذه الأمور خاضعة لعنوان الإهتمام بأمور المسلمين من الناحية الفكرية أو العملية، أو لعنوان الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم من الكافرين والمستكبرين.

وأخيراً إننا نعرف - جيداً - أن هناك ظروفاً لا تمنح الفقيه - أو أي عنصر ثقافي أو إجتماعي فاعل - قدرة على الحركة أو على المواجهة لأنها تحاصر الأعمال الحركية بشكل ضاغط لا يسمح بأي نشاط إلا بما يشبه العمليات الإبتحارية التي قد لا تكون مبررة في كثير من الظروف، كما نعرف أن هناك بعض الخصائص السلبية أو الإيجابية في موقع الفقيه، بحيث تمنعه بفعل المصلحة العامة، من الوقوف في هذا الموقع أو ذاك، أو من الإلتواء إلى هذه الجهة أو تلك أو من القرب لهذا الشخص أو ذاك.

ولكننا نتحدث عن حيوية المرجعية في تطلعاتها الإجتماعية والثقافية والسياسية، وحركيتها الفاعلة في حجم الظروف الواقعية المحيطة بها.. بحيث تبقى في انفتاح دائم على كل الأوضاع والمتغيرات ونقاط القوة ونقاط الضعف في الواقع الإسلامي كله مما يعطي المرجعية دوراً كبيراً يملأ فراغ الأمة في القيادة، فإن بعض المواقف التي تفقد عنصر الإلزام للفقيه، لا تفقد عنصر الرجحان الذي قد يقترب في بعض ظروفه من خطأ الإلزام.

وقد يكون للبعد عن مواقع المسؤولية الحركية الفاعلة، تأثير سلبي كبير، لأن الفراغ

القيادي سوف يملؤه الكافرون والظالمون والجاهلون، كما أنَّ الفراغ الحركي سوف تسيطر عليه الحركات غير الإسلامية.. وهذا هو الذي جعل الساحة الإسلامية خاضعة للقيادات السياسيّة الكافرة أو المنحرفة، وللحركات الضالّة أو المنحرفة أو الكافرة، فإنّ طبيعة الأشياء تفرض على الواقع أنَّ الحياة لا تتحمّل الفراغ فإذا لم يملأ الفراغ العالمون فسيملؤه الجاهلون.. وإذا لم تنطلق القيادة من مواقع الهدى فسوف تنطلق من مواقع الضلال.

إنّ الواقع الإسلامي، في خطورته المصيريّة، لا يقف عند النظريّات الفقهيّة المحدودة، بل يتحرّك في النظريّات البديلة في نطاق العناوين الجديدة التي تحفل بها حركة الحياة في كلّ زمانٍ ومكان.

قال الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

اجْعَلُوا آلَ بَيْتِي مِنْكُمْ مَكَانَ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ وَمَكَانَ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، فَإِنَّ
الْجَسَدَ لَا يَهْتَدِي إِلَّا بِالرَّأْسِ، وَالْهَيْدَى
الرَّأْسِ إِلَّا بِالْعَيْنَيْنِ .

الأخلاق مجتهد لؤي : ٢٦

مِنَ الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ فِي وَاشِنْطُنَ وَجِبَازُهَا (١)

وردت هذه الاسئلة من المركز الاسلامي في واشنطن
وقد تصدَّى سماحة آية الله الشيخ محمد المؤمن
الامين العام للمجمع الفقهي للاجابة عليها مشكوراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س ١٠ - يضطر كثير من الطلاب المسلمين إلى العمل في هذه البلاد لتغطية نفقات الدراسة والمعيشة، لأن كثيراً منهم لا يكفيه ما يرده من ذويه مما يجعل العمل ضرورة له لا يمكن أن يعيش بدونه. وكثير منهم لا يجد عملاً إلا في مطاعم تباع الخمر أو تقدم وجبات فيها لحم الخنزير وغيرها من المحرمات، فما حكم عمله في هذه المحلات ؟

ج ١٠ - إذا كان العمل الذي يعمل به جائزاً وحلالاً بنفسه ولا يتصدى هذا العامل المسلم لباع الخمر أو تقديم الوجبة المشتملة على الحرام فعمله في تلك المطاعم جائز وأجرته حلال.

وحاصل الدليل : أن بيع الخمر أو الخنزير حرام على المسلم وإن كان مشتره كافرًا، فلا يجوز مباشرته للمسلم وإن كان صاحب المطعم من الكفار الذين يرون حليته، إلا أنه لا يجوز للمسلم التصدي لبيعه، وأما العمل الحلال في تلك المطاعم فلا وجه لحرمة، وإطلاق أدلة حليته يقتضي كونه حلالاً هنا أيضاً ويحل لا محالة أخذ الاجر عليه، فإن مثل هذا العمل حلال شرعاً يصح أخذ المال بأزائه.

س ١١ - ما حكم بيع المسلم للخمر والخنزير، أو صناعة الخمر وبيعها لغير

المسلمين ؟ علماً بأن بعض المسلمين في هذه البلدان قد اتخذوا من ذلك حرفة لهم.
ج ١١ - بيع المسلم للخمر أو الخنزير غير جائز وإن كان المشتري لهما من الكفار المستحلين.

والدليل عليه : أن الله تعالى إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه، وإن أدلة حرمة ثمن الخمر أو الخنزير. على المسلم تعمّ بإطلاقها ما إذا كان المشتري كافراً. ففي الحديث المعتبر المستفيض^١ : «إنّ ثمن الخمر سحت»^٢. وفي الحديث أيضاً : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وباعها ومشتريها وساقها وأكل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه^٣.

س ١٢ - هناك كثير من الأدوية تحوي كميات مختلفة من الكحول تتراوح بين ١ % و ٢٥ % ومعظم هذه الأدوية من أدوية الزكام واحتقان الأنف والحنجرة والسعال وغيرها من الأمراض السائدة. وتمثل هذه الأدوية الحاوية للكحول ما يقارب ٩٥ % من الأدوية في هذا المجال مما يجعل الحصول على الأدوية الخالية من الكحول عملية صعبة أو متعذرة، فما حكم تناول هذه الأدوية ؟

ج ١٢ - الكحول الذي هو من المشروبات المسكرة حرام ونجس وكل دواء كان فيه جزء منه فهو نجس وأكله وشربه أيضاً حرام، نعم إن كان التداوي به بمثل الاستشمام فلا بأس به، كما أنه إذا اضطر إليه جاز استعماله.

والدليل عليه : ما ورد في السنة الصحيحة المستفيضة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام». وفي صحيحة معاوية بن وهب عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في حديث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام قال : فقلت : فقليل الحرام

(١) المعتبر : (٢) وسائل الشيعة، الباب ٥ من أبواب ما يكتسب به.

(٣) وسائل الشيعة، الباب ٥٥ من أبواب ما يكتسب به.

يحلّه كثير الماء فردّه بكفيه مرتين، لا، لا، لا^١. وأما الاضطراب فهو مجوز كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: رفع عن أمتي... ما اضطروا إليه^٢.

س ١٣ - هناك الخمائر والجلاتين يوجد فيها عناصر مستخلصة من الخنزير بنسب ضئيلة جداً، فهل يجوز استعمال هذه الخمائر والجلاتين ؟

ج ١٣ - هذه الخمائر يحرم استعمالها في الاكل.

والدليل عليه : أن الاجزاء المأخوذة من الخنزير حرام ونجسة، فهي توجب نجاسة الممتزج بها. والنجس يحرم أكله، وأما سائر الانتفاعات غير المتوقفة على الطهارة فهي لا محالة جائزة.

س ١٤ - يضطر معظم المسلمين إلى إقامة حفلات الزفاف لبناتهم في مساجدهم وكثيراً ما يتخلل هذه الحفلات رقص وإنشاد أو غناء، ولا تتوفر لهم أماكن تتسع لمثل هذه الحفلات فما حكم إقامة مثل هذه الحفلات في المساجد ؟

ج ١٤ - إذا كانت الحفلة بنفسها جائزة غير مشتملة على الحرام ولا مبتذلة فإقامتها في المساجد لا بأس بها.

والدليل عليه : أن المسجد وإن كانت الغاية الاصلية من وضعه في الشرع إقامة شعائر الاسلام فيه، إلا أنه لا دليل على حرمة سائر الانتفاعات الشخصية أو الاجتماعية منه، نعم إذا أريد الانتفاع منه بعمل مبتذل أو بعمل حرام فإيقاع هذا العمل في المسجد المعد لإقامة شعائر الدين هتك وإهانة للمساجد فيكون حراماً. وعليه فالحفلات المذكورة إذا كانت مشتملة على اللهو أو الغناء بمرتبته المحرمة، أو كانت مبتذلة، وبالجمله كانت إهانة وهتكاً للمسجد الذي هو نفسه من شعائر الاسلام فإقامتها في المسجد محرمة قطعاً.

(١) المصدر، الباب ١٧ من أبواب الأشربة المحرمة. (٢)

س ١٥ - بعض الحكومات النصرانية (خاصة في أمريكا الجنوبية) تفرض على رعاياها التسمي بالأسماء النصرانية، وتضع قوائم بأسماء اختارتها للأطفال ذكوراً كانوا أو إناثاً، ولا تسمح بتسجيل المواليد بأسماء تختار من غير هذه القوائم، فما حكم تسمي المسلمين بهذه الأسماء ؟ وما الحلول التي تقترحونها في هذه الأحوال ؟

ج ١٥ - يجوز التسمي بكل اسم إلا ما كان فيه هتك لشعائر الله، أو لمن لا يجوز هتك حرمة فلا بأس بالتسمي بالأسماء المذكورة مع رعاية هذا الشرط.

والدليل عليه : أنه لم يجيء في الشرع كيفية خاصة مفروضة في باب التسمي، فأصالة الجواز عقلاً ونقلاً محكمة. نعم إهانة شعائر الله أو الأشخاص المحترمة محرمة، فلا بد من اجتنابها كاجتناب كل المحرمات الأخر. ومع ذلك فللتسمية آداب : فقد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال : «ومن ولد له أربعة أولاد لم يسم أحدهم بإسمي فقد جفاني»^١، إلى غير ذلك.

يقول الامام الخميني رحمه الله : «و(يستحب) تسميته بالأسماء المستحسنة فإن ذلك من حق الولد على الوالد، وأفضلها ما يتضمن العبودية لله جلّ شأنه، كعبد الله وعبد الرحيم وعبد الرحمن ونحوها، ويليهما أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأفضلها محمد، بل يكره ترك التسمية به إن ولد له أربعة أولاد»^٢.

س ١٦ - ما حكم زواج الطالب أو الطالبة المسلمة زواجاً لا ينوي استدامته بل النية منعقدة عنده على إنهائه بمجرد انتهاء الدراسة، والعزم على العودة إلى مكان الإقامة الدائم، ولكن العقد يكون، عادة، عقداً عادياً وبنفس الصيغة التي يعقد بها الزواج المؤبد، فما حكم هذا الزواج ؟

ج ١٦ - الزواج المؤقت عندنا صحيح مشروع، ويعقد بنفس صيغة الزواج الدائم

(١) وسائل الشيعة، الباب ٢٢ و٢٣ و٢٤ من أبواب أحكام الأولاد.

(٢) تحرير الوسيلة ٢ : ٢٧٦، أحكام الولادة، المسألة ٢.

وشرائطه نفس شرائط الزواج الدائم، ويزاد عليها ذكر المدة المقصودة وتعيين المهر المعين في صيغة عقده.

والدليل عليه : أنه من ضروريات مذهب الشيعة، ووردت به روايات متواترة بالمعنى^١ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من غير خلاف، وما في بعض الكتب عن علي عليه السلام أنه حرّمه فهو من الموضوعات عليه قطعاً، بل عنه عليه السلام أنه كان يقول : «لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنا إلا شقاً»^٢.

وكيف كان فلا بأس بذكر حديثين معتبرين في هذا الباب من باب المثال : ففي صحيحة أبي بصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة فقال : نزلت في القرآن : ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضةً ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾^٣. وفي صحيحة زرارة عن أعين قال جاء عبد الله ابن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال : ما تقول في متعة النساء ؟ فقال : أحلّها الله في كتابه وعلى سنة نبيه، فهي حلال إلى يوم القيامة^٤.

س ١٧ - ما حكم ظهور المرأة في محلات العمل أو الدراسة بعد أن تأخذ من شعر حاجبيها وتكحل ؟

ج ١٧ - لا بأس بظهور المرأة في محل العمل أو الدراسة مكتحلة أو مأخوذاً شعر حاجبيها بشرط أن لا ينظر إليها أحد بشهوة وتلذذ.

والدليل عليه ما أشير إليه في ذيل الجواب عن السؤال التاسع فإن الوجه من الزينة الظاهرة التي استثنّاها الله تعالى بقوله : ﴿إلا ما ظهر منها﴾.

(١)

(٢) شقاً، بالتشديد والتنوين، من الشق بمعنى الخفة والقلة.

(٣) النساء : ٢٤.

(٤) وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب المتعة، الحديث ١ و٤.

س ١٨ - بعض المسلمات يجدن حرجاً في عدم مصافحتهن للأجانب الذين يرتادون الأماكن التي يعملن أو يدرسن فيها، فيصافحن الأجانب دفعاً للحرج. فما حكم هذه المصافحة ؟

وكذلك الحال بالنسبة لكثير من المسلمين الذين تتقدم إليهم نساء أجنبيات مصافحات، وامتناعهم عن مصافحتهن يوقعهم في شيء من الحرج على حد ما يذكرون ويذكرون ؟

ج ١٨ - مصافحة الاجنبي للاجنبية وملاستها حرام يجب على المسلم والمسلمة اجتنابهما.

والدليل عليه - مع أن الظاهر أنه لا خلاف فيه بيننا - أخبار خاصة معتبرة السند عن أئمة أهل البيت عليهم السلام منها موثقة سماعة بن مهران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة قال : لا يحل للرجل أن يصافح المرأة إلا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها، أخت أو بنت أو عمّة أو خالة أو بنت أخت أو نحوها، وأما المرأة التي يحل له أن يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء الثوب ولا يغمز كفّها.

وفي رواية سعدان بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أتدري كيف بايع رسول الله صلى الله عليه وآله النساء ؟ قلت : الله أعلم وابن رسوله أعلم قال : جمعهن حوله ثم دعا بتورٍ برام* فصبّ فيه نضوحاً ثم غمس يده فيه ثم قال لهن : إسمعن يا هؤلاء، أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفتريته بين أيديكن وأرجلكن ولا تمصين بمولتكن في معروف، أقررتن ؟ قلن : نعم، فأخرج يده من التور ثم قال لهن : إغمسن أيديكن، ففعلن فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرة أطيب من أن يمس بها كفّ أنثى ليست له بمحرم^١.

(٥) التور : إناء كالإجانة يُخوض منه، والبرام : جمع برمة وهي كل إناء يصنع من حجارة (لسان العرب ٤ : ٩٦، و ١٢ : ٤٥).

(١) وسائل الشيعة ٢٠ : الباب ١١٥ و ١١٧ من أبواب مقدمات النكاح.

يقول الامام الخميني رحمه الله : «فلا يجوز للرجل مصافحتها، نعم لا بأس بها من وراء الثوب لكن لا يغمز كفها احتياطاً»^١.

وأما ما جاء في السؤال «من أن بعض المسلمات أو المسلمين يجدون حرجاً في عدم مصافحة الاجانب» فهو معلول لعدم المبالاة بالاسلام السامي وعدم العزة الاسلامية وإحساس الحقارة لنفسه عند نفسه وإلا فالاسلام لا يزيد المسلم إلا عزاً ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾. والتزام المسلم بوظائفه الاسلامية هو الذي يوجب ظهور هذا السمو والعلو والعزة، ولو آمن المسلمون بإسلامهم حق الايمان لوجدوا العمل بالاسلام عزاً لهم وفخراً وكرامة، ونحمد الله تعالى على أن المسلمين في الآونة الاخيرة استيقظوا من رقذتهم وعلموا أن الاسلام والاخذ بقوانينه الخالدة هو الطريق الوحيد لنيل العزة والسمو، كما إنه الطريق الوحيد للزلفى إلى الله تعالى ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾^٢.

س ١٩ - ما حكم استئجار الكنائس أماكن لأقامة الصلوات الخمس أو صلاة الجمعة والعيدين، مع وجود التماثيل وما تحتويه الكنائس عادة. علماً بأن الكنائس، في الغالب، أرخص الأماكن التي يمكن استئجارها من النصارى وبعضها تقدمه الجماعات أو الهيئات الخيرية للاستفادة منه في هذه المناسبات بدون مقابل ؟

ج ١٩ - الصلاة في البيع والكنائس جائزة ويمكن رفع الكراهة الآتية من قبل وجود التماثيل بسترها حال الصلاة.

والدليل على جوازها - مع أنه لا خلاف بين فقهاءنا في أصل الجواز - ورود روايات معتبرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. منها صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الصلاة في البيع والكنائس وبيوت المجوس فقال : رُشَّ وصلَّ. وما تَضَمَّنَه من رَشِّها قبل الصلاة محمول على الفضل والاستحباب بقرينة خلو

(١) تحرير الوسيلة ٢ : ٢١٨، كتاب النكاح، المسألة ٢٠. (٢) النحل : ٩٦.

بعض الصحاح الآخر عنه، ففي صحيحة القيص بن القاسم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن البيع والكنائس يُصلّى فيها ؟ قال : نعم^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

الْعَلِمُ خَيْرُ الرِّئِيسِ وَفَاتِحَةُ السُّؤَالِ
فَأَسْأَلُ الرَّاهِمِيَّكُمْ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يُجْعَلُ فِيهِ
أَرْبَعَةٌ : السَّائِلُ وَالْمُسْتَكِيمُ وَالْمُسْتَمِعُ
وَالْمُحِبُّ لَهُمْ.

٧٧ : ١٤٤

بجاءه

(١) وسائل الشيعة، الباب ١٣ من أبواب مكان المصلّي.

الاسلام

الشيخ محمد بن محمد بن محمد

أشرنا في البحث السابق إلى أنَّ الدين الإسلامي يتضمَّن المفاهيم والقواعد العديدة التي يمكن الإستعانة بها للتنسيق بين الشريعة الإسلامية والوجوه المتغيرة للحياة البشرية. وسنبداً هنا بالحديث عن تلك القواعد والمفاهيم.

والقواعد هي :

١- الاجتهاد :

يقول المفكر الإسلامي محمد إقبال اللاهوري : إنَّ الاجتهاد هو القوة المحركة للإسلام، ويضيف : أنَّ المجتمع الإلهي يجب أن يقوم على ركيزتين : أحدهما : الأصول الأبدية الثابتة، والثانية : الأصول المتغيرة. والأولى هي التي تُعتبر الأساس للمواجهة مع الحوادث المتنوعة التي تطرأ في حياة الإنسان^١. وهذا هو التعبير الصادق عن الواقع الديني والاجتماعي إذ كما يقول ابن سينا : إنَّ القواعد والتكاليف الشرعية محدودة ومتناهية. في حين أنَّ الحوادث والظواهر المتنوعة للحياة البشرية هي غير متناهية، وبناءً على ذلك. فالواجب على المجتهدين في كلِّ زمان

(١) عن الترجمة الفارسية : إحياء فكر ديني در اسلام : ١٦٩.

أن يستنبطوا أحكام تلك الجزئيات المستحدثة بالاستعانة بتلك الأصول العامة^١.
والحقيقة هي أن الاجتهاد لا بد وأن يرجع إلى مغزاه الواقعي، فلا ينحصر عمل
المجتهد في استنباط الأحكام المتعلقة بالقضايا الثابتة، مثل أحكام الوضوء والتميم، بل
المهم هو التعرض للمسائل الحديثة المتطورة ومحاولة علاجها شرعياً. وهذا هو
الأساس في ضرورة استمرار الاجتهاد وعدم حصره في أشخاص معينين أو في زمان
معين، بل يجب أن يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه، ليكون مدخلاً لتوارد آراء
الباحثين، ومخرجاً عن شبهات المبطلين.

٢- إهتمام الإسلام بمضمون الحياة دون شكلها:

لم تنصّ الشريعة الإسلامية لتحديد شكليات الحياة، وذلك لأنها ترتبط - ارتباطاً
أولياً وأساسياً - بالعلم والخبرات الفنية للبشر. فالأحكام الإسلامية تتعلق بروح الحياة
الإنسانية والهدف المطلوب منها.

وفي الحقيقة إن تخصيص المجالات التشريعية بالمحتوى والأهداف، وإناطة البحث
عن الأطر والوسائل بالعلم والمهارات الفنية للإنسان هو الطريقة المثلى لمسايرة الدين
للعلم والحضارة وعدم التنافر بينهما. بل إن تحريض الإسلام على طلب العلم والإهتمام
بالعمل والاستقامة فيه له الدور التام في دفع عجلة الحضارة إلى الأمام. إذ إن ذلك يعدّ
العامل الأساسي لإرساء دعائم الحضارة وتطورها العلمي.

٣- الأحكام الثابتة للحاجات الثابتة والأحكام المتغيرة للحاجات المتغيرة:

إن من الخصائص البارزة للشريعة الإسلامية هي أنها وضعت قوانين ثابتة لسدّ

(١) راجع: الشفاء - الإلهيات: ٥٦٦.

الحاجات الثابتة، كما أنها قرّرت أحكاماً أخرى متغيرة لملء الفراغ في جانب الحاجات المتغيرة. ولهذه الخصيصة تأثيرها الواسع في تطابق الإسلام مع المتطلبات الحضارية، فقد سبق وأن قلنا أن بعض الحاجات الفردية والاجتماعية ثابتة لا تتغير، فمثلاً حاجة الإنسان إلى نظام يسود حياته المعنوية والاجتماعية أمر ثابت، ولأجل ذلك وضع الإسلام مجموعة من الأحكام والتعاليم العامة والثابتة الراجعة إلى هذين الحقلين. وهناك حاجات بشرية متغيرة، وقد رسمت الشريعة الإسلامية لها نهجاً غير ثابت، بمعنى أنها ربطت هذه المتغيرات بالأصول الثابتة، بحيث أن الأحكام الجزئية المتغيرة تتقرر وفق الأصول الثابتة دائماً.

وهذا هو التغيير الذي يعترف به الإسلام في مجال الأحكام الشرعية.

وأما التغيير الذي يرفضه فهو نسخ أحكامه وقوانينه بمعنى إنهاؤها وإزالتها، والتغيير له مفهوم أوسع من مفهوم النسخ، إذ التغيير لا يستلزم نفي الحكم وزواله دائماً، بل قد يكون الحكم الكلي ثابتاً والمصاديق هي التي تتغير وفقاً لتغير الأحوال. ولنوضح الموضوع بالأمثلة التالية :

أ - أمر سبحانه وتعالى المسلمين بإعداد القوة لمواجهة الأعداء وقال : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِيُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^١. فأمرهم بتجهيز القوى والمعدات العسكرية بهدف إرهاب الأعداء، كما أنه ذكر نموذجاً للقوة العسكرية وهو الخيل، وقد ورد الحث أيضاً في السنة النبوية على الرمي وركوب الخيل، ولا شك في أن هذه الأمور كانت من وسائل الحرب المتعارفة في تلك العصور، وليس الإيحاء بها حكماً ثابتاً، بل الثابت الأساس هو إعداد العدد والمعدة لمواجهة العدو. وأما طريقة التنفيذ فهي تتأثر بالظروف والمواصفات الزمنية.

ب - نهى القرآن الكريم عن مداولة الثروات بين الناس بالباطل وأمر بمبادلتها على

أساس المنافع المحللة، فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^١. ومن جهة أخرى فإنّ هناك أشياء لم يجوز الفقهاء مبادلتها بالأموال وذلك كالدم. ومن الواضح أنّ الحكم بحرمة بيع الدم وشرائه إنّما هو بالنسبة إلى الزمان الذي لم يكن للدم فيه منافع طبيّة وغيرها، لكن الدم اليوم أصبح من الحاجات المهمّة والمتطلّبات الضروريّة، فلا ريب في جواز المعاوضة عليه، فحرمة بيع الدم إنّما هي حكم متغيّر خاصّ بتلك الظروف، وأمّا الحكم الثابت فهو عبارة عن عدم جواز تداول الأموال بالباطل ومن غير عائدة واقعيّة في البين، وهذا الحكم ثابت بمفهومه ومتغيّر بمصاديقه حسب تغيّر الأحوال والشروط.

ج - أمر الإسلام المسلمين بطلب العلم، وصرّح به النبي صلى الله عليه وآله إذ قال «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»^٢. والسؤال المطروح: ما هو العلم الذي يجب تحصيله؟ يقول الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»: إنّ العلوم على قسمين، الأوّل: ما يجب تحصيله لنفسه كالعلم بالعقائد، والثاني: العلوم التمهيدية، أي العلوم التي تعتبر كمقدمة للعمل، فهناك بعض الوظائف الاجتماعيّة والدينيّة لا يمكن أن يقوم بها المسلمون إلّا بعد تعلّم العلوم والمقدّمات التي لها دورها في إتقان العمل وإنجازه على النحو المطلوب، فالطبابة واجب كفائي من واجبات المجتمع الإسلامي، لكنّها تتوقّف على تحصيل العلوم الطبيّة والمهارات الممهّدة لإنجازها^٣.

ولكن ما هو حدّ العلم والإختصاص الذي يجب أن يصل إليه الطالب في حقل الطبابة مثلاً؟ والجواب أنّ الحدّ المطلوب يتغيّر وفقاً للدراسات والاكتشافات الحديثة التي تحصل في المجالات الطبيّة. فقد يجب تحصيل علم جديد في هذا المجال لم يكن واجباً سابقاً، لأنّه لم يكن يعرف قبل ذلك، فليس هذا من موارد تغيير الحكم الشرعي لأنّ الحكم الشرعي ليس إلّا عبارة عن وجوب الطبابة وإتقان كلّ ما يتوقّف عليها من

(٢) أصول الكافي ١: ٣٠.

(١) البقرة: ١٨٨.

(٣) إحياء علوم الدين ١: ١٤ - ١٦.

العلوم والإختصاصات، وهذا الحكم ثابت لم يتحوّل إلى حكم آخر، لكنّ التطبيقات العمليّة للحكم ونوعيّة الإختصاصات الطيّبة ودرجاتها تختلف طبقاً للظروف والمحيط العلمي.

والتجارة كذلك من الواجبات الكفائيّة التي كانت تتمّ في قديم الزمان بطريقة بسيطة، ولكنها اليوم تقوم على أسس علميّة وتحتاج إلى دراسات متخصصة وخبرات ميدانيّة مستندة إلى أرقام رياضيّة، فالثابت هو وجوب التجارة وما يتعلّق بها من المقدمات والمقوّمات، لكنّ أسلوب التنفيذ يتغيّر تبعاً للتطوّرات التي تطرأ في مجال التجارة.

د - قد يكون التزيّي بالزّيّ المعيّن من اللباس وغيره نوعاً من التبعية للأجانب والكفّار، فيكون محرّماً أيضاً لنفس السبب، ثمّ تتغيّر الأحوال بتطوّر الزمن فيصبح ذلك الزّيّ زناً عاماً للأوساط الاجتماعيّة المختلفة ولا يختصّ بفئة خاصّة، فلا يُعدّ بعد ذلك مصداقاً للتبعية للكفّار، فلا يحرم الأخذ به بعد ذلك.

فالقاعدة الملزمة بها هي عدم جواز ذوبان الشخصيّة الإسلاميّة أمام الطامعين في كرامة الأمة المسلمة، لكنّ نماذج الذوبان تتغيّر من بيئة إلى بيئة ومن زمان إلى زمان آخر. ويمكننا التركيز على الموضوع الذي قدّمناه - وهو الالتفات إلى ثبات الأحكام الشرعيّة بمضمونها وتغيّرها في عالم التنفيذ - بالبيان التالي، وهو، إنّ القرآن أمر بالتفقه في الدين وقال: ﴿قُلْ وَلَا تَقْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^١. والتفقه هو الإختصاص في معرفة الأحكام الدينيّة، لكنّ المقصود منه ليس المعرفة السطحيّة بل التعمّق في فهم الأحكام الشرعيّة.

وقد نلمس هذا الالتفات من خلال كلام العلامة الراغب الإصفهاني حيث يعرف الفقه بقوله: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد^٢. فالفقه وإن كان بمعنى الفهم والعلم لكنّه أخصّ مضموناً منهما، إذ الفقيه هو الذي لا يقتنع بفهم الظاهر من الأحكام، بل

يجعل ذلك معبراً للوصول إلى الحقائق والبواطن المستترة خلف تلك الظواهر.
وبعبارة ثانية نقول: إنَّ الفقيه يجب أن لا يجمد فهمه على ظواهر الأحكام، بل عليه أن يدرك المغزى الحقيقي لها فلا يلتبس عليه الأصل بالفرع والشكل بالمضمون. وواضح أنَّ ذلك ليس بمعنى التشكيك في الأحكام الشرعية أو فتح باب التأويل فيها، بل ينحصر ذلك في الدائرة التي أشرنا إليها.

٤- مبدأ التزاحم وترجيح الأهم على المهم:

يُعدّ مبدأ التزاحم من القواعد الأساسية في مسأيرة الفقه الإسلامي مع المستجدات والمتغيرات، ولنبدأ بتوضيح الموضوع بعد تقديم مقدّمتين:

الأولى: إنَّ الأحكام الشرعية تصاغ وفق القضايا الحقيقية لا الخارجية منها، والقضية الحقيقية هي التي يكون الموضوع فيها عبارة عن طبيعة الشيء وذاته من دون اعتبار أمرٍ آخر وراء ذلك. فحينما يقال: المثلث له زوايا ثلاثة، لا ينظر إلى مجموعة معينة من المثلثات، بل الحكم المذكور راجع إلى ماهية المثلث بما هو شكل هندسي معيّن، وأمّا القضية الخارجية فهي التي يرجع الحكم فيها إلى المصاديق الخارجية، لا إلى ذات الموضوع وطبيعته كما إذا قيل بأنَّ الشعب الإيراني مسلم، فإنَّ المحمول والحكم ثابت للأفراد الموجودين فعلاً، ولا صلة له بطبيعة الشعب الإيراني.

والأحكام الشرعية كلّها من قبيل القضايا الحقيقية، فإنَّ حرمة شرب الخمر حكم ثابت لطبيعة الخمر ولا ينظر إلى مصاديق معينة لها.

الثانية: تبتني الأحكام الشرعية على حكم وملاكات واقعية تسمّى بالمصالح والمفاسد، وهذا هو ما تبتّاه العدلية، وهذه المناطات قد يُدركها العقل والعلم البشري، وقد بيّنها الكتاب والسنة. ولقد صَنَّف الشيخ الصدوق كتاباً سمّاه «علل الشرائع» جمع فيه النصوص الواردة حول الحكم والمناطات الثابتة للأحكام الشرعية، وهذه النصوص

الوفيرة تكشف عن أَنَّ النبيَّ وأهل بيته عليهم السلام كانوا يهتمُّون ويبادرون إلى التركيز على بيان دور العقل في فهم الأحكام الشرعيَّة وملاكاتِها. وبدهيَّ أَنَّ هذه العلل لا تكون على وتيرة واحدة من حيث الأهميَّة واللزوم، بل هناك تمايز وتفاضل في المراتب والدرجات.

وبناءً على ذلك نقول : إِنَّ الأحكام الشرعيَّة قد تتزاحم في مقام الإمتثال والتنفيذ ويصبح أمر معيَّن واجباً من جهة وحراماً من جهة أخرى. وليس ذلك تعارضاً في الأحكام الشرعيَّة، إذ قلنا إِنَّ الموضوع في هذه الأحكام ليس هو المصاديق الخارجيَّة، ولو كان كذلك لتناقضت الأحكام لأنَّه لا يمكن أن يكون الفرد المعيَّن موضوعاً لحكمين متباينين، بل إِنَّ الموضوع هو الطبيعة الكلِّيَّة، وقد تتصادق الموضوعات الكلِّيَّة على المورد الخاص وتوارد الأحكام فيه أيضاً.

وفي صورة ورود حكمين متزاحمين في مورد واحد أمرت الشريعة الإسلاميَّة أن يؤخذ بالأهم ملاكاً من المتزاحمين ويترك الثاني منهما، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله : «إذا اجتمعت حرمتان طرحت الصغرى للكبرى». قال ابن الأثير في تفسيره للحديث : إذا كان أمرٌ فيه منفعة لعامة الناس ومضرة على الخاص قدّمت منفعة العامة^١. وما ذكره هو إحدى التطبيقات للحديث النبوي، وألا فإنَّ الحديث له مدلول أعم من ذلك وهو أنَّه إذا تزاحم أمران مهمَّان طرحت الأهميَّة الصغرى لأجل الأهميَّة الكبرى. علماً بأنَّ الحرمة ليست هنا بمعنى الحكم الشرعي، بل هي بمعنى الأهميَّة والإحترام.

نماذج تطبيقيَّة لقاعدة التزاحم :

أ - حينما تتزاحم الحقوق الفرديَّة مع الحقوق الاجتماعيَّة، فالمقرَّر عادة هو ترجيح المصالح الاجتماعيَّة على الحقوق الفرديَّة، لكونها أهمَّ درجة وأخطر موقعاً من الحقوق الشخصيَّة.

(١) النهاية ١ : ٣٧٤، مادة : حرم.

فمثلاً: إنَّ بعض المشاريع التي تقوم بها الحكومة قد تتعارض مع المصالح الشخصية لبعض الأفراد، ولكنها مع ذلك من الحاجات الإجتماعية الملحة فيقال: إنَّ تنفيذ هذه المشاريع جائز شرعاً حتَّى ولو تعارض مع المصالح الشخصية للبعض، وذلك لأنَّ المصلحة الإجتماعية أكد وجوباً وأشدَّ رعاية من المصلحة الفردية.

فالطرق الواسعة لا يتم إحداثها عادةً إلَّا بهدم بعض ممتلكات الأشخاص من دور وأبنية، وكذلك الضرائب التي تفرضها الحكومة على النفوس والأموال فإنَّها توجب إلزام الأشخاص بدفع قسم من أموالهم إلى الحكومة، ممَّا يتنافى مع حرية الفرد بالنسبة إلى ممتلكاته. ولكن نظراً لأهمية هذه الأمور ودورها في بناء المجتمع وتنشيط حياته، ترجَّح هذه على تلك المزاومات الفردية.

ب- إنَّ حفظ ورعاية حرمة جسد المسلم الميت من الواجبات الشرعية، ولذا يجب على سائر المسلمين تجهيزه ودفنه، ومن جهة أخرى فإنَّ الطبابة ومعالجة المرضى أيضاً من الواجبات الدينية، وإنَّ معرفة جملة من الأمراض وأسبابها لا تتم إلَّا عن طريق تشريح الجسد، وقد يتزاحم الواجبان، فهل يجوز تشريح جسد المسلم الميت لمعرفة تراكيبه وعمله؛ أم يجب دفنه ولا يجوز تشريحه ؟

والجواب هو: إنَّ الحكم في حالة توافر الأجساد من غير المسلمين هو الإكتفاء بتشريحها وعدم تشريح أجساد المسلمين. وأمَّا إذا لم يتوافر العدد المطلوب فيجوز تشريح جسد المسلم الميت، وذلك لأنَّ معرفة الأمراض وأسبابها والحفاظ على حياة الناس أمر لا تفوقه حرمة المسلم الميت أهمية، فلا بدَّ حينئذٍ من طرح الحرمة الصغرى في سبيل الحرمة الكبرى، نعم هناك تفاصيل وفروع دقيقة للموضوع يجب أن تدرس بشكل كامل لكي يكون الحلُّ المقترح مدروساً من جميع جوانبه، ولا مجال هنا للتعرُّض لتلك التفاصيل.

ج- إنَّ لمس المرأة الأجنبية حرام شرعاً، لكن قد يتوقَّف انقضاء امرأَةٍ من الموت على

أُمور لا تتمّ إلا بأن يلمس الطبيب جسد المرأة، وفي هذه الصورة لا شك في ضرورة المعالجة، لأنّ حفظ النفس عن التلف أهمّ من اللمس المحرّم.

د - هناك مناظرة بين الكاتبيين الفرنسيين «ألبير كامو» و«جان بول سارتر» جاءت في كتاب «الطاعون» لكامو، فإنّ كامو يرى أنّ قتل الأبرياء في الحرب غير جائز، حتّى إذا كان قتلهم شرطاً ضرورياً للإنتصار على العدوّ المحارب. في حين إنّ سارتر يزعم أنّ قتل هؤلاء الأبرياء في الفرض المذكور أعلاه واجب إنساني لا بدّ منه، لأنّ التخلّي عن ذلك يعني بسط يد المجرمين في ارتكاب جرائم أكبر وأفزع من قتل مجموعة من الناس الأبرياء.

هذه المسألة قد طرحنا في كتاب الجهاد من الفقه الإسلامي فيقال : إنّ العدوّ المهاجم للبلاد الإسلاميّة قد يتترّس بعدد من الأسرى المسلمين وإنّ هجوم الجيش الإسلامي في هذه الحالة سوف يؤدّي إلى قتل الأسرى الذين وضعوا في مقدّم جيش العدوّ. فيدور الأمر بين أن يتخلّى المسلمون عن الهجوم فيمنحوا الفرصة للعدوّ ليستمرّ في جرائمه ويقتل عشرات أضعاف أولئك الأسرى، أو يباشروا الهجوم فيقتل الأسرى فيمن يقتل من العدوّ وتحقّق الغلبة للمسلمين ؟

والجواب : هو أنّ الهجوم واجب حتّى وإن أدّى إلى قتل أولئك الأسرى فيكتب لهم أجر الشهادة في سبيل الله، وذلك لأنّ الموضوع يعدّ من باب تزاحم المحرّمات، فالحرمة الصغرى هي حفظ دم أسرى المسلمين، والحرمة الكبرى هي المحافظة على الإسلام وكرامة الوطن الإسلامي. ولا سبيل للتردّد في ضرورة العناية بأهمّ الحرمتين وترك الثاني منهما.

ويجب التنبيه إلى أنّه قد يتصوّر أنّ الفقيه لا شأن له سوى استنباط الأحكام الشرعيّة وبيانها، وأمّا الموضوعات فهي خارجة عن نطاق عمله ومتروكة للعرف. لكنّ الواقع إنّ وظيفة الفقيه لا تنحصر في ذلك بل لا بدّ من أن يكون ملماً بالموضوعات أيضاً، وذلك

لأنَّ الفقيه غير العارف بمواصفات الموضوعات قد تلبس عليه مسألة تزامم الأحكام فيؤكِّد على حكم الموضوعات الجزئية ويغفل عن أهميَّة الموضوعات الكبرى المزاحمة لتلك المسائل الجزئية.

٥- القوانين الحاكمة على سائر الأحكام الشرعية :

ومن العوامل المؤثرة في تكيف الأحكام الإسلامية وفقاً للمتغيرات الزمنية هي بعض القوانين التي يكون لها نوع من التأثير في مدلول سائر الأحكام الشرعية، وأبرز تلك القواعد هي قاعدة «نفي الضرر» و«نفي الحرج». فإذا كان الإلتزام بحكم شرعيٍّ معيَّن في مورد يوجب الضرر أو العسر الشديد فالنتيجة هي انتفاء ذلك الحكم في ذلك المورد، كما لو كان استعمال الماء في الوضوء أو الغسل مضرّاً بالجسم. فإنَّ الحكم بهما لا يبقى على فاعليته بل يتحوَّل إلى حكم آخر خالٍ من الضرر. لكنَّ نطاق القاعدتين أوسع وأشمل من الأحكام الفردية.

والدليل الشرعي المثبت لهما هو طائفة من الآيات والروايات الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام كقوله تعالى : ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^١، وقول النبي صلى الله عليه وآله : «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»^٢. وقوله : «بُعثت بالحنيفية السمحة»^٣.

٦- قاعدة الملازمة :

إنَّ قاعدة الملازمة هي من الوسائل المهمة في معالجة المستجدات وفق المتبنيات الدينية، وهي المعبر عنها في عرف الفقهاء بقولهم :كلُّما حكم به الشرع حكم به العقل،

(٢) مسند أحمد ٥ : ٣٢٧.

(١) الحج : ٧٨.

(٣) غوالي اللاكي ١ : ٣٨١.

وكَلِّمًا حكم به العقل حكم به الشرع. والمقصود من ذلك أنه لو قَدَّر للعقل أن يقف على المقومات والملاكات الثابتة للأحكام الشرعية لحكم بما تحكم به الشريعة. وأيضاً فإنَّ الشرع يحكم بما يقطع به العقل من المصالح والمفاسد الواقعية وذلك في الموارد التي لم تنصَّ الشريعة على حكمها.

وهذا هو المستفاد من النصوص الواردة حول اعتبار الأحكام العقلية، كما قال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: «إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ. فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرَّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأُئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ»^١.

وبناءً على تلك القاعدة فإنَّ المواقف المتبناة من قبل العقلاء تجاه القضايا الاجتماعية والمبتنية على أساس مبررات قطعية تكون شرعية أيضاً.

وقد تكون القوانين العامة والمطلقة منصوصاً عليها في الآيات والأحاديث، ولكن هناك تخصيصات وتحديدات لها غير مصرَّح بها بل يكشفها العقل فيؤخذ بها.

وقد يتزاحم الحكم الشرعي مع الحكم العقلي، ويكون الحكم العقلي أهمَّ مناً من الحكم الشرعي، كما إذا كان عمل معين مباحاً شرعاً وأدرك العقل أو العلم أنَّ فيه مفسدة بسبب الملابسات المحيطة به، فحينئذٍ يفتي الفقيه بحرمة العمل نظراً لأهمية الجانب السلبي فيه. وكذلك العكس، فقد يصبح الحرام الشرعي ذا مصلحة ملزمة لا يجد العقل بدءاً منها فيكون الحكم وجوب ذلك العمل. وليس هذا الأمر راجعاً إلى اختيار الفقيه ورأيه، بل يستند إلى قاعدتي الملازمة والتزاحم الشرعيتين.

وكُلُّ ما قدَّمناه هو معنى حجية العقل وكونه مصدراً من مصادر الاستنباط في الفقه الإسلامي.

٧- شمولية الشريعة الإسلامية :

هذه الميزة التي عبّر القرآن عنها بالوسطية هي المؤثرة بدورها في ثبات الإسلام وتطابقه مع التطورات الحضارية، إذ إنّ القانون أو الشريعة التي لا تُدخل في نطاقها إلا جانباً واحداً من الجوانب العديدة المتعلقة بحياة الإنسان وتغفل عن سائر الجوانب الضرورية، سوف تبيد وتزول عن ساحة الحياة الاجتماعية، لأنّ الحياة البشرية تتكيف وفق العوامل المتغيرة، وإنّ الذهول عنها يسبب فقدان الموازنة والإعتدال في الحياة. وإنّ الركن الأساس في بقاء القانون هو شموله للجوانب المادية والروحية والفردية والاجتماعية للإنسان.

٨- صلاحيات الحاكم الشرعي :

هذه هي الفقرة الأخيرة من القواعد التي أردنا الحديث عنها، وهي قاعدة الصلاحيات المقررة للحاكم الشرعي، فهو المسؤول عن إتخاذ القرارات المختلفة بشأن القضايا الاجتماعية المستجدة وتكون لتلك القرارات حرمتها الشرعية قطعاً.

وقد قرّرت هذه الصلاحيات للنبي الكريم صلى الله عليه وآله في المرحلة الأولى حيث يقول القرآن الكريم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^١ فكان هو المسؤول عن إدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين، وكان يمارس ولايته في القضايا المختلفة من دون أن ينتظر نزول الوحي في كلّ مورد. فكان يتصرّف في هذه الأمور بوصفه الحاكم الشرعي لا بما هو الرسول المبلّغ للأحكام الإلهية. نعم لم يغيّر النبي الأحكام الثابتة بالوحي.

وعلى الفقيه أن يميّز بين الموارد التي يادر النبي إليها بصفته الولي الشرعي للأمة الإسلامية والموارد التي كان يتحرّك فيها وفقاً لما يتلقاه من الوحي. إذ القسم الأول قد يتغيّر بتغيّر الظروف والخصائص الزمنية في حين إنّ القسم الثاني غير قابل للتغيير أبداً.

(١) الأحزاب : ٦٠

ثم انتقلت هذه الصلاحيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى الإمام من بعده، وهي في المرحلة الثالثة تنتقل إلى الولي الشرعي أي الفقيه الجامع للشرائط. والكثير من الأحكام التي أصدرها الفقهاء إنما هي باعتبار ثبوت الولاية الشرعية لهم. كما نلاحظ ذلك في حكم الميرزا الشيرازي بتحريم التنباك، فإن من الواضح أن التدخين لم يكن محظوراً شرعاً، ولذلك صرح في حكمه بأن «استعمال التتن اليوم...» والتحديد بالزمان الخاص «اليوم» دليل على أن مصلحة المسلمين هي التي اقتضت التحريم. إذ ألغى الفقيه نفسه الحكم بانتهاه تلك الظروف.

فللفقيه الولي أن يحرم بعض المباحات أو يوجبها وفقاً لما تفرضه المصالح العامة للمسلمين، والحيجة الشرعية في ذلك هي الأحكام التي كان يصدرها النبي صلى الله عليه وآله بعنوان كونه الحاكم الشرعي للمسلمين. والنموذج الذي يمكن الإشارة إليه في هذا المجال هو موضوع الزكاة أو الضرائب، فقيه جانبان :

الأول : أن الحاكم الشرعي هل له أن يعمم حكم الزكاة إلى موارد أخرى حسب ما تقتضيه الظروف المستجدة غير الموارد المعهودة عند الفقهاء ؟ فالبعض يرى أن ذلك داخل في نطاق وظيفة الحاكم الشرعي، كما أن الإمام علياً عليه السلام جعل الزكاة على الخيل مع أنها ليست ضمن الموارد التسعة المعروفة للزكاة^١.

الثاني : إذا قيل بانحصار الزكاة في الموارد التسعة المقررة، فهل للحاكم الشرعي أن يقرّر الضرائب على سائر المواد والبضائع حسب الضرورات الاقتصادية والمعيشية للمجتمع الإسلامي ؟ لا شك في ثبوت ذلك له.

المستجدات في سيرة الأئمة عليهم السلام :

وبالمناسبة نجمل الحديث عن موضوع يزيد البحث وضوحاً وتأكيذاً أكثر مما سبق. وهو موضوع مسابقة المتطلّبات المتغيرة في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فحينما نلاحظ المواقف المختلفة التي اتخذها الإمام عليّ عليه السلام في مراحل حياته، وكذا المواقف العملية في حياة الإمام الحسن والحسين والأئمة من بعدهم عليهم السلام نرى أنها تعكس تجدد الظروف والملابسات التي توجب اتخاذ إجراءات متناسبة معها. مضافاً إلى ذلك فإن التصرفات الجزئية من قبل الأئمة عليهم السلام بالنسبة إلى شؤون حياتهم الشخصية كانت تتأثر بظروفهم المتغيرة. ونؤكد ذلك بذكر نموذجين في هذا المجال :

الأول : كان الإمام عليّ عليه السلام لا يخضب لحيته الكريمة، فُسئِلَ عن قول الرسول صلّى الله عليه وآله : «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تُشَبِّهُوا بِالْيَهُودِ»، فقال عليه السلام : «إنما قال ذلك والدين قُلٌّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامروا وما اختار^١. فيشير الإمام عليه السلام إلى حكمة أمر النبي صلّى الله عليه وآله بتغيير الشيب، وهي أن المسلمين كانوا قلائل في ذلك الحين، فكان الشيوخ يخرجون مع الشباب إلى الغزوات والحروب فيستقلّهم العدو لما يرى من أثر الضعف عليهم، فأمر النبي صلّى الله عليه وآله بتغيير الشيب لئلا يطلع المشركون على ضعف المسلمين. أمّا اليوم فقد طار صيت الإسلام واتسع نطاقه فكُلّ امرئ وما اختار.

الثاني : ما نراه في حياة الإمام الصادق عليه السلام، فكان الإمام يظهر بشيابه الجميلة والفاخرة، فيعترض عليه البعض، ونجد تفسير الإمام عليه السلام لذلك في النصّ التالي :

مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبد الله الصادق عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة فقال : واللّه لا يتيّنه ولا يؤخّنه، فدنا منه فقال : يا بن رسول الله ما لبس

(١) نهج البلاغة : ٤٧١، صبحي الصالح.

رسول الله مثل هذا اللباس ولا علي ولا أحد من آبائك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام :
كان رسول الله في زمان قتر مقتر وكان يأخذ لقتره واقتداره، وإن الدنيا بعد ذلك أرخت
عزاليها^١ فأحق أهلها بها أبرارها، ثم تلا : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^٢. ونحن أحق من أخذ منها^٣.

وفي ختام الحديث عن الموضوع لا بأس بالإشارة إلى كلمات بعض المفكرين من
غير المسلمين حول ذلك. يقول «برنارد شو» المفكر الايرلندي : إنني أبرز أكبر إعجابي
بالنسبة إلى شريعة محمد لما هي عليه من ميزة الحيوة الفريدة من نوعها. إن الدين
الإسلامي هو الوحيد - على حسب رأيي - الذي يقبل التساير مع الوجوه المتغيرة للحياة.
وهذا «شيلي شميل العيسمي» المفكر المادي الذي لا يعترف بأي شريعة سماوية لا
يتردد في إبداء تقديره بالنسبة للشريعة الإسلامية وذلك لأنها شريعة حية تنطبق مع
التطورات الحضارية المختلفة.

عَمَّا أَثَامَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَام :

وَلَوْ أَنَّ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مَاتَ أُولَئِكَ
الْقَوْمُ مَاتَ الْآيَةُ لَا بَقِيَ مِنْهَا لِقَارِئِ سُبْحٍ، وَلَكِنَّ
الْقُرْآنَ يَجْرِي أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

تفسير القياس ١ : ١٠

(١) العزالي : جمع العزلاء، وهو قم المزادة، وأرخت : أي أرسلت، يريد شدة وقع المظر على التشبيه بنزوله من
قم المزادة.

(٢) الأعراف : ٣٢.

(٣) فروع الكافي ٦ : ٤٤٢.

المجمع العالمي لأهل البيت وقضاة المسلمين الراية

«هناك محوران يمكن أن يلتفّ العالم الإسلامي بمختلف شعوبه حولهما ويصبحا مركزين لوحدة المسلمين، أحدهما: الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام، وهو أمر عاطفي اعتقادي، فقد دُعي المسلمون إلى المودة والمحبة لأهل البيت عليهم السلام، ولا بدّ أن تتمركز عواطف المسلمين وأحاسيسهم حول هذه النقطة.

والثاني: هو أخذ المعارف والأحكام الإلهية من أهل البيت عليهم السلام، فإنهم عدل القرآن وذلك حسب ما ورد في حديث الثقلين المتفق عليه بين الفريقين. وهذه نقطة مهمة جداً، وهذا يعني أنّ لواء أهل البيت عليهم السلام يمكن أن يكون رمزاً لالتفاف المسلمين ووحدةهم، وذلك بالنظر إلى هذين المحورين.

وبموالاتكم تثت الكلمة وعظمت النعمة واثقلت الفرقة».

من خطاب وليّ أمر المسلمين آية الله السيّد الخامني في لقائه أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

وبمناسبة الذكرى السنوية الثالثة لتأسيس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الذي برز إلى الوجود بأمر وإشراف من قبل الولي الفقيه ليمارس دوره في متابعة شؤون المسلمين وشجونهم، وخصوصاً أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وبمناسبة مرور سنة واحدة على صدور مجلة «رسالة الثقلين» التي تستمدّ معارفها من منبع الثقلين، وتدافع عن حریم القرآن الكريم والسنة المطهرة والعتر الطاهرة، تقدّم المجلة لقراءها الكرام وللعالم الإسلامي تقريراً عن أهمّ ما تصدّى له المجمع من شؤون المسلمين السياسيّة وهي كما يلي :

١- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بمناسبة استشهاد الأمين العام لحزب

- ١- بيان العلامة المجاهد الشهيد السيّد عبّاس الموسوي بتاريخ ١٤ / شعبان / ١٤١٣ هـ
- ٢- بيان الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بمناسبة هجمات أعداء الإسلام على الحركات الإسلامية في أنحاء العالم بتاريخ ١٤ / محرم / ١٤١٣ هـ.
- ٣- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول الإشتباكات في أيام عاشوراء في الباكستان بتاريخ ٢٠ / محرم / ١٤١٣ هـ.
- ٤- رسالة الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بمناسبة الاعتداءات التي يقوم بها النظام العراقي ضدّ أبناء الشعب العراقي بتاريخ ١٩ / صفر / ١٤١٣ هـ.
- ٥- رسالة الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بمناسبة استمرار الاعتداءات الوحشية التي يقوم بها النظام العراقي ضدّ الشعب العراقي المظلوم وخصوصاً الشيعة المضطهدون في الجنوب بتاريخ ٢٣ / صفر / ١٤١٣ هـ.
- ٦- رسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إلى المؤتمر الدولي الخامس للوحدة الإسلامية الذي أقيم بطهران بمناسبة أسبوع الوحدة بتاريخ ١٥ / ربيع الأوّل / ١٤١٣ هـ.
- ٧- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول ما قام به النظام السعودي ضدّ الشيعة في السعودية بتاريخ ٢٧ / ربيع الثاني / ١٤١٣ هـ.
- ٨- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول هدم مسجد بابري بتاريخ ١٣ / جمادى الثانية / ١٤١٣ هـ.
- ٩- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول الإشتباكات الدموية في أفغانستان بتاريخ ٦ / رمضان / ١٤١٣ هـ.
- ١٠- بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول يوم القدس العالمي

بتأريخ ٢٦ / رمضان / ١٤١٣ هـ.

١١ - بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بمناسبة يوم الجمهورية الإسلامية

بتأريخ ٧ / شوال / ١٤١٣ هـ.

١٢ - بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام حول هجوم أرمينيا الأخير على

أذربيجان بتاريخ ١٢ / شوال / ١٤١٣ هـ.

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بمناسبة استشهاد الأمين العام لحزب الله لبنان

العلامة المجاهد الشهيد السيد عباس الموسوي بتاريخ ١٤ / شعبان / ١٤١٣ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُذْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^١.

مرّة أخرى امتدّت اليد الأثيمة للإستكبار العالمي من أردان ريبته الصهيونيّة مصّاصة الدماء، فقتلت بسيف حقدها وعدائها المستمرّ والقديم ضدّ الإسلام والإنسانيّة إبناً من سلالة رسول الله صلّى الله عليه وآله، تصير المحرومين والمستضعفين، مجاهداً قديراً، ونموذجاً بارزاً لحزب الله، وإنساناً مهذباً كان كلّ عمره جهاداً في سبيل الله، ولم يقف ولا للحظة واحدة عن المطالبة بحقّ المظلومين.

وليست هذه هي المرّة الأولى والأخيرة التي يلوّث فيها الإستكبار العالمي والصهيونيّة أيديهما بدماء الشباب والأحرار المسلمين. ومن المؤكّد أنّ هذه الخطط

الواحية ليست عديمة التأثير على الإرادة الفولاذية لمجاهدي المقاومة الإسلامية ضد الصهيونية فحسب، بل إنها أثبتت أقدام المجاهدين في سبيل الوصول إلى أهدافهم السامية.

إن شهادة حجة الإسلام والمسلمين العلامة المجاهد السيد عباس الموسوي رحمه الله عليه الأمين العام لحزب الله في لبنان والعضو القدير في المجلس الأعلى للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام مع زوجته وطفلهما الصغير، وثيقة أخرى وشهادة على مظلومية أتباع أهل البيت عليهم السلام والمسلمين الأحرار في العالم.

إن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام يتقدم إلى الساحة القدسية لإمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه وللقائد الأعلى للثورة الإسلامية ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامني دام ظله وللأمة الإسلامية وللشعب اللبناني البطل وللمجاهدين الغيارى من حزب الله ولجميع أتباع أهل البيت عليهم السلام بخالص التعازي، متمنين على الله تعالى نصرة المستضعفين في العالم على جميع المستكبرين.

﴿وَلَا تَحْزَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

نص بيان الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بمناسبة هجمات أعداء الإسلام على الحركات الإسلامية

في أنحاء العالم بتاريخ ١٤ / محرم / ١٤١٣.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغُضِّهِمْ أَوْلِيَاءُ بَغِيضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا لَكُنْ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

إن الثوار المسلمين في أنحاء الأرض يواجهون هجوماً عنيفاً ومنظماً من قبل جميع

القوى المضادة للإسلام التي استخدمت كل طاقاتها وعقولها ومساعيها من أجل أن توجه أكبر الضغوط على المسلمين في كل مكان.

ففي أوروبا يشاهد العالم بأسره فجائع لا سابقة لها، فالصرب الوثق والمتعصبون منهمكون بقتل المسلمين وسلبهم ونهبهم وتهجير الآلاف منهم.

وفي الشرق الأوسط نشاهد الأنظمة الموالية للغرب تقوم بهجمات شعواء ضد أي حركة تنادي بالإسلام وأي ظاهرة إسلامية، وتعمل جاهدة من أجل قمع القوى الإسلامية وإثارة الجماهير ضد الحركات الإسلامية من خلال توجيه أنواع الإفتراءات والتهم الباطلة إليهم. وقد اشتدت هذه الهجمات المعادية لا سيما في مصر وتونس والجزائر وآسيا الوسطى، وهي تشكل مؤامرة خطيرة ضد كل ما هو إسلامي.

وهكذا تتعبأ كل القوى الشيطانية، وتتراكم كل الأحقاد الإستعمارية والصهيونية في مكان واحد تستهدف الإسلام، وتقيم السدود والعوائق أمام حركته الثائرة وانتفاضته الكبرى التي نشطت بانتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم قدس سره الذي استمرت مسيرته الظافرة من بعده بزعامة قائدها الكبير آية الله الخامنئي حفظه الله وسدد خطاه لتحقيق أهداف الثورة الإسلامية واتساع نطاق إشعاعها. نحن نعلم أن هذه الحملة الوحشية وبرغم أبعادها الواسعة وتنوع أساليبها، إنما هي تحكي عن عمق الضربة التي وجهها الإسلام إلى أعدائه، وعن مدى ارتياحهم ورعبهم مما يحمله الإسلام من برامج جديدة لعالم جديد لا يُعبد فيه أحد إلا الله تعالى وحده لا شريك له.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^١

وبهذه المناسبة، فإن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ يُعلن عن استيائه البالغ واستنكاره الشديد لهذه الهجمات الوحشية، يُعلن كذلك عن وقوف الجماهير

المسلمة ويضمنهم أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى جانب إخوانهم المعذبين في كل مكان، وعن استعدادهم لتقديم أي عون أو دعم مطلوب لهم، ويؤكد أن النصر والعاقبة للمؤمنين.

﴿وَسَيُفْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١.

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

حول الإشتباكات في أيام عاشوراء في الباكستان بتاريخ ٢٠ / محرم / ١٤١٣.
إنّ النبأ الأليم عن الإشتباكات في أيام عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام في مدينة بيشاور في الباكستان، ممّا يؤلم قلب أيّ مسلم وإع في العالم، تلك الإشتباكات التي أدّت إلى جرح واستشهاد أعدادٍ من الأخوة الأعزّاء، ولم يكن فيها أي رابح سوى أعداء الإسلام والمسلمين.

إنّ نبأ هذه التفرقة بين المسلمين يقرع الآذان، في حين إنّ الإستكبار العالمي يجمع شياطينه وينظّم صفوفهم من أجل الإطاحة بأيّ قوّة تعارضه في العالم وفي مقدّمها صوت الثورة الإسلاميّة، وبدهيّ أنّهم من أجل الوصول إلى أهدافهم هذه يفيدون كثيراً من خططهم القديمة والخبثيّة، أعني إثارة التفرقة بين صفوف المسلمين، وعلى هذا نرى نحن دون أيّ شك أنّ المخطّطين لسياسة التفرقة بين المسلمين إنّما هم أيادٍ أجنبيّة لن يرضى عنها أسيادها بأيّ شيء سوى الذلّ لكلّ المسلمين.

والذي يؤسفنا أكثر أنّ جانباً من هذه المؤامرة الخيائيّة ينفّذ بأيدي متدينين بسطاء يعملون ما يطلبه منهم الإستكبار في الحقيقة والواقع.

مرّت أحوامٌ عديدة يتّهم فيها الإستكبار كلّ حركةٍ إسلاميّةٍ متحرّرةٍ بأنّها تنتمي إلى جذورٍ غير إسلاميّةٍ من أجل تحطيم انسجام المسلمين. والذي يثير قلقهم هو اتحاد المسلمين في حركاتهم الأساسيّة مستلهمين خطاهم من التعاليم التحرّريّة للإسلام المحمّديّ الأصيل، ومن سياسة أعداء الإسلام أنّهم يفسّرون الثورة الإسلاميّة في إيران عام ١٩٧٩ م بأنّها قائمة على أساس فهمٍ قوميٍّ إيرانيٍّ وشيعيٍّ خاصٍّ، كما يربطون الحركات الإسلاميّة في شمال إفريقيا بقوميّاتهم ولغاتهم. ولذلك نرى أنّ الأرضيّة لإثارة الفرقة والإشتباكات بين المسلمين في شبه القارّة الهنديّة أكثر من سائر المناطق الإسلاميّة الأخرى.

إنّ العداء الإستعماريّ القديم للإسلام والمسلمين ولا سيّما المسلمين في هذه المنطقة الحسّاسة من العالم (شبه القارّة الهنديّة) سبّب في تشديد نشاطاتهم في هذه المنطقة، التي هي من أهمّ مناطق تمركز المسلمين وثرواتهم الإقتصاديّة والفكريّة. فمن الواجب الشرعيّ اليوم على جميع العلماء والمفكرين والغياريّ على الإسلام أن يفضحوا المغرضين بوعيٍ ويقظة، ويدعوا جماهير المسلمين إلى الإتحاد والأخوة والوحدة.

وبهذا الصدد فإنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ يؤكّد دعوته إلى الإتحاد والتفاهم بين المسلمين، يناشد كلّ القادة المسلمين ولا سيّما علماء باكستان أن يوظّفوا كلّ جهودهم ومحاولاتهم ومساعدتهم فيرشدوا جماهير المسلمين إلى الأهداف الإسلاميّة الكبرى وبعدهم عن الأرضيّة التي تودّي إلى الإشتباكات فيما بينهم. الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

نص رسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

بمناسبة الإعتداءات التي يقوم بها النظام العراقي ضد أبناء الشعب العراقي بتاريخ ١٩ / صفر / ١٤١٣.

السيد الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تتوالى الأنباء عن هجمات النظام العراقي بصدد إبادة المسلمين العراقيين ولا سيما المسلمين في جنوب العراق، ولا نأمل من هذا النظام سوى ذلك. وعليه فنحن نتوقع من الدول الإسلامية في العالم أن يستنكروا هذه الأعمال التي يقوم بها النظام العراقي منذ أمده بعيد، ونطالبهم بالدفاع عن المسلمين المضطهدين في العراق.

يجب على منظمة المؤتمر الإسلامي الدفاع عن حقوق المسلمين المظلومين في العراق في كل المحافل الدولية، فنحن نطلب من هذا المؤتمر أن يباشر عمله بالمنع عن استمرار هذه المجازر الجماعية بما يمتلكه من إمكانيات وتأثير.

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

رسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

إلى السكرتير العام لمنظمة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٣ / صفر / ١٤١٣.

السيد بطرس غالي السكرتير العام للأمم المتحدة

بعد السلام وتمنياتنا لكم بالموقفية، نقدّم لكم الشكر سلفاً لما تبذلونه من الإهتمام الخاص بهذه الرسالة وإمعان النظر فيها، وبعد.

كما تعلمون بأن النظام المعتدي الحاكم في العراق وبعد سنين طويلة من الحكم الجائر ما زال مستمراً حتى الآن وفي كل لحظة بتسويد صحائفه بما يسجله من جرائم

نتيجة حكمه التعسفي وجرائمه الشنعاء التي يمارسها ضدّ الشعب العراقي المظلوم. وبالأخصّ تشديده لحملاته الظالمة والوحشية ضدّ الشيعة في بلاده. بل إنّ هذه الجرائم التي تفوق وحشية جرائم ووحشية القرون الوسطى التي يمارسها الصربيون في البوسنة والهرسك، وجرائم الصهيونية في فلسطين، والتي تطال كلّ الشعب العراقي المضطهد وتتجاوز الجوانب المذهبية والقومية من شيعة وسنة وعرب وأكراد. ولهذا فإنّ خطر تجزئة العراق واضمحلال استقلاله السياسي يبدو ماثلاً أكثر من أيّ وقتٍ آخر، الأمر الذي أثار قلق المسلمين، ولا سيّما دول المنطقة.

حضرة السيّد السكرتير

إنّ للنظام العراقي سلوكاً مع شعبه المظلوم والأعزل لم يسلكه أي نظام جائر مع شعبه، وإنّ القلم ليعجز خجلاً من أن يسجّل الجرائم التي ارتكبتها هذا النظام في كافّة نقاط الأرض العراقية ولا سيّما بالنسبة إلى الشيعة. إنّ حكّام العراق وعلى الرغم من اللاتاحة العالمية لحقوق الإنسان وقرارات مختلف المؤتمرات الدوليّة، وبغض النظر عن قرارات ومجلس الأمن الدولي يبادرون إلى ارتكاب المجازر العاتية للشيعة ولا سيّما في جنوب العراق بقنابل النابالم وسائر الأسلحة والمعدّات غير القانونيّة. إنّ الشعب العراقي المظلوم والمضطهد يتوقّعون من المحافل الدوليّة وبالذات من منظّمة الأمم المتّحدة ومن شخصكم بالخصوص أن تحولوا دون استمرار الهجوم العسكري العراقي على الشيعة فيه، بما تتخذونه من تدابير لازمة.

حضرة السيّد بطرس غالي

في حين قد تصاعدت الهجمات الدائمة لصدام وحزب البعث في العراق لإبادة الناس في هذا البلد شماله وجنوبه وسائر مناطقه، حتّى باتت وحدة أراضيه مهدّدة بالخطر، نشعر بضرورة إقدام عاجل يحول دون ذلك بعيداً عن الملاحظات السياسيّة. إنّ الدفاع عن أمن الشيعة لا سيّما في جنوب العراق بفضل التدابير التي تتخذ من قبل

المحافل الدوليّة، مطلب لجماهير الشعب العراقي بل وسائر المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي.

وفي الختام أتقدّم إليكم شخصياً ومن قبل المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالطلب من الدول والشعوب الإسلاميّة والمحافل الدوليّة وجمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان بصورة عامّة ومن شخصكم بصورة خاصّة أن تنظروا إلى المسائل الإنسانيّة بعيداً عن المسائل السياسيّة ومصالح الدول الكبرى، وأن تقوموا بتكليفكم في سبيل صيانة حقوق الإنسان الأساسيّة والحفاظ عليها، وأن لا تبخلوا بأيّ سعي لمساعدة المسلمين المظلومين في العراق والشيعة بالذات في جنوبه وسائر مناطقه والذين هم اليوم يعيشون بأشدّ أنواع الضغوط والإضطهاد.

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

نص رسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

إلى المؤتمر الدولي الخامس للوحدة الإسلاميّة

الذي أقيم في طهران بمناسبة أسبوع الوحدة بتاريخ ١٥ / ربيع الأوّل / ١٤١٣ هـ

بمناسبة «أسبوع الوحدة» في أيام ميلاد رائد الوحدة والداعي إليها الرسول محمد صلّى الله عليه وآله وحفيده الكريم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يتقدّم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بأخلص التهاني والتبريكات إلى ساحة إمام العصر والزمان أرواحنا فداه ونائبه بالحقّ وليّ أمر المسلمين آية الله الخامنّي والأئمة الإسلاميّة جمعاء وبالأخصّ إليكم أيّها السادة المشاركون في المؤتمر الدولي للوحدة الإسلاميّة. سائلين الله تعالى المتّان أن يجعل هذه المناسبة فرصة ثمينة لرص صفوف المسلمين وطرده العناصر المفرقة، وتطبيق التعاليم الإسلاميّة الحيويّة والوحدويّة في جميع شؤون

الحياة البشرية، فتتحقق لنا وحدة كبرى أمام جميع الأعداء الذين قد استهدفوا - وبالتيام
وانسجام فيما بينهم - الإسلام والحركات الإسلامية الأصيلة في كافة أنحاء العالم : من
فلسطين ولبنان وشمال إفريقيا والبوسنة والهرسك وآسيا الوسطى وكشمير والعراق،
وكل مكان تقوم فيه الجماهير مصممة على القيام لتحقيق غد إسلامي مُشرق.

في هذا المقطع التاريخي الذي لا يألو فيه الكفر والنفاق بأي جهد أو ضغط أو مؤامرة،
وبكل عناصره، وفي صفوف متحدة ضد الإسلام والمسلمين، يبدو أن القيام والوقوف
اليقظ والواعي - وبصفوف متحدة وبقيادة حكيمة - ضرورة حتمية لا بد منها..

إنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام يتقدّم إلى المخلصين والذين يجدون
مدرسة أهل البيت عليهم السلام مدرسة أمينة وأنهم تلامذة أمناء في مدرسة الرسول
الأكرم صلّى الله عليه وآله يدعوهم إلى أن يوظفوا طاقاتهم وإمكاناتهم لملء ساحات الفراغ
الاجتماعي ورفع الموانع وحل المشاكل التي تحدث الفارقة بين الأمة الإسلامية، وكذلك
إلى طرد كل العناصر العميلة التي تحاول إثارة الحركات المفارقة بالإفادة من عامل الجهل
والعصبية لدى البعض، وأن يقودوا الجماهير المسلمة باتجاه تحقيق الوحدة الإسلامية
دون أن يكون فيها فواصل قومية أو عنصرية أو وطنية، بل يتجلّى الوجه الإسلامي
المشرق.

وفي الختام نبارك مرّة أخرى اسبوع الوحدة لكل من يسلك هذا السبيل المقدّس،
ونأمل ان يتعاون معنا كل المسلمين لتحقيق هذا الهدف العظيم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
حول ما قام به النظام السعودي ضد الشيعة في السعودية
بتاريخ ٢٧ / ربيع الثاني / ١٤١٣ هـ

تلقّى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بمزيد من التأثير وبألم نأ إدغام أحد الشباب السعوديين، وسجن اثنين آخرين من أتباع أهل البيت عليهم السلام في الحجاز وذلك باتهامات واهية.

إنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ يطالب المسؤولين السعوديين أن يُنْهَوْا أمثال هذه الأعمال الظالمة الجائرة، والتي تؤجج نيران الفرقة والعداء بين المسلمين وتسحق حقوق الإنسان وتؤدي إلى هدر دماء المسلمين، يطالب كافة المؤسسات والمنظمات والمراكز الإسلامية والإنسانية في كافة أنحاء العالم، أن ترفع احتجاجها ضدّ هذه الأعمال اللاإنسانية وأن تستنكرها بشدّة.

الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
حول هدم مسجد بابري بتاريخ ١٣ / جمادى الثانية / ١٤١٣ هـ

إنّ الحادثة الأليمة وهي تخريب مسجد بابري في الهند على أيدي عددٍ من الهنود والمتطرفين قد ألّمت قلب كلّ مسلم وكلّ إنسانٍ متحرّر. ولا يمكن التغاضي عن هذه الحادثة التي لا تحكي عن حقد أعداء الإسلام فقط، بل تمثّل هتك الحرمات والإهمال لجميع القيم المعنويّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة وحقوق الإنسان. إذ إنّ تحطيم ركائز القيم الإسلامية في العالم وسحق المسلمين فيه هو من أهداف الإستكبار العالمي ودسائسه المقيتة.

إنَّ المجازر الوحشيَّة للشعب المسلم في البوسنة والهرسك والحملة الثقافيَّة الشرسة على المقدَّسات والقيم الإسلاميَّة وإحداث الفتن في بلاد الإسلام إنما هي من نتائج ذلك التفكير السلطوي الأرعن والذي تبدَّى اليوم في تحطيم مسجد بابري على أيدي عددٍ من الهنود الجاهلين والمتطرِّفين المغرضين.

إنَّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ يستنكر تحطيم أحد القواعد الإسلاميَّة في الهند وهتك حرمة مسجد بابري يطالب بتضامن الأُمَّة الإسلاميَّة مع هذه الحادثة الأليمة، ويطالب الدول الإسلاميَّة أن يتَّخذوا الموقف اللائق ضدَّ هذه الأعمال اللاإنسانيَّة.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

حول الإشتباكات الدمويَّة في أفغانستان بتاريخ ٦ / رمضان / ١٤١٣ هـ

في الوقت الذي يعمل فيه أعداء الإسلام علناً على اختلاق ما يثير الخلاف والفرقة بين المسلمين، نشاهد المذابح المفجعة والوحشيَّة والإعتداء على الأعراض والنواميس للمسلمين الأفغان وأتباع أهل البيت عليهم السلام على يد المتعصِّين وأصحاب الأفكار المتحرِّجة المدَّعين للإسلام، العمل الذي سيقى وصمة عارٍ في جبين العالم الإسلامي. من نافلة القول إنَّ التطوُّرات الأخيرة في أفغانستان ليست بأيِّ عنوان وبأيِّ حالٍ من الأحوال بمصلحة الشعب الأفغاني ولا بمصلحة أيِّ فرقةٍ من الفرق الأفغانيَّة، وهذا أمرٌ واضحٌ تماماً. وإنَّ هذه المذابح والمجازر والإختطافات والمقاتل الجماعيَّة المتعدِّدة للأخوة والأخوات في أفغانستان وبأيدي إخوانهم إنما هي نتاج النزاع على السلطة ومراكز القوَّة لقيادة الفرق الأفغانيَّة. والذي يبدو واضحاً أنَّهم يريدون الوصول إلى السلطة

بأي حال من الأحوال وبأي وسيلة ولو كان الثمن هو إبادة البلاد والعباد في أفغانستان، ويفضّلون ذلك على أي شيء آخر حتّى على شرفهم الإسلامي والإنساني. إنّ الأعمال الوحشيّة لجناح سيّاف الذي أدّى إلى الإعتداء على نواميس المسلمين وضربهم وشتيمهم والذي آلم المسلمين كثيراً هو عمل منبوذ لدى الأمّة الإسلاميّة وتستنكره الإنسانيّة جمعاء.

إنّ أمثال هذه الأعمال الشنيعة واللاإنسانيّة ممّا يعمّق التفرقة والإختلاف بين الفرق الأفغانيّة، وتبعث على إغراض الشعب الأفغاني المسلم عن قاداته هؤلاء، وإنّ الطريق الوحيد لحلّ مشاكل أفغانستان هو الحذر الشديد من الإختلافات والمواقف المتعصّبة التي تؤدّي إلى تدمير القوى الإنسانيّة البناءة الصالحة وتحطيم الإقتصاد وبأس الشعب الأفغاني.

ونحن بدورنا نحذّر أيّ فرقة تحاول قتل هذا الشعب المسلم، ونؤكد لهم أنّ العالم الإسلامي سوف لا يتحمّل هذه الفجائع. إنّ هذه الأعمال الوحشيّة قد ارتكبت بحماية ودعم من الوهابيين الذين هم عارّ على العالم الإسلامي، وإنّ استمرارها يؤدّي إلى اقتراب الإستكبار العالمي من أهدافه. ولذا فمن المستحسن أن تعمل كلّ الفرق الأفغانيّة في ظلّ تفاهم سياسي واتّحادٍ منطقيّ معقول على ترك الخلافات جانباً، وأن تبدأ في بناء بلادها من جديد.

وعندها يبأس الإستكبار العالمي من خططه التي قام بها منذ أمدٍ بعيد، وينعم الشعب الأفغاني في العيش بحياةٍ مفعمةٍ بالسلام والبناء.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

حول يوم القدس العالمي بتاريخ ٢٦ / رمضان / ١٤١٣ هـ

أعلنت الجمهورية الإسلامية آخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس تحت عنوان (يوم القدس العالمي) بأمر من الإمام الراحل الخميني قدس سره، وجاء هذا الإعلان ضمن مواقف الدعم التي وقتتها الجمهورية الإسلامية في إيران مع جميع المسلمين والمستضعفين في العالم.

إن يوم القدس هو اليوم الذي يُعرف فيه الحماية الحقيقيون للشعب الفلسطيني من بين كل الدول المتظاهرة بدعمها لفلسطين، وهو اليوم الذي تفتضح فيه الرجعية الحاكمة على الدول العربية بما لهم من سوابق مشينة، وهو اليوم الذي تستشّف منه مواقف الإمام الراحل قدس سره، وهو مظهر النهضة ضدّ كل ظلم وعدوان، واليوم الذي يذكر بغضب الشعب الفلسطيني ضدّ إسرائيل الغاصبة. واليوم الذي تُحيى فيه كل القيم التاريخية والعاطفية والعقائدية للأمة الإسلامية.

نحن اليوم نحتفل بيوم القدس وقد مرّت خمس سنوات على نهضة الشعب الفلسطيني (الإنتفاضة)، وفي طول هذه الفترة استمرّ هذا الشعب الثوري والمظلوم في فلسطين والذي لم يجنّ من الحلول السياسية والمؤتمرات الدولية أي نتيجة سوى توطيد أسس النظام الغاصب أكثر من ذي قبل. واستمرّت المظاهرات والمسيرات والحركات الشعبية في شوارع فلسطين تلك الحركات النابعة من صميم الأمة وإرادتها، والتي كانت نتائجها حتى اليوم مفيدة وقيمة جداً. ولهذا فإنّ المسلمين في العالم اليوم - وبصدد دعم هذا الشعب المظلوم - يقومون بمظاهرات ومسيرات تأييدية له.

إنّ هذا الشعب المظلوم ضحية عدم الواقعية والمواقف التخاذلية والإنهزامية لبعض قادة هذا الشعب المظلوم، وكذلك المواقف اللاأصولية والثابتة الإزدواجية لبعض الدول العربية، وعدم قدرة هيئة الأمم المتحدة على تحجيم النظام الغاصب، وعدم

ضمان تنفيذ القرارات المتخذة من قبل الأمم المتحدة، كتجميد القرار ٧٩٩ بشأن نفي ٤١١ فلسطينياً المبعدين من بلادهم إلى جنوب لبنان، أو الموقف الثنائي المزدوج مع القرارات الصادرة مثل القرار ٧٩٤ بشأن الصومال والذي نُفذ لأنه يحقق مصالح الاستكبار العالمي، الأمر الذي يقلل بدوره من اعتبار الأمم المتحدة التي تحاول جاهدة أن تكيف نفسها مع النظام العالمي الأمريكي الجديد. وإن هذا الشعب تُسحق حقوقه اليوم على يد النظام الفاسد الذي يسميه الاستكبار نظاماً جديداً، والدول الإسلامية - باستثناء بعضها - تختار السكوت في هذا المضمار، والمؤتمر الإسلامي الذي بإمكانه أن يكون قاعدة قوية مقتدرة باتجاه تثبيت حقوق المسلمين، يتخذ مواقف متخاذلة من قضية الشعب الفلسطيني.

نحن نستنكر بشدة كل أعمال ومواقف الأنظمة والمنظمات المعنية التي لا تبالي بحقوق الشعوب، ونطالبهم باتخاذ المواقف الجادة والحازمة تجاه النظام الغاصب لفلسطين والقدس، وندعم الإنتفاضة، هذه الثورة الشعبية الفلسطينية المستمرة بيأس أبنائها وقنوطهم من أعمال بعض قادتهم ومن خيانة الحكام العرب الذين يتظاهرون بدعم وحماية الفلسطينيين.

ومن هنا نطالب كل المسلمين ولا سيما أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يقدّسوا هذا اليوم ويدعموا فيه الشعب الفلسطيني المظلوم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام



بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بمناسبة يوم الجمهورية الإسلامية بتاريخ ٧ / شوال / ١٤١٣ هـ

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^١
إنّ ذكرى يوم ١٢ فروردین سنة ١٣٥٨ هـ يوم عظیم في تاریخ الثورة الإسلامية في إيران. وفيها تراءى إشرافه خاصّة بها في أذهان الأحرار والواعين. وفي هذا اليوم المبارك طوي سجلّ الشياطين والطواغيت الذين كانت سياطهم قد رسمت خطوطها على وجوه المستضعفين والمحرومين في إيران، وبقيادة القائد العظيم -والفدّ في العالم الإسلامي الإمام الخميني الراحل قدس سرّه- وبمساعدة أولئك المظلومين - استقرّ فيه النظام المقدّس للجمهورية الإسلامية في إيران.

إنّ الشعب الإيراني البطل لم يهدأ لحظة واحدة عن المحافظة على هذا النظام وإحياء القيم الإسلامية، وها هو يدافع عن مواقع هذا النظام الإسلامي بالتضحية بالنفس والمال. وبهذا الدفاع وبالإستعانة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة استطاع المسؤولون في النظام الإسلامي تأسيس الحكومة الإسلامية الشعبية، وقطعوا العلاقات الإيرانية بالدول الإستعمارية.

وتعتبر الجمهورية الإسلامية اليوم من أهمّ القواعد التي تنعقد عليها آمال المستضعفين والمحرومين في العالم. وها هو هذا النظام المقدّس بقيادة آية الله السيّد الخامني يتقدّم إلى الأمام في سبيل نفس الأهداف القيمة لمؤسّس الجمهورية الإسلامية وقائد ثورتها الإمام الراحل قدس سرّه، ويمثّل هذا النظام أحد المراكز المهمّة للوقوف بوجه الإستعمار والإستكبار العالميّين.

وسوف نرى تحرّكات الأمة الإسلامية وشعوب المسلمين في العالم بحول الله وقوّته في طريق المطالبة بحقوقهم. وفي الختام نكرّم هذا اليوم الكبير، الذي نأمل أن يصبح

مبدأ خيرات كثيرة لجميع المسلمين في العالم ولا سيما أتباع أهل البيت عليهم السلام.
المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

حول هجوم أرمينيا الأخير على آذربيجان بتاريخ ١٢ / شوال / ١٤١٣ هـ
إنّ الأخبار الأخيرة عن هجوم أرمينيا على آذربيجان أحدثت قلقاً لدى جميع
الشعوب الإسلامية، وقد بدأ هذا الهجوم منذ عدّة أيام في منطقة (قره باغ) الجبلية وهي
في توسع الآن، وقد سقطت مدينة كلباجار بأيدي القوّات الأرمينية، وها هي الأموال
والنفوس لآلاف المسلمين معرضة للهلاك والدمار.
إنّ هذه المؤامرة الأخيرة تمّت على أثر المحاولات السابقة للإستكبار العالمي بصدد
إحداث الفِرقة بين الشعوب الحرّة والمضطهدة.
إنّ أحرار البشرية والشعوب المستقلة يتوقّعون أن تحلّ الدول اختلافاتها بالطرق
السلمية وفي أجواء التفاهم والحوار. ولا تسعى إلى تدمير أوطانها وشعوبها وممتلكاتهم.
وإنّ صمت الدول الكبرى وبعض المحافل الدولية التي تدّعي السلام العالمي والدفاع
عن حقوق الإنسان يعتبر تأييداً لهذه التحركات الأخيرة من قبل أرمينيا وهو شبيه
بالصمت عن جرائم الصرب ضدّ المسلمين في البوسنة والهرسك.
إنّنا نطالب كلّ الأحرار والشعوب الحرّة أن يستنكروا الجرائم المستجدة من جانب
أرمينيا وأن يطالبوهم بوقف إطلاق النار والتراجع عن الأراضي الإسلامية في آذربيجان.
المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الدراسة الإستشراقية الفرنسية



الشيخ فؤاد بن محمد الفاروق - ١٩٩٠

استعرضنا في الحلقة السابقة معلمين وبعدين من معالم وأبعاد المدرسة الإستشراقية الفرنسية^(١). وفيما يلي القسم الثاني من دراستنا الذي تتناول فيه بقية المعالم والأبعاد الأساسية لهذه المدرسة الاستشراقية.

٣- مناطق نفوذ المدرسة الإستشراقية الفرنسية :

إن الاقتران الذي أكدناه في حركة الإستشراق بالتبشير والإستعمار يحتم علينا جداً أن نجعل من مناطق النفوذ السياسي والثقافي لفرنسا مجالاً أساسياً للإستشراق الفرنسي على نحو التمهيد أو الترسخ لتلك الحركة السياسية والثقافية، سواء أكانت على شكل عمل تبشيري بكافة أبعاده الثقافية والدينية، أو نفوذ اقتصادي أو إستعمار عسكري مباشر. ومن خلال استعراض الجغرافية السياسية لمناطق النفوذ الفرنسي نجدها تحتل رقعة واسعة ومهمة من مناطق الوطن الاسلامي.

وقد بدأ الإستشراق الفرنسي عمله الميداني المباشر عندما اكتُشف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٨ م، فتدفق المستشرقون بعناوينهم المتعددة كعلماء ومتقنين عن الآثار

(١) كان أولها: المميزات الأساسية التي تميزت بها هذه المدرسة، والعوامل التي كُنت وراء هذه الامتيازات من عداة وحقد دفين على الاسلام كدين وحضارة. وروح صليبية متعصبة، وعنصرية متطرفة للثقافات والانتماءات الفرنسية ونزعه استعمارية إستكبارية في البعد الايديولوجي والحضاري. وكان ثانيهما: نشأة هذه المدرسة وعوامل تطورها ونموها.

وكمبشرين للنصرانية. وقد سبق هذا الانتشار افتتاح مراكز للتبشير في إفريقيا السوداء، كان أولها في الكونغو عام ١٤٩١ م، فعملت على التعرف على هذه القارة، والتمهيد بالتعاون مع عصابات تجار الرقيق لدخول فرنسا كأكبر قوة غازية ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً لهذه القارة^١.

وممن انتحل صفة الاستكشاف والبحث والتنقيب الكاردينال لافيغري^٢ الذي عمل ويشكل فاضح وصريح على تكريس الوجود الاستعماري الفرنسي من خلال عمله. وقد أعلن عن ذلك في معرض حديثه عن إفريقيا، وأبدى أسفه الشديد من عدم تمكنه من نشر النصرانية بين المسلمين وخصوصاً الجزائريين بقوله: إنه أراد أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح^٣.

وقد تبلورت وتحددت مناطق النفوذ الفرنسي خصوصاً في القارة الأفريقية، وقد بدأت عملية الإخضاع العسكري المباشر للنفوذ الفرنسي بالجزائر عام ١٨٣٠ م، ثم تونس عام ١٨٨١ م، ودخلوا السنغال عام ١٨٥١ م، أما بنين (داهومي سابقاً) فقد احتلتها فرنسا عام ١٨٩٤ م. ومنذ عام ١٨٥٤ م خاض الاستكبار الفرنسي من خلال السنغال عدة محاولات لاحتلال موريتانيا حتى تم له احتلالها في عام ١٩٠٣ م، أما احتلال بلاد الشام (سوريا ولبنان) فقد تم في مطلع هذا القرن^٤. كما امتد النفوذ الفرنسي وثبت أقدامه في مسقط وزنجبار عام ١٨٨٤ م عندما عقدت فرنسا معاهدة مع سعيد بن سلطان، حاكم هاتين المنطقتين، كما حصلت في عام ١٨٩٩ م على تنازل من سلطان مسقط تحصل

(١) محمود، سامي - انتشار الإسلام والدعوة إليه : ٤٣ - ٤٤.

(٢) لافيغري (١٨٢٥ - ١٨٩٢ م) كردينال فرنسي اهتم بشؤون الشرق، رئيس أساقفة الجزائر. أسس جمعية الآباء البيض عام ١٨٦٨ م. بدأ حياته مبشراً في شمالي إفريقيا والسودان، كلفه بذلك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨ م) نفسه.

(٣) فروخ، عمر. والخالدي، مصطفى - التبشير والاستعمار : ٢٤٧.

(٤) انتشار الإسلام والدعوة إليه : ٤٠ - ٤٩ والخطابي وجمهورية الريف.

بموجهه على مستودع للوقود بطريقة الإيجار في ميناء الجصة^١، وقد نافس الفرنسيون الانجليز على شبه القارة الهندية واشتبكوا معهم في صراع اقتصادي سياسي عنيف حتى اضطروا لتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في «بندر عباس» في نفس العام في مقابل شركة الهند الشرقية البريطانية^٢. على ضوء مقررات مؤتمر برلين الذي انعقد في عام ١٨٧٨ م والتي وضعت اسس هذا النفوذ وحاولت أن تخفف من أسباب الصراع بين الدول الأوروبية، وخصوصاً بين فرنسا وانجلترا حول القارة الأفريقية^٣. وبعد وضوح حدود النفوذ الفرنسي في افريقيا بدأت حركة واسعة لإخضاع شعوبها الى الثقافة الفرنسية وبشتى الصيغ والأساليب^٤.

٤- صيغ وأساليب المدسة الاستشراقية الفرنسية وتشكيلاتها:

إن من أبرز وأهم الأساليب والتشكيلات التي اعتمدتها هذه المدرسه في عملها الاستشراقي والتي أثرت في النتائج اثراً بليغاً حقق أغلب الأهداف والمرامي المتوخاة منه وهي :-

أ- تسخير المبشرين والأقليات النصرانية واليهودية المتواجدة في البلدان الاسلامية لتجميع المعلومات الأولية والدراسات الميدانية عن الإسلام والمسلمين في بلدانهم لتكون مادة اولية بين يدي المستشرقين لينطلقوا منها ويتابعوا تفصيلاتها ويخضعوها للبحث والتحليل ضمن الخطط الموضوعه لذلك من قبلهم، وقد تم ربط النصارى من مواطني البلدان بالتشكيلات التي اعتمدتها فرنسا عن طريق الحصول على امتيازات

(١) السياسة الفرنسية : ٣٦١.

(٢) الخطيب، مصطفى عقيل اسحاق - التنافس الدولي في الخليج، السياسة الفرنسية : ٣٨٤.

(٣) لكاتب هذا البحث - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ٨٢.

(٤) ففي عام ١٨٩٨ م كتب البابا ليون الثالث عشر الى الكاردينال لانجينو ما يلي : «لقد علمنا برضا كامل ... بأن تفكير شخصيات بارزة بنجه نحو تكوين لجنة وطنية في فرنسا للحفاظ على الحماية الفرنسية في الأراضي المقدسة والدفاع عنها ... فعسى ان تضمن هذه الجهود المتحدة وجوداً مستقراً للكنيسة الكاثوليكية في الشرق لكي تعمل بنجاح على نشر الايمان الحقيقي ولعمدة الرعايا الضالين الى حضيرة المراعي الكنسي الأواحد والاعلى». مجلة المنقنى - العدد الأول : ٦٧ أبريل ١٩٨٣ م.

خاصة بحجة «حماية المسيحيين، في الإمبراطورية العثمانية»^١.

ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا بأعداد وتربية مبشرين محليين من خلال مدارس اكليركية يتخرج منها ما يسمى بالاكليروس المحلي، خصوصاً وأن عامل اللغة يعدّ أساساً في أداء الدور الأمثل لهؤلاء المبشرين المحليين، وفي هذا الصدد يركز مؤرخو تلك الفترة : ان اليسوعيين لجأوا بعد سنوات من العمل المتواصل والدؤوب الى إعداد «الدعاة المحليين» أملاً في تثبيت مستقبل العمل التبشيري في المشرق، وسعياً لتجاوز عائق اللغة الذي كان يقلق مرسلهم ويعرقل صلتهم اليومية بالذين يتوجهون اليهم، لأن المبشرين لا يعرفون العربية لغة السكان في هذه المناطق^٢.

لذا وتثبيتاً لمستقبل هذه الأرساليات، ضم اليسوعيون مساعدين لهم من أهل البلاد، بعد اختيارهم بدقة وعناية، لأن بإمكانهم ممارسة نفوذ وتأثير يعجز عنه الاجانب غالباً. «لقد كان ذلك تطبيقاً للقاعدة الحكيمة التي طالما نادى بها البابا ليون الثالث عشر

(١) يشير الى ذلك G. Bouchad أحد مسؤولي البعثات الفرنسية حيث قال : «... في هذا القرن [القرن التاسع عشر] دخلت اوربا في عصر جديد من التوسع العسكري والسياسي بدأ مع الثورة الصناعية التي قلبت الأوضاع الاجتماعية والفكرية داخل اوربا وأدت إلى ولادة الرأسمالية، وخروج اوربا من حدودها لمواجهة الكتلة الإسلامية الضخمة المتمثلة في «الإمبراطورية العثمانية» المتراصة الأطراف وكانت الإمبراطورية العثمانية التي حصلت عليها دول اوربا «الحماية المسيحية» داخل «الإمبراطورية» حجة وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة الى الطوائف المسيحية والأقليات الدينية، تحميها شرعية القنصليات والسفارات، أو القوة العسكرية المباشرة، فأسست مدارسها الخاصة بها، وأرست اسس نظام تعليمي يستلهم الثقافة الاوربية ويشير بها. الدكتور عتريسي، طلال - البعثان اليسوعية : ٢٤.

(٢) هذه الحاجة الماسة والمتناهية لهؤلاء «الدعاة» يعبر عنها أحد الابهاء المسؤولين في دمشق عام ١٨٦٠ م بقوله :

لا اكليروس محلي بدون مدرسة اكليركية، ولا مستقبل للأرساليات في المشرق في غياب الأكليروس المحلي. ان إرسال البعثات مفيد ولا شك، خاصة وسط هذه الامم الجاهلة والكسولة. لكن المؤسسة الاوربية ليست مؤسسة صلبة بشكل كاف، لأن جذورها لا توجد في البلد نفسه... والسبب الذي يدعونا لتكوين اكليروس محلي هو عينه الذي يدفعنا لإعداد اساتذة محليين أيضاً.. إن المعلم والمعلمة العربيان يستطيعان الذهاب، وكل بمفرده، الى أية قرية، فهما متكيفان مع اللغة والمناخ والعادات والغذاء مع بؤس البلد. كما يكفي الواحد منهما مئة فرنك في السنة. شقاليه، مجمع جبل عامل : ٢٦٧.

وهي اغواء الشرق بواسطة الشرقيين أنفسهم»^(١).

واتسعت فكرة استثمار النصارى والأقليات المذهبية الأخرى من أبناء الشرق لتشمل اليهود، خصوصاً في بعض المناطق التي كانت لهم فيها طموحات دينية وتاريخية كفلسطين، حيث ذهب بعضهم الى: «أن المبشرين كانوا مقتنعين جداً بأن جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم مهمتهم في الوصول الى المسلمين، من اجل ذلك ارادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين على مصاريحها لهجرة اليهود»^(٢).

«فليس من المستغرب إذن أن تجد سبعاً وعشرين جمعية تبشيرية مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا ملل في فلسطين»^(٣).

ب - إعتقاد اسلوب ضخ اكبر عدد من المستشرقين الفرنسيين من ذوي الاختصاصات التبشيرية الى بلدان الشرق الاسلامي.

لقد أعدت فرنسا جيشاً من المبشرين والمستشرقين الذين ينتشرون في افريقيا ولبنان، ويذكر مالك بن نبي: «أن المستشرق الفرنسي (ماسنيون) قد تفرغ آخر حياته للتبشير ومدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الاسلامية وتهيئة العملاء والكتاب»^(٤).

ويكفي أن نشير الى الرقم الآتي ليعبر عن مدى العمق الرابط الوثيق بين الصليبية والرهابية الفرنسية وبين الاستشراق والاستكبار، فقبل الحرب العالمية الاولى بلغ عدد المبشرين المرتبطين بالمقام البابوي ٧٣٠٠٠ مبشراً، كان ثلاثة أرباع هؤلاء من التابعة الفرنسية الذين توجهوا الى سوريا وفي مجال التعليم.

أما «مؤسسة الدعاية»، وهي منظمة صليبية تبشيرية فرنسية، فقد أصدرت عام ١٨٨٨ م هذا التعميم: «إننا نعلم بأن الحماية الفرنسية قائمة في المشرق منذ عدة

(١) Bullet in d'oeuvres des ecoles d'orient 1862 : 210 - 212.

(٢) Christion Mission 188.

(٣) Richter 238.

(٤) د. الخالدي مصطفى، د. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار : ٢٢١.

قرون، ولقد تأكدت هذه الحماية من خلال المعاهدات الموقعة بين الحكومات، لذلك يجب أن لا يتم أي تغيير على الاطلاق بخصوص هذه النقطة. يجب الحفاظ دينياً على هذه الحماية أينما كانت سارية، كما يجب أن تعلم البعثات التبشيرية بان تلجأ عند الحاجة -لأي عون- الى قناصل وممثلي الامة الفرنسية^١.

ج - توجيه المبشرين الفرنسيين للتخصص في الاستشراق ورسم مناهجه بما يخدم الأهداف الثقافية والسياسية للاستكبار الفرنسي.

فقد تلبس المبشرون بجميع المظاهر حتى في ثوب المستكشفين الذين ظهروا أمام العالم علماء أعلاماً بل ان نابليون حوّر وطوّر من أساليب الاحتواء الاستشراقي لمصر قبل وبعد احتلالها باستخدام ادوات المعرفة والقوة الغريبتين. ومنذ ذلك التاريخ تغيرت لغة الاستشراق ذاتها تغيراً جذرياً، فقد ارتقت واقعيّتها الوصفية وغدت لا مجرد أسلوب للتمثيل، بل لغة، بل بالأحرى وسيلة للخلق^٢.

لقد اصبح المستشرقون، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جماعة اكثر جدية، لان ابعاد الجغرافيا التخيلية والواقعية كانت بهذا الوقت تقلصت، اذ أن العلاقة الشرقية الاوربية كانت قد تحددت بتوسع اوربي لا يُصدُّ بحثاً عن الاسواق والمصادر الطبيعية والمستعمرات. واخيراً، لان الاستشراق كان قد أنجز تقمُّصه وتحوُّله من انشاء بحثي الى مؤسسة إمبريالية^٣.

ولقد اصبحت باريس لفترة تنوف على النصف الاول من القرن التاسع عشر عاصمة للاستشراق (وعاصمة القرن التاسع عشر نفسه، كما يرى فالتر بنجمن)^٤.

وتكفي للاحاطة بهذه الحقيقة المراجعة لكتاب جُول مول «سبعة وعشرون عاماً من تاريخ الدراسات الشرقية».

(١) مجلة المنتقى - ع ١ : ٦٨ أبريل ١٩٨٣ م. (٢) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٥١، ١١٢.

(٣) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ١٢٠. (٤) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٨٢.

(٥) وهو سجل في مجلدين لكل ماله من قيمة من أحداث في الاستشراق بين ١٨٤٠ م - ١٨٦٧ م، وقد كان مول

د - خلق ارضية الارتباط الروحي والمعنوي بفرنسا والعمل على تشويه الثقافة الاسلامية وإثارة الشبهات حول الاسلام والحركات الاسلامية باعتبارها عقبة اساسية امام ترسيخ اتجاهات الفكر الاستكباري^١.

ويؤكد هذه الميزة أيضاً منهج السياسة الفرنسية في التعامل مع الشرق والتي تتمثل بمقولة: «إذا كان لفرنسا أن تستمر في منع «عودة الاسلام» فقد كان من الخير لها أن تحتل الشرق، وكانت هذه منظومة طرحها كريساني وثنى عليها السيناتور بول دومر. وقد كرّرت هذه الآراء في مناسبات كثيرة، وبالفعل فقد نجحت فرنسا بمفردها في شمال افريقيا بعد الحرب العالمية الاولى^٢.

ويحذر الكاردينال لافيجيرى من خطر قوة الاسلام وتهديدها للتطلعات الفرنسية في الشرق فيقول: «وبينما كان الاسلام على وشك ان ينهار في اوربا مع عرش السلاطين «من آل عثمان» كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه على ابواب مملكتنا الافريقية»^٣.

ولا يجد هؤلاء مناصاً من الامعان في تشويه الاسلام تحقيقاً للهدف الاساسي في

هذا أميناً للجمعية الآسيوية في باريس.

(١) وهذا ما يؤكدّه المتخصصون في دراسة الاستشراق، فعند المقارنة والتمييز بين المدرسة الاستشراقية الفرنسية والمدرسة الاستشراقية البريطانية مثلاً يقولون: (...) في عرف برّيس -موريس برّيس مؤلف كتاب «اكتناه بلدان شرق المتوسط» وهو سجل لرحلة عبر الشرق الأدنى عام ١٩١٤م - ان الحضور الفرنسي يَرى بأفضل صورة في المدارس الفرنسية ... وإذا كانت فرنسا لا تمتلك مستعمرات في الشرق فعلياً، فإنها ليست دون ممتلكات بصورة مطلقة .. نمة، في الشرق، شعور حول فرنسا هو من الدبّية والقوة بحيث انه قادر على أن يتمثل، ويصالح بين تطلعاتنا الأكثر اختلافاً وتنوعاً. ففي الشرق، نمثل نحن الروحانية، والعدالة، وقُصَّة المثالي ... نحن نمثلك الأرواح الشرقية ... كيف نستطيع ان نشكل لانفسنا نخبة فكرية نقدر على العمل معها، تتألف من شرقيين لن يكونوا قد اقتلعوا من جذورهم، شرقيين يستمرون في الارتقاء تبعاً لمعاييرهم الخاصة، وتظل نخترقهم تقاليد العائلة، ويشكلون، هكذا، رباطاً بيننا وبين جماهير السكان الأصليين؟ كيف سنخلق علاقات بهدف تمهيد الطريق لاتفاقيات ومعاهدات ستكون هي الشكل المرغوب فيه لمستقبلنا السياسي «في الشرق»؟ هذه الاشياء جميعاً في النهاية ذات مدار واحد، هو تنمية ذوق استمراء لدى هذه الشعوب الغريبة للبقاء على اتصال بذكائنا، رغم ان هذا الذوق قد ينبع في الواقع من حشهم الخاص بمصيرهم القومي. سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٢٥١.

(٢) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٢٣٤.

(٣) Pottier 113.

إضعاف قوته وردم سدوده امام غزوهم الثقافي واستعمارهم السياسي والعسكري، حتى وصل بهم الامر الى ان يقول احدهم: «إن الاسلام مقلد، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أومع شيء من التبديل»^١، وبلغ التدجيل ذروته بجون ثاكلي أن يقول عن المسلمين: «يجب ان نستخدم كتابهم [اي القرآن الكريم]، وهو اقصى سلاح في الاسلام، ضد الاسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب ان نري هؤلاء الناس ان الصحيح في القرآن ليس جديداً، وان الجديد فيه ليس صحيحاً»^٢.

وفي معرض اثارهم للشبهات حول الحركات الاسلامية كتب يوليوس رشر عن ثورة المهدي على الانجليز في السودان قائلاً في وصفها: «... هذا التعصب الاسلامي الضيق الأفق بكل ما فيه من بغض للثقافة»^٣.

هـ - الدعوة الى تطوير الاسلام كاسلوب للدرس فيه وتشويه معالمه. فمن انجازات المستشرقين الكبيرة - وفي مقدمتهم المستشرقين الفرنسيين - انهم اثاروا في قلوب قادة العالم الاسلامي اليوم وزعمائه - ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى أو درسوا الاسلام بلغات الغرب - شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية، وأحدثوا في نفوسهم بأساً كبيراً في الحث على نعمة «إصلاح الديانة» و«إصلاح القانون الاسلامي»^٤ ومن ابرز هؤلاء المستشرقين الذين بذلوا عناية خاصة بهذه الدعوة هو المستشرق الفرنسي ماسينيون، فقد كان له حضور رئيسي في العلاقات الإسلامية الفرنسية، في السياسة كما في الثقافة، وكان بوضوح رجلاً ذا شوب انفعالي آمن بان عالم الاسلام يمكن اختراقه لا عن طريق البحث، حصرياً، بل عن طريق تكريس النفس لجميع اوجه نشاطاته، التي لم يكن اقلها عالم المسيحية الشرقية المنضوية ضمن الاسلام والتي تلقت

(٢) Islam and Missions 217f.

(١) Islam and Missions 43.

(٤) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : ١٧٨.

(٣) Julius Richter 366.

أحدى جماعاتها الفرعية، الجمعية الخيرية البديلة، تشجيعاً حاراً من قبل ماسنيون^١.
ويؤكد هذه الدعوة، التي أخذت اتجاهات عاماً في أغلب الدراسات الاستشرافية،
التركيز والاهتمام الشديد الذي أولاه المستشرقون الفرنسيون بالدراسات الإسلامية،
وهذا نابع من روحهم الصليبية وغرضهم الرئيسي، وهو تحديد نقاط ضعف المسلمين
ومحاولاتهم فهم الإسلام لكي ينفذوا إلى المجتمع الإسلامي عن طريق ذلك.

و- توقيت حركة المستشرقين الفرنسيين وتغلغلهم في البلاد الإسلامية بما يمهّد
لمقدمات الغزو الفرنسي لهذه البلدان، وتحكيم السياسة الفرنسية فيها^٢.

بل إن دور المستشرقين أخذ مدًى أكبر من ذلك عندما أصبح التنافس الاستكباري
يدفع بالمستكبرين إلى ادخال دول الشرق بمنظورهم الاستعماري في مجال
الاستشراق، بحيث أن فرنسا بدت حرقاً مشبوحاً ببريطانيا، خريصة في كل ما يتعلق
بالشرق على اللحاق بالبريطانيين ومحاكاتهم. وحين صاغت الجمعية للهند الصينية في
أواخر الـ ١٨٧٠ م (ات) أهدافها وجدت مهماً أن «تدخل الهند الصينية في مجال
الاستشراق» لماذا؟ من أجل أن تحيل صين كوشين إلى «هند فرنسية»!

وقد طرح جغرافي بارز هو «لارونسيير لونوري» منظومة تقول: «إن قوة توسع
العروق الأوروبية وأسبابه وعناصره وتأثيراته على المصائر البشرية ستشكل مادة دراسة
جميلة للمؤرخين في المستقبل»^٣. ولهذا تجد أن «أكثر الرسائل مساهمة في تحقيق
انتداب فرنسا على سوريا ولبنان هي الرسائل الفرنسية»، «لأن من بين الاثني عشر ألفاً

(١) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٢٧٠.

(٢) من الأرقام الكاشفة عن هذه الحقيقة إن عدداً كبيراً من مترجمي نابليون كانوا تلاميذ «سلفستر دوساسي»
الذي كان - بدءاً من حزيران عام ١٧٩٦ م - المدرس الأول والأوحد للعربية في المدرسة الأهلية للغات الشرقية.
وأصبح ساسي، فيما بعد تقريباً معلماً لكل مستشرق بارز في أوروبا، حيث سيطر تلاميذه على هذا الحقل ما
يقارب ثلاثة أرباع القرن. وكان كثيرون منهم نافعين سياسياً، بالطرق التي كان بها عدد آخر نافعاً لنابليون في
مصر. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ١٧٨.

(٣) Agnes Murphy, The Ideology of French Imperialism 1817 - 1881
(Washington : Catholic University of America press, 1948), pp. 46, 54, 36, 45.

من طلابهم، كما يقول الأب لوروا،^١ سبعة كانوا وزراء او سكرتيري دولة في مصر .. وان مدراء الخدمات الرسمية في لبنان وسوريا وفي دولة العلويين آنذاك كانوا جميعاً من طلاب العازارين^٢. كما «لم تحمل البعثات الفرنسية والتبشيرية التي توافدت إلى سوريا ولبنان مشاريع مستقلة عن السياسة الفرنسية فيها، انما اقتصر أمر التمايز والاختلاف على المرحلة الاولى من عمل اليسوعيين التي احتلت موقع الصدارة بين البعثات جميعاً»^٣.

والطريف المثير ذكره هنا أنه «في الحرب العالمية الاولى ترك المبشرون عملهم التبشيري وجعلوا يطوفون في المناطق ويجمعون المتطوعين لجيوش دولهم»^٤.
 ز - استعانة المستشرقين الفرنسيين، ضمن برامج المؤسسات السياسية الفرنسية، بالاقليات النصرانية واليهودية وامثالها القاطنة في البلدان الاسلامية، كمصدر للمعلومات الميدانية والرؤى المباشرة للواقع، وكسند سياسي واقتصادي بل وعسكري للاستعمار الفرنسي^٥. ولانتشار المدارس التي رافقت عمل المبشرين، بحيث تحولت الخصوصيات الاجتماعية والطائفية الى صراعات وولاءات ثقافية وسياسية تحتضنها الارشاليات ويدعمها القناصل والتجار. وتحول الهدف الأساسي لتعليم المرسلين، بعد أن تداخل مع السياسة والتجارة، إلى اعداد «لعقول» تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، و«نخب» ستترفع على رأس كيانات التجزئة التي قُرِضت قسراً.

وكان لجبل لبنان؛ قبل أن تلحق به أفضية ومناطق في سوريا، وتحول إلى «دولة لبنان الكبير» عام ١٩٢٠ م، وبعد ذلك ايضاً؛ حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها. لا بل

(١) Revue d'histoire des Missions. P. 522.

(٢) الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ١٦١.

(٣) الدكتور خالد، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٢٤٤.

(٤) ويمبظ اللثام عن هذا الأمر ما اشار اليه كتاب السياسة الدولية في الشرق العربي حيث جاء فيه : «كانت بلاد الشام محطة نموذجية لنشاط البعثات واطماع الدول الاوروبية وتنافسها». راجع اسماعيل عادل - السياسة الدولية في الشرق العربي : ٤ : ١١٣ - ١١٦.

نقطة جذب قوية لها بسبب كاثوليكيته من جهة، والحضور الفرنسي السياسي والعسكري والاقتصادي من جهة أخرى. وهي عوامل أدت إلى إلحاق سكان الجبل المسيحيين بفرنسا على جميع المستويات^١.

وفي اجواء هذه التحولات الاقتصادية السياسية والتدخل في شؤون الطوائف المحلية انتشرت بعثات التبشير والتعليم اليسوعية لتجعل لتلك التحولات ولذلك التدخل أساساً فكرية «وجذوراً تاريخية»، «فتحت نفوس الأهالي على الأفكار الفرنسية، وعلى العواطف الفرنسية، واصبحوا فرنسيين نوعاً ما ... هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة»^٢.

وهكذا حتى أصبح الموارد، مثلاً، في منتصف القرن التاسع عشر مركزاً لتلقي التأثيرات الثقافية والإقتصادية والسياسية الفرنسية. خاصة وان فرنسا أصبحت صاحبة «الحق» في «حماية مسيحي الشرق» فتدخل آنذاك هذا الموقع المتقدم لفرنسا، قياساً إلى الدول الأوروبية الأخرى، مع علاقاتها التاريخية مع الموارد التي يعرب كل طرف عن شدة تمسكه بها وفقاً للظروف السياسية والدولية^٣. وتختلف الروايات التاريخية في تحديد هذه العلاقة، ما بين الدعم العسكري المتبادل أو الحماية المعنوية : فيقول بوديكور مثلاً: «عندما انطلق ملكنا سان لويس في حربة الصليبية، توقف في قبرص حيث لاقاه دعم ٣٥ ألف ماروني خاض معهم معركة مصر...»^٤، «كما أرسل اليهم بونايرت مبعوثه قائلاً لهم: «اعترف إن الموارد فرنسيين منذ الازل»^٥. ووجه ملك فرنسا

(١) الدكتور عتريسي، - البعثات اليسوعية : ٢٧.

(٢) Paul Huvelin - Conger's Francais sur la syrie - Fascicule 111. Chambre de commerce Marseille 1919 - p.7.8.

(٣) الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ٤٩.

(٤) Baudicour. Louis de: La France en syrie - Paris 1860 - p.6.

(٥) Rochementeix. C.P.J : Leban et l'ex Pédition Francaise en syrie 1860 - 1861 (Documents inédits du Général A.Ducroix Paris 1921 - p.79.

إلى أمير الموارنة الرسالة التالية : «... نحن مقتنعين بأن هذه الامة التي تنتسب إلى القديس مارون هي جزء من الامة الفرنسية»^١. كما كتب وزير البحرية الفرنسية عام ١٧٥٠ م إلى القنصل الفرنسيين في الدولة العثمانية : «إن الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مارانطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت، وقد توسطوا إلى جلالته أن يجدد تلك الحماية ويثبتها لهم، فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني أن أكتب إليكم أن تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الموجودين في الشرق من قبل جلالته..»^٢.

وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً إذا عرفنا «إن فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية مسيحي المشرق أمام الباب العالي، وإن هذه المسؤولية تشكل دعماً أساسياً لقوتها في المشرق، ولا يمكن لرجال الدين الذين ترسلهم روما أن يتجاوزوا هذه الحماية القانونية والعملية»^٣.

ولم يقتصر الامر على الطوائف المسيحية، بل استخدم اليهود في الشرق كرتل خامس ورجال المعلومات الخاصة^٤.

ح - توصية المستشرقين الفرنسيين لحكوماتهم المتعاقبة على اعتماد اسلوب التجزئة للبلاد الاسلامية، وتدمير البنى الاساسية لها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، وتركهم ضعفاء لا يملكون القدرة على مواجهة تيار العلمانية الفرنسية الجديد. ولعل من ابرز من كان لهم الدور الاساسي في تنظيم هذه التوصيات هو ماسنيون احد اكبر أئمة المدرسة

(١) المصدر : ٧٠.

(٢) الخورس بطرس غالي - «فرنسا صديقة ومحامية» : ٣٢٦ - ٣٢٧. ذكره كوثراني، المصدر السابق : ٤٤.

(٣) شفالبيه دومينيك، مجتمع جبل لبنان : ٢٦١.

(٤) فمثلاً «عندما قامت الثورة الفرنسية التي لعبت اليهودية الفرنسية فيها دوراً خطيراً، قامت اليهودية العالمية بخدمات جليلة لحساب نابليون بوناپرت، حيث تحول اليهود في اوربا وفي الشرق العربي الى طابور خامس يعمل لحساب جيوش بوناپرت، وتقديراً لتلك الخدمات التي تبلغ مرتبة الخيانة العظمى لشعوب دول روسيا القيصرية، أعلن نابليون هيئة السنهريون، وكوّن فرقة من اليهود لاعادتهم إلى فلسطين، الا ان المشروع لم يتحقق لظروف لم تكن مواتية». السعدين، مصطفى - اخراء على الصهيونية : ١٠.

الاستشرافية الفرنسية خصوصاً عندما أصبح مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية، وتدلنا الوثائق العديدة التي نشرت وما زالت تنشر بان فرنسا، قبل وبعد دخولها إلى الشام، قد قامت من خلال الاستعانة بالمستشرقين وتوصياتهم بعدة دراسات عن الوضع الاجتماعي والطائفي والاقتصادي .. وانها قد صممت سياسة فرنسية خاصة بها تقوم على تصورات دقيقة ومتعددة، منها ما يخص تصميم البنية السياسية، وبناء الدولة واقامة الأنظمة الطائفية، أو تسليط طبقة معينة من النصارى على المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية الحساسة .. وهذه كلها تهدف إلى نقطة جوهرية واساسية هي ضمان إبعاد الاسلام عن مسرح الحياة والنشاط السياسي والثقافي، وخلق انظمة علمانية وإعداد الكوادر والقيادات السياسية المواكبة لها^{٢١}.

وبنفس الاتجاه يوصي القس سيمون حكومته الفرنسية قائلاً: «إن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية» .. ولذا «قالوا يجب أن تحوّل التبشير مجاري التفكير في الوحدة الاسلامية»^{٢٢}.

وعلى ضوء ذلك فقد قام الاستعمار الفرنسي بإنشاء كيانات مجزأة سياسياً واقتصادياً وسكانياً، وفقاً للنماذج والأشكال القومية الغربية والعلمانية، وبذلك يتمكن الاستعمار الفرنسي وشركاؤه أن يطمثوا الى أن البلاد الإسلامية أصبحت لا تشكل خطراً على نفوذهم ومصالحهم حاضراً ولا مستقبلاً، فالمسلم في «تشاد» هو «تشادي» لا علاقة له

(١) للمؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ١١٠.

(٢) كما جاء أيضاً في تقرير «ديبوسك» إلى وزارة الخارجية الفرنسية : «لقد تسنى لي في القاهرة وبيروت ودمشق أن أطلع على الآراء الحميمة التي باح لي بها بعض المسلمين الذين يحتلون مراكز مرموقة، فلقد صرح لي هؤلاء ببساطة أن الوفاق مع المسيحيين يبدو في نظرهم ضرورياً، لأن المسيحيين هم اذكى منهم، وخصوصاً أكثر ثقافة منهم، وبالتالي فهم اجدر في اظهار مطالباتهم الخاصة، ومن جهتهم فلقد صرح لي مسيحيون أعضاء في المجالس - يقصد مجالس اللجان العربية - بانهم لا يرتجون عن طريق انضمامهم إلى صفوف المسلمين سوى تدخل فرنسا، فضلاً عن ذلك فانهم - اي المسيحيين - خلافاً لما يعتقد المسلمون، يرون أنه ليس بإمكان سورية أن تحكم نفسها بنفسها، إلا أنهم يتجنبون مواجهة المسلمين بذلك». الكوتراني، وجه - بلاد الشام : ٣١٦.

(٣) الدكتور خالد، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٣٧.

بما يجري في «المغرب» أو «تونس» لأن الآخرين «مغاربة» أو «تونسيين» .. وهكذا الامر في كافة انحاء العالم الاسلامي^١.

ط - اعتماد اسلوب تربية وإعداد قادة ومفكرين للعالم الاسلامي على النهج العلماني من خلال الجامعات الفرنسية التي يشرف عليها كبار رجال الاستشراق الفرنسي المتميزين بقدرتهم على الدس في الاسلام وتشويه صورة مجتمعاته الاسلامية. وكان على رأس اساتذة ومنظري هذه الاطروحة هو المشرف الروحي للكنائس المسيحية البروتستانتية الفرنسية لما وراء البحار والمستشرق الشهير ماسنيون، الذي تعهد مجموعة من انبغ رجال الشرق - كما يصفهم - حتى قال بشأن احدهم وهو «ميشيل عفلق» مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ظل يلعب دوراً اساسياً في قيادة بعض الانظمة العلمانية في الشرق الاوسط طيلة الفترة بعد الحرب العالمية الثانية : «بانه أنبغ وأعز تلميذ في حياتي»^٢.

وكان لابد من التمهيد لهذا الامر عن طريق تشويه صورة الاسلام في كتب وبرامج التعليم المعتمدة في المدارس والجامعات المؤسسة بهدف صياغة وإعداد الكوادر والقادة السياسيين على الطريقة العلمانية الفرنسية، فقد جاء في كتاب «البحث عن الدين الحقيقي»، الذي صدر عن مؤسسات التعليم الفرنسي في باريس وعاش هذا الكتاب في المدارس النصرانية في الشرق والغرب حتى اليوم : «بأن الاسلام عدو للمسيحية وانه أسس بقوة السيف، وقام على أشد انواع التعصب .. ويؤكد هذا الكتاب - ايضاً - بأن

(١) للمؤلف - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ٧٥.

(٢) بلوط، علي - دمشق .. اعدام البعث / مجلة الدستور اللبنانية.

(٣) ويتحدث الباحث الفرنسي «دانيال لوغاك في كتابه «باسم فلسطين» عن دور فرنسا أيام الاحتلال في تنمية ورعاية حزب البعث فيقول : «إن ميشيل عفلق، وبدرجة اقل من صلاح الدين البيطار «الابوين المؤسسين للبعث، مدينان جزئياً لفرنسا بتأليف الحزب الاكثر تماسكاً والأكثر تأثيراً في العالم العربي بأسره». دانيال لوغاك - باسم فلسطين / اصدار البعث العربي الاشتراكي - سلسلة الدراسات السياسية : ٦٤.

الرسول صلى الله عليه وآله قد سمح لاتباعه بالفجور والسلب»^١.

وقد حملت مؤسسات اليسوعيين على تنوعها، أهدافاً متكامل فيما بينها، من نشر الثقافة الفرنسية، وسيطرة لغتها وافكارها، إلى اعداد «النخبة القائدة» التي تمثل الهدف الرئيسي بينها، «لأن إعداد النخبة المسيحية .. يسمح لهذه الجماعة التي أثقل كاهلها النير الاسلامي، أن تتحضر شيئاً فشيئاً. وقد أعد المرسلون لساعة الحرية، طبقة وسطى قادرة على انتزاع القائدة، ونخبة ذكية، مثقفة ومؤهلة لقيادة الامم المحررة .. انه لواجب على المرسلين ان يطوروا النخبة الأهلية ويضاعفوها، وذلك بانتظار اليوم الذي ستترك فيه سوريا ولبنان، لكن هناك شيء يجب الانتباه والاشارة اليه، ذلك ان النخبة لا تبقى كذلك إلا إذا سيطرت، وإذا أردنا توسيع هذه النخبة، فيجب ألا نخفض مستواها بأن نفتتح المجال أمام الجميع لتولي المراكز والمسؤوليات، وذلك تفادياً للاخلال بالتوازن والانسجام الاجتماعي في البلد»^٢. ويرى بعضهم «ان المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من كل قوة أخرى، ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل اولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في اوطانهم»^٣، ويؤكد آخرون على أنه «كان للمبشرين غاية من التعليم العالي، هي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد، وفي الجيل الناشيء في الشرق الأدنى خاصة، ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يتحقق اذا لم يكن ثمة تعليم عال»^٤. وعلى هذا الاساس اوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢ م وجعلوا على رأسها المحترم «دانيال بلس». هذه الكلية اصبحت فيما بعد: الكلية السورية الانجيلية ثم هي اليوم الجامعة الامريكية في بيروت.

ومن رأي المبشرين أن تؤسس الكليات في المراكز الاسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت بل أرادوا ان تكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الأزهر .. ولم يكن رأي

(١) الدكتور خالد، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٧٢.

(٢) Revue d'histoire des Missions p.334.335.

(٣) Milligan 124 - 5.

(٤) Milligan 164.

المبشرين الفرنسيين مخالفاً لذلك فأنشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهي مدينة من المدن الاسلامية الكبرى^١.

ي- انتهاج طريقة احياء الفكر القومي والطائفي، والدعوة الى تنظيم الحركات القومية العلمانية والطائفية على اساسه، لتكون الاساس في حركة المجتمع الاسلامي السياسية. ولا تنفرد المدرسة الاستشراقية الفرنسية بهذه الميزة نظرياً بل انها تمثل رؤية عامة لدى كافة المدارس الاستشراقية، فهذا المبشر الشهير «صموئيل زويسر» أحد كبار المستشرقين يقول: «إن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام ايجاد القوميات»^٢، وعلى ضوء ذلك «ولدت فكرة القومية اللبنانية المسيحية. هذه الفكرة التي شجعتهما الأوساط السياسية الدينية الفرنسية، ميّزت تلك الفترة من تاريخ لبنان»^٣، ولا بد لاجل تحقيق هذا الهدف الكبير من توفير المستلزمات الأساسية لذلك خصوصاً على أرض الشرق وفي وسط مجتمعاته فعمدوا الى انشاء المدارس والجامعات التي تقوم أساساً على التنظير للفكر القومي والطائفي وتتعهد طلابها بالاعداد والتربية وفق منهج ذلك الفكر واساليب التعليم الغريبة المتبعة في اوربا، ومن ابرز امثلة ذلك هو «قيامهم في عام ١٨٦٥ م بانشاء الكلية السورية الانجيلية [الجامعة الامريكية حالياً] في بيروت والتي وصفت جريدة «الديار» - في عددها المرقم ١٩١١ الصادر في ١٠ تموز ١٩٤٩ م - طلابها بأنهم [رسل القومية العربية الى انحاء الشرق العربي]»^٤.

وكان اول ثمرة لهذا التخطيط المدروس «عصبة العمل القومي» وهي أول منظمة قومية ولدت في ظروف التصارع بين أطراف الاستكبار العالمي حينذاك، وخصوصاً بين الفرنسيين والانجليز .. وكانت فرنسا قد ثبتت نفوذها في لبنان وسوريا وأوجدت لها قواعد فكرية وسياسية، وامتلكت العديد من المؤسسات الثقافية كالجامعات

(١) الدكتور خالدي، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التنشيط والاستعمار في البلاد العربية : ٧٩.

(٢) مجلة الجهاد - ليبيا : العدد ١٤. (٣) الصليبي، كمال - تاريخ لبنان الحديث : ١٥٢.

(٤) مجلة الجهاد - ليبيا : العدد ١٤.

والمدارس ونحوها، والتي أصبحت فيما بعد بمثابة مراكز لتخريج كوادر سياسية وفكرية مدربة لصالح فرنسا^١.

ك - إنشاء الكليات والمعاهد العلمية والثقافية في البلاد الاسلامية تحت اشراف وإدارة المستشرقين الفرنسيين واعتمادها كوسيلة لنشر الفكر العلماني المعادي للإسلام. وباستقراء لنماذج مختارة من المشاريع التعليمية لفرنسا في الشرق يظهر بوضوح الهدف التخريبي المعادي للإسلام من إنشائها. منها إنشاء أول بعثة يسوعية في سوريا عام ١٦٢٦ م والتي كانت تدار من قبل المشرف العام في «فرنسا - ليون»، والتي نقلت إلى بيروت سنة ١٨٧٥ م، فانها بعد ذلك تحولت إلى ما يسمى بـ «جامعة القديس يوسف»، وفي عام ١٨٨١ م اعترف البابا «ليون الثالث عشر» بالصفة الجامعية لهذه المؤسسة، والذي أنشأ بأمر كنسي «كلية الفلسفة والعلوم الدينية للدراسات الشرقية» [أي الإستشراقية]^٢. وقد توسعت هذه المؤسسات التعليمية بعد ذلك توسعاً كبيراً في لبنان وسوريا وشمال أفريقيا، وشكلت عنصراً أساسياً في الكيان الاستكباري الفرنسي لما تمثلته من أهداف كبرى له، فقد «كان لابد من إنشاء طبقة حاكمة لهذا الشعب المسيحي المستعبد والمنهك من قبل المشركين، كان لابد من تشكيل طبقة وسطى. يضاف إلى ذلك إن مجمل هذا الجزء من الشرق الأدنى كان بحكم الواقع ومن خلال علاقاته الطبيعية قد انجر وراء حضارة الغرب المادية، وبدل الوقوف ضد تيار لا يقاوم فضل السير معه. والاكتر من ذلك هو أن اليسوعيين في سوريا كانوا يسعون إلى تصدير هذا التيار لكي يتسنى لهم قيادته»^٣. وحينما فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان عام ١٩١٩ م فرض معه منهج التعليم الرسمي الذي كان يساعد المبشرين في اعمالهم^٤.

(١) لكاتب المقال - السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ١١٥.

(٢) مجلة المنتقى / العدد الاول ٩ ابريل ١٩٨٣ م : ٦٩.

(٣) شارلس - تقرير عن البعثات اليسوعية - باريس ١٩٢٩ م / عن مجلة المنتقى / العدد الاول ٦٩.

(٤) Les jesuites en syrie 10 : 65.

«وكانت مدارس الارساليات الكاثوليكية تحبب فرنسا الى التلاميذ النصارى»^١.

يقول ساطع الحصري وزير التربية السوري في عهد فيصل: «إن النظم العديدة التي وضعت في سوريا، في عهد الانتداب الفرنسي إنما كانت تنفيذاً لسياسة مرسومة بوضوح واتقان، ونستطيع أن نقول إن غاية هذه السياسة كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية على معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات الى ما تتطلبه اصول التربية السليمة والعلم الصحيح. انها كانت «تعطي للغة الفرنسية وللشهادات الفرنسية امتيازات مهمة، وتتحيز للمعاهد التعليمية الفرنسية تحيزاً مفرطاً، يجعلها احياناً ليست صاحبة امتياز فحسب - بل صاحبة انحصار واحتكار ايضاً»^٢.

ومن تلك النماذج ايضاً انشاء كلية الطب في سوريا والتي عبّر عنها السفير الفرنسي في القسطنطينية بالاشادة بـ «غامبيثا» والكاردينال «لافيجري» صاحباً فكرة الكلية [كلية الطب] اللذان أرادا إيجاد مدرسة فرنسية في سوريا يؤمها شبان البلد من أجل العلوم الطبية، والتعمق في دراسة لغتنا، كي ينتشروا فيما بعد في انحاء الشرق كافة كاصدقاء لنفوذنا وحضارتنا...»^٣.

وفي عام ١٨٨٩ م ألحق بكلية الطب كلية الصيدلة. ومنذ ذلك الحين النفي التمييز بين الدبلوم الفرنسي وبين الدبلوم المعطى في بيروت. كما ألحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون وأثبتت مالياً للمساعدات الحكومية. وهكذا غدت مع كلية الصيدلة «أرضاً رائعة للتوسع الفرنسي، تخرج منها حوالي ٥٣٥ طبيباً، يحملون الدبلوم الفرنسي، ويبشرون بنفوذنا، وبفعالية طرائقنا العلمية لا في سوريا فقط، بل في

(١) Ibid, 2 : 8.

(٢) تقارير عن احوال المعارف في سورية / عن الدكتور الخالدي، مصطفى والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٨٦.

(٣) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية - رسالة من سفير فرنسا في القسطنطينية الى وزير الشؤون الخارجية في اكتوبر (ت ١) ١٨٩٨ م / عن الدكتور عترسي، طلال - البعثات اليسوعية : ١٣٠.

الامبراطورية العثمانية بأسرها، وحتى في فارس ومصر...^١

ويؤكد الهدف غير العلمي لمثل هذه المعاهد والكلديات تحديد أحد المسؤولين الفرنسيين لأهداف كلية الطب اليسوعية في بيروت قائلاً: «إن غاية المؤسسين [غامبيثا والكاردينال لافيغري] الأولى، أن يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية...»^٢.

والذي يؤكد هذه السياسة الفرنسية الوثائق الدامغة المتمثلة في مراسلات القناصل السياسية الفرنسية^٣.

(١) r. Ristelhueber ^ Traditions Francaises au Liban paris 1918 p. 279.

(٢) الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ١٢.

(٣) نشير الى نماذج منها :

١ - وثيقة رقم (١) :

تركيا - بيروت مجلد رقم (٢) ١٨٤٠ - ١٨٤١ م

بيروت ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ م

من ج. بريتون الى الوزير غيزو سكرتير الدولة في وزارة الشؤون الخارجية.

... كنت قد قدمت في شهر آيار عام ١٨٤٠ م، إلى حضرة وزير الشؤون الخارجية، بعض الملاحظات حول انشاء كلية في سوريا. وكانت الموافقة قد تمت على تصميم المشروع في روما في بداية ١٨٣٩ م ... هذه المؤسسة ستؤثر بشكل ايجابي جداً على مصالح فرنسا رهنأ ومستقبلاً لأنها ستلبي حاجة ملحة لدى المسيحيين، وستنشر بينهم، تحت الاشراف الفرنسي، المعارف الأخلاقية، والعلمية، والصناعية ... إن مسيحيي لبنان وسوريا باكملها يتمنون افتتاح كلية آسيوية لانهم يشعرون بانها ستكون نواة انبعاثهم الاجتماعي ... حين ننشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية، التعليم، والاخلاق، والفنون المفيدة، والزراعة، فإننا سنسيطر على الشعب، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان.

٢ - وثيقة رقم (١٤) : - مراسلات القناصل السياسية تركيا - بيروت - مجلد رقم (٢).

إن الامبراطورية العثمانية تتلاشى. لكن سوريا بموقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى ومصر، تعتبر مركز هذه الامبراطورية، لا بل قلبها، كما تملك في الوقت نفسه امكانية لإعادة الحياة التي انحسرت عن اطراف هذا الجسم الكبير.

اما أمر ذلك فممنوط بفرنسا، بأن تؤسس وسط الشعب السوري كلية كبيرة دينية، مدنيّة، وزراعية، يكون هدفها إدخال الحضارة الفرنسية الى سوريا، وتعميم اللغة الفرنسية فيها، وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة وفي خلال علاقاتنا المزدوجة، السياسية والتجارية، مع هذا البلد، يمكن أن نجني اكثر العلاقات نفعاً ...

إن انشاء مؤسسة تكون في الوقت نفسه كلية دينية، ومزرعة نموذجية، ومدرسة للفنون والمهن، ليس خرافة، فقد وافق الأب القديس «غريغور السادس عشر» على تصميم المشروع وأمر بتنفيذه. والأسانذة حاضرون. إنهم رجال كرام من جمعية يسوع تطوعوا بملء إرادتهم لهذا العمل .. هكذا نجعل من سوريا حليفاً أكثر أهمية من

ل - تبني العمل الاستشراقي وتزويده بكل عوامل القدرة والحركة بهدف أن تكون فرنسا كعبة للاستشراق ومدارسه، وجعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً عن اللغة العربية. ولهذا نجد ان العلاقة على مستوى التخطيط والتنظير بين الاستشراق والتبشير من جهة والتوجهات الاستعمارية الفرنسية من جهة أخرى، علاقة موضوعية مترابطة، كعلاقة اجزاء الشيء الواحد ببعضها، وتنعكس هذه العلاقة على الواقع العملي لتكشف بشكل اوضح، عند المتتبع الهادف، الترابط الميداني بين هذا الثالوث المبرمج، بشكل لا يمكن فصل احدها عن الآخر، والآ اختلّت المعادلة وتخلّفت النتائج الحقيقية المستهدفة عن التحقق في الواقع، وهذا يفسّر لنا كيف أن فرنسا تريد أن تصبح قبلة الاستشراق والتبشير العالمي لتضمن لنفسها حركة استعمارية واسعة وفاعلة في عمق الشرق وبأكبر مدى زمني ممكن.

ويؤكد ذلك «ان الدراسات الشرقية التي شاعت مجدداً والتي بدت بالفعل وكأنها عصر نهضة، زودت الرومانتيكيين بكنوز من المعلومات. ومع ذلك فان جذور الاستشراق العلمي ترجع الى اهتمامات حركة التنوير. وكان كل شخص في اوربا يرغب في التعرف بطريقة وافية على لغات الشرق الادنى وحضاراته يتوجه الى مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس التي اسستها حكومة المؤتمر الثورية (الكوتتانسيون) في مارس ١٧٩٥ م بايعاز من لانغليز. وقد اصرّ هذا الاخير بصورة خاصة على عنصر الفائدة العملية، ولكنه أكد أيضاً ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب والعلم»^١.

مستعمرة. لانها ستكون منتجة لنا دون اي تضحية في المال والانس.

إذن يجب ألا نناقش مسألة إرسال اليسوعيين إلى سوريا - بل علينا أن نعمل لجعل وجودهم في هذا البلد مفيداً لمصالح فرنسا. على أي حال، يجب الاعتراف بأن اليسوعيين هم خير العاملين.

«دون توقيع ودون تاريخ ومن المحتمل انها كتبت بين عامي

١٨٤٠ - ١٨٤٤ نسبية الى وثائق اخرى».

جميع الوثائق المشار اليها اعلاه عن الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ٩١.

(١) Fück, op. cit, p. 141.

ومن المفارقات أن يكون الرائد الكبير في هذا المجال هو «سلفستر دوساسي»، والذي أصبح استاذ جميع المستشرقين الاوربيين، وأصبحت باريس الكعبة التي يؤمها جميع الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الأدنى^١ .. وبقي اسلوبه في العمل حتى يومنا هذا هو الاسلوب الذي يتبعه عدد كبير من المستشرقين^٢.

وفي سعيهم الهادف الى جعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً عن اللغة العربية كتب المستعمرون الفرنسيون في أحد التقارير التي وضعت سنة ١٨٤٨ م : «إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها. والعمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الاهالي الى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثلهم بنا، واندماجهم ، وجعلهم فرنسيين»^٣.

م - الدعوة الى بعث الحضارات القديمة واحياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحى. ولا يخفى ان الهدف من وراء هذا الاسلوب هو اعادة الشرقيين الى اصولهم الجاهلية قبل الاسلام، وابعادهم عن اصول ومصادر دينهم الحنيف^٤.

وفي سبيل احياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحى يقول المستشرقون وتلاميذهم بكل قوة : «إن لغة القرآن الفصحى إنما هي لا تساير حاجات العصر، فيجب

(١) Fück, op. cit., pp. 140 58; H. Dehérain, silver de Sacy, ses contemporains et ses siccuples (paris, 1938).

(٢) شاخت وبوزورت - ترجمة الدكتور السمهوري، محمد زهير - تراث الاسلام «القسم الاول» - عالم المعرفة : ٧٥.

(٣) الدكتور عمارة، محمد - الامة العربية وقضية التوحيد : ٩٦ - ٩٧.

(٤) يقول المستشرق الشهير «جب» : .. وقد كان من أهم مظاهر فرجة العالم الاسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي اندونيسيا وفي العراق وفي ايران، وقد تكون اهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لاوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية الوطنية الشعبية وتدعيم مقوماتها».

جب - وجهة الاسلام : ٣٤٢.

أن تعم اللغة العامية حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات^١. وقد تكررت منهم هذه الدعوة بصورة شائعة جذابة كسبت تأييد المثقفين في مصر وأوقفتهم بجانبها، وقد عنيت حكومات الاحتلال ويعيدوا النظر من الولاة والمستعمرين والمفكرين الغربيين بهذا الموضوع عناية فائقة، ونشطوا في تحجيب هذه الفكرة وترويجها، وقد كان لهذه الدعوة دوي في مصر في فجر هذا القرن أفزع كثيراً من المحيين للاسلام والغياري على اللغة العربية^٢.

٥- اثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على الفكر الاستشراقي العام:
خلال السنوات الاولى من القرن العشرين، كان بإمكان رجال مثل بلفور وكرومر أن يقولوا ما قالوه، وبالطريقة التي بها قالوه، لأن تراثا من الاستشراق، أقدم من تراث القرن التاسع عشر، زوّدهم بمفردات، وصور، وبلاغة، ومجازات ليقولوه بها. ومع ذلك فإن الاستشراق عَزَزَ، وعَزَزَ بالمعرفة الاكيدة لكون اوربا أو الغرب تسيطر، بمعنى الكلمة الحرفي، على الجزء الاعظم من سطح الارض. ذلك أن مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مضمونه تواكبت تماماً مع مرحلة التوسع الاوربي الفريد. فمن ١٨١٥ م إلى ١٩١٤ م اتسع مجال السيطرة الاوربية الاستعمارية المباشرة من حوالي ٣٥٪ من سطح الارض الى حوالي ٨٥٪ منه. وقد تأثرت بهذا التوسع جميع القارات، وبشكل خاص افريقيا وآسيا. وكانت الامبراطوريتان العظيمتان الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية، اللتان كانتا حليفيتين وشريكتين في بعض الاشياء، ومتنافستين ومتعاديتين في اشياء اخرى؛ وكانت ممتلكاتهما المستعمرة ومجالات نفوذهما الامبراطورية في الشرق، من شواطئ المتوسط الشرقية إلى الهند الصينية، والملايو، متلاصقة، واحياناً كثيرة، متداخلة؛ وكثيراً ما دارت حولها الحروب، غير أن

(١) حسين، محمد محمد - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : الجزء الثاني.

(٢) الندوي، السيد ابو الحسن علي الحسيني - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : ١٨٦.

الشرق الأدنى أو بلدان الشرق الأدنى والعربي حيث كان الاسلام قد حدّد الخصائص الثقافية والعرقية، كان المجال الذي واجه فيه البريطانيون والفرنسيون احدهما الآخر، و«الشرق» باكثر درجات الحدة والتوتر، والألفة، والتعقيد. وطوال معظم القرن التاسع عشر، كما قال لورد-الزبري عام ١٨٨١ م، كانت وجهة نظرهما المشتركة للشرق إشكالية بصورة معقدة : «حين يكون لديك ... حليف وفي مصمّم على أن يتدخل في بلد أنت عميق الاهتمام به - فإن أمامك ثلاثة سبل للتصرف؛ فقد تشجب، أو تحتكر، أو تشارك. أما الشجب فإنه كان سيؤدي إلى وضع الفرنسيين عبر طريقنا إلى الهند؛ والاحتكار كان سيعني الاقتراب جداً من المخاطرة بالحرب. وهكذا عقدنا العزم على المشاركة»^١.

وقد شاركوا فعلاً.. إلا أن ما شاركوا به لم يكن ارضاً أو أرباحاً أو حكماً وحسب، بل كان القوة الفكرية التي ما فتئت اسميها الاستشراق. وبمعنى ما، كان الاستشراق مكتبة أو سجل حفظ (أرشيفاً) من المعلومات المشتركة، وفي بعض جوانبها، المملوكة بصورة جماعية، وكان ما يضم هذا الملف إلى بعضه بعضاً أسرة في الافكار، وطقماً من القيم الموحدة برهن بطرق مختلفة أنها فعالة^٢.

إن المبادرة والسبق الذي تميزت به المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتبنيها لمنهج يتناول اساسيات العمل الاستشراقي جعل من باريس كعبة لجميع المستشرقين الاوربيين، الامر الذي أثر على مجمل المدارس الاستشراقية الاوربية في الطريقة والاسلوب، وفي المنهج والاهداف.. وبثبت هذه ما قاله كل من شاخت وبوزورث وهما يسردان اصول واثار الاستشراق الفرنسي على عموم الاستشراق الاوربي^٣.

(٢) المصدر.

(١) سعيد، ادوارد - الاستشراق : ٧٢.

(٣) راجع شاخت وبوزورث - ترجمة الدكتور السهموري، محمد زهير - تراث الاسلام «القسم الاول» - عالم المعرفة : ٧٤ - ٧٥.

البؤرة - ١٩٨

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين.
 ممدّد يصهد جسمك العاري اللظى والرمال.
 مغمض العينين تحدّق في أفق من الدم بعد أن ملأتهما جراحات رأسك الشريف
 بنزيفها المصطبغ بلون ثورتك الخالدة.
 لم تمت فوق تلك الرُبى رغم أشلائك المقطّعة بظبا الحقد الدفين، ورغم عظامك
 المرضوضة بحوافر الخيل، بل لم تنزل واقفاً في الشمس تستظلّك القلوب، وتتقياً
 أضلاعك الصدور المشخنة بجراح كربلاء.
 لم يزل لون الثورة التي أججت سعيها الذي يطال لهيبه جميع عروش (اليزيديين)
 تزهو به رايات النصر الخفّاقة، وتذوّقه العيون جمالاً يفتح أمامها خضرة الجنان بساطاً
 يسجد تحت قدميك شوقاً وولّها.
 يا سيّد شباب أهل الجنة.
 ويا علم الرفض والإباء.
 لك الفداء نفوس ربيّتها في ساحتك المكتنزة بالتمرد على الطغيان، وسقيتها أنهاراً
 متدفّقة مقاومةً وصموداً حتّى أضحت جبلاً تتحطّم على صخورها مطارق الحقد
 الجاهلي، وتفتّت تحت أقدام سفوحها معاول الهدم الأحمر.

ولك الفداء دماءً رَوّت أشلاءك الظامئة إلى ماء الفرات، النهر الذي ما زال يبيحك
وتنعاك شطآنه.

تناجيك منّا الجوانح خاشعة فتغسلها أنفاسك المترعة بالرواء بماء الكوثر، وتتقلب
بين يديك العيون متأمّلة عمق نزيحك فتفرق في بحرين، واحد من دم، والآخر من دموع.
أيها الظامي المرتوي.

يقولون إنّ البراعم لا تنمو إلّا مع الربيع، ولكنّ صيفك اللاهب أنبت على امتداد
التأريخ أشجاراً ضاربة جذورها في عمق المأساة.

ويقولون إنّ العطش يقتل الورود، ولكنّ ظمأ لسانك المتخشّب أطلق غابةً من
الكلمات المتفتّحة ببهاء الورد والعابقة بعطر شذاه.

أيها اللحن الذي ما زالت تعزفه السيوف المرهفة، وبا قصائد الشوق المترعة باللهفة
والحنين ترددها الأجيال أناشيد حريّة ملوّنة بالنقيع.

لك كلّ خفقة في الحنايا، وكلّ قطرة دمع تختزنها المآقي، لك الأيدي المقطوعة
قرباناً على مذبحك المبتسم لله، لك كلّ رمز ولاء، وعنوان استئذان لدخول
ساحتك المقدّسة.

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام :

لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ
وَلَا أُقْرِئُكُمْ إِقْرَاءَ الْبَسِ.

المدني التأنيخ ٤ : ٦٢

المشروع الإسلامي



دولة الإسلام في المستقبل « قَدِّمْنَا سَكَّةً »

لنشيت رؤية واضحة عن مسيرة ومستقبل المسلمين في دول البلقان تترسم الواقع وما يستجد فيه من أحداث وتطورات، لا بد لنا من استعراض سريع للأطوار والمراحل التي مرّت بها هذه البلاد، ومستوى الآثار التي تركتها في نفوس وتوجهات شعوبها، سواء الإسلامية منها أو غير الإسلامية، والفعل وردّ الفعل المتبادل بين أطرافها ومحاورها، خصوصاً وأننا نشهد اليوم أكبر محاولة تصفية عرقية دينية شهدتها هذه المنطقة عبر تاريخها الطويل منذ دخول الإسلام إليها قبل حوالي خمسة قرون.

وعند استعراضنا للأطوار والمراحل التي مرّت بها منطقة البلقان سنسلط الضوء على الجوانب الأساسية التالية لما لها من تقويم جوهري في رسم مستقبل مسلمي هذه البلاد:

أولاً: مدى التجذّر الثقافي والعمق الحضاري للإسلام في واقع مسلمي دول البلقان.
ثانياً: مدى تأثير محاولات المسخ الحضاري والأساليب القسرية والتصفيات الدموية لمسلمي دول البلقان على تغيير معتقداتهم وتحولهم عن دينهم الإسلامي أو هجرتهم وطنهم الأم.

ثالثاً: مدى تأثير مسلمي دول البلقان ومستوى وعيهم لمعطيات الصحوة الإسلامية

المعاصرة، وبالأخص أثر الثورة الإسلامية في إيران على خلق توجهاتٍ انقلابيةٍ حضاريةٍ في واقعهم الثقافي والاجتماعي والسياسي.

رابعاً : إفرازات حرب التصفية العرقية الدينية القائمة حالياً في البوسنة والهرسك على مسلمي البلقان وغيرهم من مسلمي أوروبا، وأثرها في خلق حالة الرفض للنموذج الأوربي في قيام العدل وتحقيق المساواة في المجتمع الإنساني، وتناغم ذلك مع التوجهات الإنسانية التي بدأت تظهر في أفق بعض المجتمعات الأوروبية، بسبب التناقض السلوكي والدجل السياسي والتفاق الإعلامي الذي تمارسه الحكومات الأوروبية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب البشعة.

شعوب البلقان في ظل الإسلام :

عندما دخلت القوات الإسلامية للدولة العثمانية أراضي البلقان في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي كان الإسلام يلعب دوراً مؤثراً وأساسياً في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، ولم يكن دخول هذه القوات المرحلة الأولى لدخول الإسلام للبلقان، فقد دخل الإسلام هذه البلدان قبل ذلك من خلال الدعاة الإسلاميين والتجار العثمانيين، الذين كان لهم أثر كبير في إيجاد الأرضية الخصبة لانتشار الإسلام واستقباله بشكل واسع وشامل من قبل شعوب هذه البلاد مع بداية حكم الخلافة الإسلامية العثمانية لها، حتى أصبح الإسلام هو السمة الفكرية البارزة لأهالي البوسنة والهرسك وألبانيا وتوابعها، حيث اعتنقوا الدين الإسلامي بمختلف فئاتهم وطبقاتهم، عندما لمس أهل تلك البلاد العدل في قوانين هذا الدين وتشريعاته، فنبذوا النصرانية المملّحة بالوثنية والخرافات، والمقتربة بالحكومات الظالمة وأساليب الجور والقمع للحريات الإنسانية وصور التعصب المقيت ويمكن القول بأن العدل والتسامح والمعاملة الحسنة للمسلمين الفاتحين لأهالي هذه البلاد قد ساهم مساهمة فعالة في تدعيم الإسلام في واقع شعوبها،

وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا بِمُحْتَطِلِينَ لِبِلَادِهِمْ، بَلْ إِنَّهُمْ أَهْلُ رِسَالَةٍ سَمَاقِيَّةٍ حَقَّةٍ. وَمِنْ نَمَاقِ مَا يَنْقَلُهُ مَوْزَخُ تِلْكَ الْفَتْرَةِ إِنَّهُ «كَانَتِ الْأَدِيَانُ السَّائِدَةُ قَبْلَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ هِيَ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْبُغُومِيَّةُ، وَهُوَ دِيْنٌ مُحَرَّفٌ عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ اسْتَنْبَطَ لِمَوَاجِهَةِ تَمَرُّدِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ. وَحِينَمَا جَاءَ الْعُثْمَانِيُّونَ وَمَعَهُمْ رِسَالَةُ التَّوْحِيدِ، وَجَدَ أَهْلَ الْبِلَادِ الصَّقَالِبَةَ فِي مَعَامَلَةِ الْفَاتِحِينَ مَا يَشْهَدُ لِسَمَوْ هَذَا الدِّيْنِ الْجَدِيدِ، وَأَعْلَنَتِ (٣٦٠٠٠) عَائِلَةٌ بُغُومِيَّةٌ دُخُولَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَعَاوَنَهَا مَعَ الْعُثْمَانِيِّينَ، وَلَآنَ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ أَعْيَانِ الْقَوْمِ، فَقَدْ تَبِعَهُمْ عَامَّةُ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَأَلْفَى الْفَاتِحُونَ كُلَّ الْإِمْتِيَازَاتِ الطَّبَقِيَّةِ وَالْدِينِيَّةِ، وَأَعْلَنُوا أَنَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ السَّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ يَمَاقِلُ كَمَا يَمَاقِلُ الْمُسْلِمُونَ الْفَاتِحُونَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ فِي الْحَقُوقِ وَالْوَاقِبَاتِ.

كُلُّ هَذِهِ الْإِجْرَاقَاتِ وَطُنَّتْ لِلْإِسْلَامِ قَدَمًا رَاسِخَةً لَا تَحِيدُ، لَكِنَّهَا لَمْ تَحَقِّقْ الْهَدَفَ وَحْدَهَا وَإِنَّمَا بِتَكَامُلِهَا مَعَ إِجْرَاقَاتٍ أُخْرَى. فَقَدْ بَادَرَ الْعُثْمَانِيُّونَ فُورَ دُخُولِهِمُ الْمَنَاطِقَ الْيُوغُسْلَاقِيَّةَ بِفَتْحِ الْمَدَارِسِ وَإِيقَادِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ مَوَاطِنِي الْبُوسْنَةِ الشَّبَابِ إِلَى مَرَاقِزِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لِلتَّلْمِيْظِ وَالتَّخَصُّصِ فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ (لُغَةٍ، فِقْهِ، أَصُولٌ...) لِسَدِّ حَاقَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْجَدِّدِ.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى انْتَشَرَتِ الْكِتَابَاتُ الْقَرَأْنِيَّةُ وَالْمَعَاهِدُ الدِّينِيَّةُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ وَخَاصَّةً حَيْثُ يَتَجَمَّعُ الْمُسْلِمُونَ، وَأَصْبَحَتِ هَذِهِ الْأَمَاكِنُ يَنْابِيْعَ الْكِتَابَةِ وَالْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ. وَازْدَهَرَتِ حَرَكَةُ بِنَاءِ الْجَوَامِعِ وَمَعَاهِدِ الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَتْ فِي الْبُوسْنَةِ وَحْدَهَا مَا يَزِيدُ عَنْ أَلْفِ مَسْجِدٍ وَ ١٥٠٠ مَكْتَبٍ لِتَلْمِيْظِ الْأَطْفَالِ مَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَ ١٠٠ مَدْرَسَةٍ. وَكَانَ ذَلِكَ عَامِلًا حَاسِمًا فِي تَوْطِينِ الْإِسْلَامِ تَوْطِينًا نَهَائِيًّا فِي بِلَادِ الْبَلْقَانِ. وَهَكَذَا سَرَعَانَ مَا أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ هُوِيَّةً قَوْمِيَّةً وَحَضَارِيَّةً لِمَعْتَقِيهِ وَأَسْهَمَ إِسْهَامًا حَاسِمًا فِي إِحْدَاثِ نَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ بِاللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ^١.

(١) مَجَلَّةُ الْعَالَمِ، ع ٤٥٥، ٣١ / ١١ / ١٩٩٢ م.

وفي عقود قليلة من الزمن بدأت معالم الفتح الحضاري تظهر في معالم الحياة الثقافية والعمرائية والحضارية في المنطقة. وبطبيعة الحال، فإن نهضة الثقافة الإسلامية في يوغسلافيا وبروز مثاب من العلماء والشعراء والأدباء يكتبون نتاجاتهم بالعربية والتركية والفارسية لم يكن إنجازاً سهلاً، وإنما كان ثمرة رسوخ قواعد مؤسسات جديدة للثقافة في البلاد، وهذه المؤسسات هي بالأساس المساجد والمدارس والمكتبات. كانت المساجد في بلاد البلقان مراكز لتعليم عموم الناس قواعد الإسلام وتعاليم القرآن.

وعُني الأتراك عناية كبيرة ببناء المدارس، وغالباً ما كانت المدرسة لصيقة بالمسجد. وقد ذكر أحد الرحالة الأتراك «أوليا بليبي» أن المدارس كانت منتشرة في أكثر المدن اليوغسلافية مثل بلغراد وفوتشيترن وأسميدريفو وتشاتشاك، فضلاً عن سائر مدن البوسنة وإقليم كوسوفو، وكانت برامج التعليم مماثلة للبرامج المعتمدة في تركيا، وتشمل النحو والصرف العربيين والعقائد والفقه والتفسير والأحكام الشرعية وأصول الدين والمنطق والجدل والأخلاق. وتستغرق مدة الدراسة من إثني عشر إلى خمسة عشر عاماً في الغالب، وكان كثير من الطلاب يسافرون بعد تخرجهم في هذه المدارس إلى استانبول والقاهرة ودمشق وغيرها من المدن الإسلامية للتخصص وإتقان العربية ثم يعودون لتبوء مراكز علمية مبرزة في يوغسلافيا.

ومن أشهر المعالم الحضارية الإسلامية مكتبة الغازي خسرو بك، وهي مكتبة جعلها وفقاً ثابتاً لمدرسة «كورشوملية» الإسلامية التي أسسها معهداً للعلوم الإسلامية عام ١٥٣٧. وما تزال هذه المكتبة حتى اليوم الوحيدة من نوعها في أوروبا الشرقية، وهي تحتوي على ما يقرب من خمسين ألف وحدة من المجلدات والمؤلفات والوثائق التاريخية باللغات المحلية والعربية والتركية والفارسية، ويرتادها باحثون عرب وأجانب من مختلف أصقاع الدنيا.

هكذا كانت بلاد البلقان في ظل الإسلام، بما فيهم النصارى واليهود وكانوا في أمان

وطمأنينة، فقد كانوا يمارسون شعائرهم الدينية بكلّ حرية، ومما ينقله المؤرخون لنا عن هذه الحقيقة هو «أن بلغراد كانت مشهورة بأنها قلعة مضادة للعثمانيين، وقد اشتهر سكّانها ومن فيها من جنود مجريين بالشدة والبطش، مع ذلك فإنّ السلطان سليمان القانوني أصدر، بعد الفتح مباشرة، عفواً شاملاً عن السكّان مع إتاحة الفرصة لهم لممارسة عقيدتهم الدينية. وأتاح للجنود المجريين أن ينقلوا معهم ثرواتهم إذا أرادوا العودة إلى بلادهم. وأكثر من ذلك، يذكر التاريخ أنّ إجراءات أمنيّة اقتضت نقل عددٍ من الصرب إلى الأستانة، فتمّ هذا النقل بدون تعسف أو ظلم. وقد سمح للمنقولين بحمل ثرواتهم معهم كما أتيح لهم في عاصمة السلطنة تشييد كنيسة خاصّة بهم. وما بقاء المسيحيين أغليّة في منطقة البلقان إلّا شاهداً حيّاً على أنّ الدولة العثمانيّة لم تفرض على السكّان الأصليين التخلّي عن دينهم، ولم تخيّرهم كما فعل الغزاة الأسبان مع مسلمي الأندلس عندما فرض عليهم الاختيار بين البقاء على دينهم أو البقاء على وطنهم، وحتىّ الذين تخلّوا عن دينهم لم ينجوا في مراحل لاحقة من الإضطهاد والقتل»^١.

مسلمو البلقان في عهد الإمبراطوريّة النمساويّة - المجرية والمملكة اليوغسلافية :

بعد أن ضعفت الدولة العثمانيّة تراخت قبضتها على بلاد البلقان شيئاً فشيئاً. فعمدت النمسا إلى احتلال بعض المناطق الإسلاميّة في الفترة ما بين ١٦٨٥ - ١٦٨٩ م، ثمّ فونودجينا في العام ١٧١٤ م. وفي ١٧٩٣ م منح السلطان العثماني الحكم الذاتي لبلغراد عاصمة صربيا. ثمّ انفصلت صربيا كلّها بدعمٍ روسيّ كبير في عام ١٨١٧ م، وحصلت مذابح جماعيّة لمسلميها، فتناقص عددهم وتحدّد وجودهم الاجتماعي والسياسي. ثمّ انفصلت منطقة الجبل الأسود في عام ١٨٧٨ م وطالت مسلميها مذابح مروّعة. وفي

(١) راجع مجلّة العالم، ع ٤٤٠، ١٨ / ٧ / ١٩٩٢ م.

صيف نفس العام حصلت الكارثة الكبرى واحتلت النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك. وفي عام ١٩٠٨ م ألغت النمسا جميع الإمتيازات العثمانية فيها وأعلنت ضمّ البوسنة إلى مملكتها. أما كوسوفو وسينجاي اللتان كانتا موطناً لأغلبية إسلامية فإنهما سقطتا أيضاً تحت الاحتلال الصربي في ١٩١٢ م، وسقطت مقدونيا في السنة نفسها، وكان فيها عدد كبير من المسلمين، كما سقطت ألبانيا في قبضة الفاشية الإيطالية. وبعد الحرب العالمية الأولى دخلت البوسنة تحت نفوذ المملكة اليوغسلافية الجديدة التي هيمن عليها الصرب المتطرفون من (١٩١٨ - ١٩٤١ م) وعاشت البلاد تحت حكم صربيا وفيها حدثت مجازر ومذابح عديدة للمسلمين رافقتها عمليات تدمير ونهب وإحراق للعديد من المناطق الإسلامية كما قتل الآلاف منهم.

وتبعاً لكل ذلك فقد ظهر توجه جديد نحو حضارة أوربا الوسطى التي كانت تتميز بنظامها الإقتصادي والإداري والثقافي القائم على التمييز العرقي والفوارق الدينية وأصبحت بلاد البلقان مسرحاً للنزاعات التاريخية والدينية.

وبعد الحرب العالمية الأولى وخلال عهد مملكة الصرب والكروات والسلوفانيين، ثم عهد مملكة يوغسلافيا تكونت أرضية لتحقيق برنامج الهيمنة الصربية، الذي كان يهدف إلى توحيد العرق الصربي. وكانت تلك الأفكار قد تبلورت من ذي قبل عام ١٨٤٤ م تحت شعار «الصرب معاً وفي كل مكان» الذي صاغه Garachanin وزير الداخلية الصربي آنذاك في وثيقة سرية بعنوان «المخطط».

ولأول مرة في التاريخ الطويل للبوسنة والهرسك، شهدت فترة الحرب الأهلية تفكك البوسنة والهرسك مع تحقيق الآمال الصربية، إذ قامت الحكومة بتقسيم البلاد إلى عدة وحدات إدارية بهدف القضاء على الهوية الإسلامية المستقلة لها. ثم لدئ احتدام الصراع بين صربيا وكرواتيا، فقد قسّمت البوسنة والهرسك إلى ثلاث عشرة وحدة إدارية بمقتضى اتفاقية Cvetkovitch - Machek لعام ١٩٣٩ م. وقد تم إلحاق تلك

الوحدات بوحدة Banovina - craatia التي كانت قد تشكلت حديثاً آنذاك.

وحينما اندلعت الحرب العالمية الثانية، واستولى الألمان النازيون على يوغسلافيا حدثت الحرب الأهلية اليوغسلافية، وفي هذه الفترة ارتكب الصرب مجازراً أخرى بحق المسلمين، وقتل ١٠٠ ألف مسلم على حاشية المذابح التي جرت بين الصرب والكروات وقتل فيها ٧٠٠ ألف شخص.

أما منطقة تراقيا الغربية^١ فقد دخل أغلب سكانها الإسلام إضافةً إلى الأتراك «الهون» و«الأوار» و«البجناك» الذين وفدوا إليها بالتعاقب قبل ذلك وصُمت هذه الأراضي إلى الدولة العثمانية عام ١٣٥٤ م وحكمتها ما يقارب ٥٥٩ عاماً وكان شأنها شأن باقي بلاد البلقان من التسامح والحرية ونشر الثقافة والتعليم الإسلامي. ثم بعد هذه القرون وقعت تراقيا الغربية تحت الاحتلال البلغاري فيما بين عامي ١٩١٣ - ١٩١٩ م. ثم احتلها الحلفاء من عام ١٩١٩ م إلى ١٩٢٣ م. ثم تركت لليونان فيما بعد بمقتضى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ م، وبدأت اليونان تستخدم المادة (١٩) من «حقوق المواطنين» حتى تقلل من عدد السكان المسلمين في تراقيا الغربية. وهذه المادة تنص على أنه «يمكن بقرار من وزارة الداخلية أن يحرم اليونانيون من غير الجنس اليوناني من حق المواطنة». وهذا ما يُطلق عليه حديثاً المواطنون من الدرجة الثانية^٢.

مسلمو البلقان في العهد الشيوعي ليوغسلافيا الاتحادية :

حينما اندلعت الحرب العالمية الثانية بدأ تاريخ دموي جديد للمسلمين في البلقان،

(١) تراقيا الغربية : هي عبارة عن شريط ضيّق يقع شمال غرب اليونان والتي يفصلها عن تركيا نهر مريچ، وهي تقع شرق مقدونيا وإلى الشمال من بحر إيجه، وتبلغ مساحتها ٨٥٧٨ كيلومتراً مربعاً، وكان عدد المسلمين فيها ٥٠٠ ألف نسمة، ويقدر الآن عددهم بحوالي ١٥٠ ألف نسمة وذلك نتيجةً للتهجير القسري المشكّر من المنطقة بسبب ضغوط الحكومات المتعاقبة على حكمها، وبمقتضى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ م أصبحت تراقيا من نصيب اليونان.

(٢) المسلمون في اليونان، مجلّة العالم، العدد ٤٨١، في ١ / أيار / ١٩٩٣ م.

سواء أكانوا من البوسنة والهرسك أو من إقليم كوسوفو، ففي حرب التحرير الشعبية التي خاضها سكّان المنطقة ضدّ الإحتلال النازي وصنّاعه في بلغراد وزغرب، خلال الحرب العالميّة الثانية، كان للمسلمين دورٌ فعّالٌ فيها. فعندما اقتطع جيش هتلر أجزاءً من البوسنة ليضمّها إلى الدولة الكرواتيّة الفاشيّة التي كانت تحت هيمنته، كانت سراييفو والمناطق الأخرى في الداخل معاقل منيعة للمقاومة الشعبيّة ضدّ النازيين، وكان المحاربون المسلمون من أشدّ المقاتلين ضدّ أعتى جيش أوربي آنذاك، واستطاعوا في نهاية الأمر طرد المحتلّين من مناطقهم على الحدود الكرواتيّة، إلّا أنّ الحلفاء المتصرّين أرغموا الجمهوريّة يومها على الانضمام للإتحاد اليوغسلافي. وخلال جهادهم ضدّ الكرواتيين والصرب وأعوانهم ارتكبت بحقّ المسلمين - لا سيّما المدنيّين العزل - المذابح الرهيبة، التي كان أشهرها مذبحة «فوجا» على ضفاف نهر الدانوب عام ١٩٤٢ م، حيث قتل الآلاف من النساء والأطفال والعجزة، وتراكت جثثهم، حتّى شبّها أحد المؤرّخين بتلالٍ بشريّة، تكوّنت وتماسكت بفعل الجليد.

وبعد الحرب العالميّة الثانية ظهرت فكرة إنشاء دولة يوغسلافيا الإتحاديّة فيما بين الزعماء المؤيدين للزعيم تيتو، وفي إطار الجمهوريّة الشعبيّة الإتحاديّة اليوغسلافيّة أصبحت البوسنة والهرسك وحدة فيدراليّة مستقلّة متساوية الحقوق مع الوحدات الأخرى: سلوفينيا، كرواتيا، صربيا، الجبل الأسود، ومقدونيا. وكانت البوسنة والهرسك تتمتع بهذا الحقّ تاريخيّاً. وبذلك تمّ الاعتراف بالوجود التاريخي للبلاد.

ومنذ انتهاء الحرب العالميّة الثانية، وحتّى إنبهار الإتحاد اليوغسلافي، ظلّ المسلمون مبعدين عن مراكز اتخاذ القرارات، سواء أكانت سياسيّة أو عسكريّة أو اقتصاديّة. وعوملوا كأقليّة بعيدة عن السلطة ومراكز القوّة والقدرة فاتّجهوا، خصوصاً في البوسنة والهرسك، لطلب العلم والإعتماد على الذات.

وبعد وفاة الرئيس تيتو عام ١٩٨٠ م عادت السياسات لتدعيم التوسّع الصربي،

واتخذت الآمال الصربية طابعاً عدوانياً متميزاً. واثراً انفصال كل من سلوفينيا وكرواتيا عام ١٩٩١ م، وكشف مقدونيا عن رغبتها للسير في نفس الاتجاه، بقيت البوسنة والهرسك المعقل الأخير في مواجهة مخطط صربيا الكبرى. وحتى لو لم يتحقق ضم كافة أراضي البوسنة والهرسك، فإن تقسيم البلاد حسب الشعار الذي يحاولون فرضه على أساس مقولة «الحقوق القومية» المدعاة لبعض أجزاء البلاد سوف يضمن على أقل تقدير إلحاقها بصربيا. ويرمي المخطط إلى اقتسام البوسنة والهرسك فيما بين الصرب والكروات، وبالتالي إبقاء المسلمين دون دولة، على الرغم من أنهم يمثلون أكبر تجمع سكاني هناك.

أما ألبانيا فبعد كفاح مرير خاضه المسلمون هناك ضد المحتلين الإيطاليين استطاعوا طردهم من أراضيهم، إلا أن الشيوعيين انتهزوا فرصة هذا الانتصار وفراغ السلطة السياسية فقفزوا إلى سدة الحكم وسرقوا ثمار معركة التحرير، فاستولى حزب العمال الألباني الماركسي على السلطة سنة ١٩٤٥ م، ولمحو آثار الوجود الإسلامي الحيوي من حياة المسلمين الألبان، عمدت السلطة الشيوعية الألبانية إلى إصدار قانون في عام ١٩٤٩ م يفرض على كل المسلمين، أفراداً وهيئات، أداء يمين الولاء للدولة الشيوعية، ومن يخالف أو يعترض سيعرض لأشد العقوبات التي أقلها المطاردة والإبعاد خارج البلاد. وتطور الأمر إلى غلق كافة المساجد والكنائس في البلاد، واعتبرت العبادة ممارسة رجعية ممنوعة قانوناً، وحظرت كل صورها العلنية بموجب دستور عام ١٩٧٦ م بما في ذلك تسمية الآباء أبناءهم بأسماء ذات صبغة دينية والمخالف يعرض نفسه للملاحقة القضائية.

ولم تنته هذه المسألة إلا في عام ١٩٩٠ م بعد انهيار المعسكر الشيوعي حيث صدر قرار من قبل الحكومة الألبانية بإلغاء تحريم الممارسات الدينية.

وقد ساهمت اليونان في حملة الظلم والجور على مسلمي ألبانيا الذين التجأوا إليها

هرباً من ظلم الحكم الشيوعي، الذي حرّمهم من كلّ شيء، حرّمهم من الملكية الماديّة، ومن حرّيّة التعبير، فعمدت إلى وضع شروط مجحفة على اللاجئين الألبان إلى أراضيها، منها تبديل أسمائهم الإسلاميّة، وتغيير دينهم إلى الارثوذكسيّة لكي يُمنحوا تأشيرة الدخول، فحينما يصلون إلى اليونان يتمّ تعميدهم. كما بذلت المنظّمات اليونانيّة جهودها لجلب الأطفال وشباب المسلمين لدخول المدارس الدينيّة في اليونان.

إنّ السياسة التي تتّبعها الحكومة اليونانيّة لا تسمح للأقليات المسلمة بترميم العديد من الآثار الإسلاميّة والجوامع وتركها تتحوّل إلى خرائب يوماً بعد آخر. كما تقوم بالإستيلاء على أراضي المسلمين في تراقيا الغربيّة عنوةً عن طريق «الإستملاك» و«الرهن» بالإضافة إلى الحجز على موارد الأوقاف بوضع ضرائب لا أساس لها، كما أنّ التّجار اليونانيّين - ويبيعان من حكومتهم - قاموا بشراء الأراضي لتثبيت وجودهم في تراقيا الغربيّة.

أمّا في إقليم كوسوفو في يوغسلافيا فقد ارتكب النصارى مجازر رهيبة بحق المسلمين، ومنها المذبحة التي ارتكبت بعد الحرب العالميّة الثّانية والتي ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين في محاولة من الصرب للإستيلاء على منطقة كوسوفو وقتل الروح الدينيّة واستئصالها من قلوب المسلمين هناك، وتذكر الأرقام الرسميّة أنّه في الفترة ١٩٥٥ - ١٩٦٦ م هاجر حوالي ربع مليون مواطن مسلم من كوسوفو والبوسنة إلى تركيا وكندا وأستراليا وأمريكا.

أثر الثورة الإسلاميّة في ترشيد صحوة المسلمين في البلقان :

كان للثورة الإسلاميّة في إيران الأثر الفعّال في توعية المسلمين في البلقان وترشيد صحوتهم الإسلاميّة، لما كانت تحمله من شعارات حيويّة وواقعيّة في مناهضتها للظلم والإستكبار بكلّ صوره الإقليميّة وأشكاله الدوليّة، ومناداتها كلّ الشعوب وخصوصاً

الإسلاميّة منها للسعي نحو التحرّر وتحقيق العدل والمساواة ورفض كلّ أشكال الطغيان من قبل الحكّام وتشكيلاتهم، وبذلك عبّلت بتصديق أسس وأركان النظام الماديّ الإلحادي في المعسكر الشرقي برئاسة الإتحاد السوفياتي السابق، والذي كان ينادي ليل نهار بشعارات المساواة والتقدّم والإزدهار. إلّا أنّ قيام الثورة الإسلاميّة وانتصارها في إيران، وامتداد إشعاعها الإيديولوجي والمعنوي ووصول نداءاتها إلى الشعوب المقهورة، شدّت كلّ مستضعفي العالم إليها، وكشفت ضمن الممارسة الواقعيّة لمسيرتها زيف الشعارات الماركسيّة، وأماطت اللثام عن الكذبة التاريخيّة للشيوعيّة التي طبّلت لها دول المعسكر الشرقي أكثر من سبعين عاماً بأنّها ثورة الجماهير الكادحة. وهذا ما دفع حكّام المعسكر الشرقي إلى إعادة النظر في الأفكار الماركسيّة في محاولة منها لتأخير الإنهيار السريع لها، ولكن دون جدوى، وما رسالة الإمام الخميني قدس سرّه إلى غورباتشوف إلّا شاهد بارز على ذلك، حيث أذعن حكّام المعسكر الشرقي وعلى رأسهم حكّام الإتحاد السوفياتي آنذاك لتلك الرسالة ولم يجروا على الرّدّ عليها خوفاً من افتضاح هزيمتهم الفكريّة أمام شعوبهم، وأصبح انهيار المعسكر الشرقي مسألة وقت ليس إلّا، وكان هذا دافعاً رئيسياً ومشجّعاً لشعوب أوروبا الشرقيّة لنبد الأفكار الشيوعيّة وأنظمتها، فدول البلقان الشيوعيّة وخصوصاً يوغسلافيا السابقة سرعان ما دبّ فيها التفكّك، وكانت أولها كرواتيا وسلوفينيا ثمّ أعقبتها البوسنة والهرسك والتي شهدت تحركاً إسلامياً ملحوظاً من الناحية الشعبيّة، وقد سبق هذا التحرك تحرك من نوع آخر، وهو دعوة كثير من المثقّفين إلى إعادة الإسلام إلى واقع الحياة وذلك بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، وقد اعتقل من جرّاء ذلك قادة هذه الدعوة، وعلى رأسهم المحامي علي عزّت بيكوفيتش «الرئيس الحالي لجمهورية البوسنة والهرسك» والذي حكم عليه آنذاك بالسجن من قبل حكّام يوغسلافيا السابقة.

إنّ الثورة الإسلاميّة المباركة في إيران ثورة عقائديّة، وإحدى أهمّ أهدافها تعريف

العقيدة الإسلامية إلى جميع شعوب العالم وخصوصاً المظلومة منها. وقد سعت الثورة الإسلامية لإزالة الغبار عن ذهنية المسلمين في جميع أنحاء العالم بما فيها المناطق التي كانت ولا زالت تحكمها النظم الإلحادية، فقطعت خطوات كبيرة لنشر هذه الثقافة والعقيدة الإلهية واستطاعت أن تنفذ إلى قلوب المسلمين في البلقان والمناطق الأخرى، وأفلحت في توضيح أبعاد الهوية الحضارية الإسلامية والتي تؤمن بها شعوب هذه المنطقة. لقد دعمت الجمهورية الإسلامية في إيران التيار الواعي في هذه الدول وشجعت على زيارة هؤلاء إلى الدولة الإسلامية، وذلك ليلمسوا عن قرب تجربة الثورة الإسلامية، وقد خلقت هذه الزيارات انطباعات حسنة لديهم، وعكسوا ذلك على شعوبهم. وفي الأحداث الحالية، وفي أجواء الحرب التي يشنها الصرب على المسلمين لم تبخل الدولة الإسلامية بالمساعدات الغذائية الطبية إيفاءً لواجبها الديني والإنساني، وهذا مما زاد في تعلق المسلمين هناك بالثورة الإسلامية وثبت مصداقيتها الرسالية.

وفي الجانب السياسي اعترفت الجمهورية الإسلامية في إيران بجمهورية البوسنة والهرسك، وقادت عملية سياسية إعلامية واسعة في وسط مجموعة الدول الإسلامية من خلال المؤتمر الإسلامي لخلق موقف سياسي دولي موحد لها، يتجسد في المساهمة الفعالة لتقديم المزيد من المساعدات الإنسانية للمسلمين في البوسنة والهرسك، والضغط على الأمم المتحدة ومؤسساتها لتقديم المزيد من الدعم للمسلمين هناك، واستصدار قرارات إدانة لجرائم الصرب البشعة، ومحاكمة مجرمي الحرب منهم، ومحاولة رفع الحظر التسليحي عن جمهورية البوسنة والهرسك، ليحصلوا على السلاح الذي يرفع من قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ضد موجة التصفية العرقية والدينية التي أخذت صوراً يندر نظيرها في التاريخ البشري. هذه السياسة المبدئية التي نهجتها قيادة الثورة الإسلامية في إيران جعلتها، في نظر أكثر مسلمي دول البلقان، المدافع الحقيقي عن حقوقهم الإنسانية والإسلامية، والظهير الأساسي لرفع محتتهم والظلم الذي لحقهم،

وإقامة دولة لهم تنشُد رفع معالم الإسلام ورسالته الإنسانية في قلب أوربا المشركة.

مسلمو البلقان بين محو الهوية الإسلامية والعودة إلى إسلامهم الأصيل :

مما يثير المتتبع لتوجّهات مسلمي البلقان هو طبيعة الجواب الذي تتلقّاه عندما تسأل أيّ فرد منهم عن قوميّته حيث يجيبك بأنّه مسلم ! وعندما تسأله عن دينه يجيبك أيضاً بأنّه مسلم ! ولا يخفى على اللبيب ما لهذه الإجابة من دلالات كبيرة، من أبرزها قوّة انتماء مسلمي البلقان لإسلامهم رغم سنوات القهر والمسخ الحضاري الذي مارسه الحكومات الشيوعيّة المملّحة خلال عشرات السنوات، ومن هذه الدلالات أيضاً هو أنّ الإسلام هويّة سياسيّة لهم تنبض بالحياة والحركة والموقف المبدئي رغم تلك السنين العجاف، ويؤيّد هذا التوجّه الشديد نحو الإسلام الذي أخذت تكشفه المقابلات التي تجريها وكالات الأنباء مع أبناء شعوب البلقان، والتي تعرّفوا فيها على نواياهم الحقيقيّة، وآمالهم العريضة، للتطلّع نحو حاكميّة الإسلام، لتشمل عدالته جوانب الحياة الإنسانية في بلدانهم. إنّ هذا الوعي الإسلامي المتصاعد في دول البلقان كان أحد الدوافع الأساسيّة للغرب في إشعال هذه الحرب المدمّرة، ودعم الصرب لممارسة التصفية العرقية والدينيّة، وتمّ فيها ارتكاب أبشع المجازر الوحشيّة، وأوجدوا معسكرات القتل والتعذيب والإغتصاب بحقّ المسلمين، الذين بدأوا يصرون على طرح شعار الإستقلال عن الصرب واستلام زمام الأمور، والدعوة إلى إحياء العقيدة الإسلاميّة في حياتهم السياسيّة والاجتماعيّة، وقد قابل هذا الإصرار الإسلامي إصراراً استكباريّ من قبل أمريكا وروسيا والدول الغربيّة، لقتل هذه الروح ومحو هذا التوجّه لدى مسلمي البلقان، فأخذوا يشدّدون على قضيّة منع وصول السلاح إلى البوسنة والهرسك، والإصرار على تنفيذ مشروع فانس - أوين والتوقيع بالموافقة عليه، والقاضي بتقسيم البوسنة والهرسك

إلى عشرة مقاطعات، يكون المسلمون فيها أقلية موزعين بين الصرب الارثوذكس والكروات الكاثوليك، وقد اضطرّ المسلمون، تحت وطأة موجات القتل الجماعي والموت جوعاً، أن يوافقوا على هذا المشروع. ورغم ذلك استمرت المذابح واستمرت الحملات العسكرية والتصفيات الدموية للمناطق السكانية للمسلمين، وفي مشاغلة وتعلل جديد طرحوا مشروعاً أمريكياً - روسياً جديداً لإنهاء الحرب، يتم بمقتضاه وضعهم أمام الأمر الواقع الذي خلقه الصرب والكروات وحلفاؤهم بقوة السلاح، والذي به يكرّس الاحتلال الصربي والكرواتي الفعلي لأراضي جمهورية البوسنة والهرسك، وما تبقى من الأرض، والذي لا يشكل إلا ٣٠٪ من أراضيها، يصبح تحت إشراف الأمم المتحدة، الذي يعني محو الوجود السياسي للمسلمين في البوسنة والهرسك، وأنهم مجموعة بشرية لا حول ولا قوة لها، ولا تستطيع بعد ذلك الدفاع عن نفسها، ولا المطالبة بأبسط حق للحياة المستقلة لها ولأبنائها من الأجيال اللاحقة على أساس عقيدتها ومبادئها.

وقد زادت هذه السياسة وركزت القناعات بأن الصرب، ومن ورائهم أمريكا وروسيا وأوروبا الغربية، لا يريدون إلا تصفية المسلمين وإلغاء وجودهم السياسي، حتى وإن وافقوا على ما قدّم من المشاريع الإستكبارية المجحفة بحقوقهم. إن السياسة الإستكبارية هذه ستدفع بالمسلمين باتجاه التمسك بإسلامهم أكثر من ذي قبل، بل وستساهم في تحويلهم إلى كتلة إسلامية ثورية في وسط أوروبا، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال المعارك الدائرة حول المدن المحاصرة في البوسنة والهرسك، حيث يتفانى المسلمون بالدفاع عنها رغم ما يهددهم من المجاعة وقلة العتاد والسلاح، كما نجده في بروز الروح الإسلامية الثورية التي تصرّ على الهوية الإسلامية مهما كلفهم ذلك.

إنّ انكشاف زيف الحضارة المادية وكذب أديانها، وما حلّ بالشعوب من ويلات، دفعت بهم إلى الرجوع إلى عقيدتهم الإسلامية الأصلية، والتمسك بها على أنّها الحلّ

الوحيد لمشكلة الإنسان بكل أبعادها المادية والروحية. إن محاولة عودة الإنسان المسلم في منطقة البلقان، وخصوصاً في البوسنة والهرسك، إلى عقيدته الإسلامية، إنما جاء بعد معاناة عشرات السنين من التجربة الاشتراكية المادية الفاشلة، وزوال الستار الحديدي الذي أوجده الحكم الشيوعي المستبد. إن تطلّع هذا الإنسان تطلّع فطريّ نقيّ نبع من الفتنة التي تعرّض فيها إلى ألوان العذاب والقهر ومحاولات سحق الطبيعة الإنسانية ومتطلباتها الأولى في الحياة الحرة الكريمة، ممّا دفع بهذا الإنسان إلى الثأر لكرامته ونبذ تلك القيم المادية التي حجرت على إنسانيته زمناً طويلاً، والتوجّه نحو القيم العليا المتمثلة بالإسلام، مدركاً أنّ نفسه لا تتألق إلا بها، ومنها يشم رائحة كرامته وحرّيته، رغم سنوات الغربة والبعد الاجتماعي عنه، التي كادت أن تطمس معالمه وتزيل وجوده من حياته.

وقد أكّد هذه الحقيقة علماء مسلمي البلقان أنفسهم، عندما تناولوا مسألة الدولة الإسلامية في البوسنة والهرسك، قائلين: «إنّ مثل هذا الأمر حقّ مشروع لأية أغلبية من أية أمة كانت، مسلمة أو سواها، مثلما لا يكون من حقّ أحد التدخل في خيارات المسيحيين، فإنّ من حقّنا وحدنا وفق شرعة حقوق الإنسان، والتعامل الإنساني تقرير مصيرنا وتعيين الأسلوب وطريقة الحياة التي نفضلها... نعم نحن نعمل من أجل الدولة الإسلامية إذا كان ذلك ممكناً»^(١).

ولم تنحصر ظاهرة العودة إلى الإسلام لدى مسلمي البلقان بوسط معيّن دون آخر، بل شملت كلّ الأوساط الاجتماعية، بما فيهم المرأة، التي ظلّت تبذل كلّ ما في وسعها لتحسين نفسها ضدّ التيارات المادية، وشاركت في الصراع العقائدي الذي خاضه المسلمون تجاه هذه التيارات الإلحادية، فعلى سبيل المثال قامت المسلمات البوسنات بتشكيل اتحادٍ للفتيات المسلمات في البوسنة باسم «سميّة»، وكانت أهمّ أهداف هذا

(١) مجلة العالم، ع ٣٨٨، في ٢٠ / تموز / ١٩٩١ م.

الإتحاد هي :

- ١- تعليم وتنقيف النساء المسلمات، وإحياء التراث الإسلامي والحضاري.
 - ٢- التضامن مع نساء يوغسلافيا والعالم.
 - ٣- توجيه الإهتمام لبناء البيت الإسلامي والأسرة المسلمة.
 - ٤- أن تسترد المرأة دورها الطبيعي في الحياة اليومية سعياً لبناء مجتمع إسلامي يتقاسم الأدوار فيه الرجال والنساء طبقاً للمفاهيم الإسلامية النقية.
 - ٥- الدفاع عن حقوق الأخوات المحجبات.
 - ٦- العمل على حل مشاكل العاطلين ومساعدة المسنين والشيوخ والمستضعفين. وقد شارك هذا الإتحاد في المواجهة التي حدثت في عام ١٩٨٢ م، إبان الحكم الشيوعي مع النخبة المثقفة من المسلمين والعلماء، كان من بينهم عزت بيكوفيتش رئيس الجمهورية الحالية للبوسنة والهرسك، وفيها تعرضت السيّدة «ساينا» رئيسة إتحاد الفتيات المسلمات في البوسنة (سميّة) للسجن عام ١٩٨٣ م، واصطدمت كذلك بإدارة كليّة الفلسفة، حيث كانت طالبة في ذلك الوقت، وأُتهمت بالتخلّف لالتزامها بالحجاب، وحاولت الإدارة فصلها، ولكنها تراجعت عن هذا القرار تحت ضغط المسلمين.
- من خلال كلّ ما ذكرنا من التوجّهات الإسلامية لمسلمي البلقان يتبيّن لنا أنّ حرارة الإيمان، وجذوة الشعور الديني قد انطلقت من جديد، وأنّ الفطرة السليمة لا يمكن طمسها مهما طالّت سنين القهر والتشويه والحملات الإعلامية ضدّهم، وهذا ما يبعث على الأمل الكبير بأنّ مستقبل الإسلام في هذه المنطقة يدعو إلى التفاؤل، رغم الهجمة الحاقدة ضدّ الإسلام والمسلمين فيها، وأنّهم اختاروا العودة إلى إسلامهم الأصيل، ولن يسمحوا لأيّة قوّة إقليمية ولا للنظام العالمي الجديد بمحوهم سياسياً واجتماعياً من خارطة البلقان، والعودة بهم إلى عصور القرون الوسطى وشريعة الغاب.

كيف يجب أن يفكر مسلمو البلقان لبناء كيانهم السياسي ؟ وما هو دورنا في ذلك ؟

والجواب على هذين السؤالين يتمثل بتناول الجوانب الثلاثة التالية :

أولاً: الدور الذاتي لمسلمي البلقان في بناء كيانهم السياسي، فمن الحقائق المطلقة والسنن الإجتماعية الثابتة في الإسلام. أن الخصائص الإنسانية للمسلمين واثمانيهم الحيوي للرسالة الإلهية، يصبح مهدداً تهديداً مدمراً، ما لم تستمر تغذيته بالفكر الإسلامي النقي، ويتحرك الدين، بمفرداته الأساسية، في يومياتهم العملية، كما تتحرك الدماء في الجسد لتمنحه الدفء والحياة والحركة. وتظل تلك الخصائص وذلك الإلتزام محدوداً ضعيفاً لا ينمو بشكل يستوعب التطور الحضاري للبشرية بكل أبعاده، ويكون قيماً وشاهداً وقائداً لها نحو الولاية الإلهية، ما لم يتواصل المسلمون فيما بينهم فكرياً وسياسياً وحضارياً، وأن يكون هذا التواصل من خلال محور العطاء الرسالي الأصيل، والرغد الفكري النقي، المتمثل بعلماء الإسلام المجاهدين ومؤسستهم العلمية والتربوية.

وفيما يلي نماذج عملية مقترحة يمكنها أن تساهم مساهمة فعالة في إيجاد الأساس الإسلامي الحي في واقع مسلمي البلقان ليشيدوا على أركانه كيانهم الإجتماعي والسياسي المنشود.

أ - العمل على إصدار صحف ومجلات ومسلسلات ثقافية إسلامية وباللغات المحلية وتهئية برامج تربوية للمحطات الإذاعية وتأسيس مراكز ثقافية للشباب تستهدف توجيه طاقاتهم الفكرية وترشيدها، وإزالة ما علق في أذهانهم من شبهات أثارها الماديون والعلمانيون حول الإسلام.

ب - إنشاء المراكز والمعاهد العلمية في مختلف المعارف الإسلامية، وتغذية الجامعات والمعاهد الفعلية، بالمصادر الإسلامية الأساسية، وزج علماء الدين المحليين

في مجالات التعليم والتربية الإسلامية الهادفة، بهدف تهيئة الكوادر الإسلامية المثقفة من أبناء البلقان ليحملوا رسالة الإسلام، ولواء الإرشاد والتبليغ الحقيقي لأبناء جلدتهم، الذين يعيشون الغربة الثقافية والبعد الشعائري عن دينهم، ويزيل عنهم الغبش الذي يخيم على تصورات ومفاهيم الكثير منهم حول الممارسات الإسلامية، التي يجب أن يروؤوا نفوسهم عليها، ويصبغوا حياتهم اليومية بصبغتها.

ج - الدعوة الشاملة بقوة وفعالية لإحياء الشعائر الإسلامية اليومية والأسبوعية والموسمية، وإبرازها بشكلها القدسي المؤثر، ودعوة الناس إلى المساجد وتويعتهم على موقعها الجوهري في إقامة الإسلام، وبعث حركته في حياتهم، لتكون بحق محطات الصلة بالله والارتباط بولايته المطلقة، وأن تكون مدارس ومعالم للدين، ومعقداً لألوية الجهاد وكتائبه، وتكية للقضاء بالعدل بين الناس، ومجلس البيعة والإعلان عن حاكمية الإسلام وحكومته.

ثانياً: الدور المساند والتعاضيد الفاعل من قبل مسلمي العالم ومنظماتهم السياسية، وخصوصاً من الثورة الإسلامية في إيران، لمسلمي البلقان، بما يحقق لهم صموداً وثباتاً في الجهاد من أجل تثبيت هويتهم الإسلامية السياسية، وتقديم كل ما يمكن لهم من مقومات النهوض والقدرة على بناء كياناتهم الإجتماعي والسياسي على أساس الإسلام. ويمكن سوق أمثلة وصور لهذا الإسناد والتعاضيد:

أ - تنشيط وتكثيف حركة التبليغ والتوعية الإسلامية في منطقة البلقان عن طريق إفاد المبلغين الرساليين من المؤسسات والمنظمات الإسلامية إليها، والعمل على إقامة المجالس والندوات الهادفة، وإذكاء روح الفداء والدفاع عن الإسلام وحرمه، وأن النصر لا يتم إلا بنصر الله ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^١، وأن يتم الإعداد لتربية نخبة من أهل هذه البلدان على مثل هذه النشاطات والفعاليات، ومن الضروري أن تكون

لغة الخطاب هي لغة الناس المحليّة، لتصل إليهم الكلمة الهادفة بكلّ يسر، ولكي لا يجد أهل تلك البلاد صعوبة في تلقّي مفاهيم الإسلام وتعاليمه السمحة. كما يجب أن تخاطب ضمائر المسلمين هناك لإشعارهم بأنّ إخوانهم المسلمين في كلّ مكان معهم، في الكلمة الهادفة، ومعهم في الموقف المبدئي، ومعهم في المسير والمصير، وأنهم ما جاءوا إليهم إلّا ليتقاسموا معهم مشاكلهم وآمالهم وآلامهم، وأنهم جزء من جسد الأمة الإسلاميّة الحيّ، وأنّ ما أصابهم ويصيبهم أصاب ويصيب كلّ الجسد بالسهر والحمّى. ولقد أحسن القول وزير خارجيّة البوسنة والهرسك الدكتور حارث سيلاجيتش في تصريحه في هذا المجال: «إنني آمل من المفكرين الإسلاميين أن يبحثوا عن ملجأ لتبرير تأخيرهم عنا. نحن في حاجةٍ لإبداعاتهم مترجمة إلى لغتنا القوميّة».

ب - أن تفتح جامعات ومعاهد الدول الإسلاميّة، وخصوصاً جامعات ومعاهد الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، أبوابها لمسلمي دول البلقان للإلتحاق بالدراسات الإسلاميّة والعلميّة المختلفة. وهنا تتأكّد القيمة الموضوعيّة للتواصل الحضاري بين المسلمين، خصوصاً مع التجربة الإسلاميّة الرائدة في إيران، والذي من أبرز ثماره هو تعميق الشعور بأنّ انتماءهم للإسلام ليس مجرد انتماء تراثي عاطفي، بل إنّ له عمقاً حضاريّاً وإنسانيّاً واقعياً على الأرض، يواكب العصر ويصارع لإثبات أنّه الأصلح منفرداً لرفع الظلم والجور عن المجتمع البشري، وإقامة العدل والقسط في أكنافه. كما أن من ثماره أيضاً إزالة الحيرة والغموض الذي شمل جوانباً من معتقداتهم الإسلاميّة، وشائبة التردّد في مدى مصداقيّتها في الواقع الإنساني.

ج - تبني الدول الإسلاميّة منفردة ومن خلال منظّمة المؤتمر الإسلامي خطة إسناد وإمداد مالي واقتصاديّ شاملة، بمستوى يكفل توفير الحدّ الضروري لتحقيق الصمود المطلوب لدئ مسلمي منطقة البلقان، خصوصاً في جمهوريّة البوسنة والهرسك، بل وتبني مشاريع اقتصاديّة طارئة تتناسب وحالة الحرب والدمار الذي لحق بها من جهة،

وتقديم تجربة عمل اقتصادي إسلامي من جهة أخرى، يُدرك فيها المسلمون هناك عظمة المبادئ الإسلامية الكبرى التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي، كمبدأ التكامل الاجتماعي، ومبدأ البذل والتضحية والإيثار في سبيل الله، ومبدأ تقديم المصلحة العليا للإسلام والأمة الإسلامية على المصالح المادية الفردية، والتي لم يجدوا لها عيناً ولا أثراً في تجربة الاقتصاد الشيوعي المريرة التي عاشوها طيلة عشرات السنين الماضية.

ثالثاً: السياسة العامة التي يجب أن تنهجها منظمات ومؤسسات مسلمي البلقان، ومنها حكومة جمهورية البوسنة والهرسك في التعامل مع الاتجاهات السياسية والدينية المحلية ومع المنظومة الأوروبية:

أ- على الصعيد المحلي والإقليمي: ويتمثل باعتماد المبدأ الإسلامي في التعايش السلمي والإقرار المتبادل بالحقوق الإنسانية بين كافة الأديان السماوية والشعوب والقوميات المختلفة، ورفض أسلوب العدوان وروح التعصب العرقي والطائفي، ولعل المنطق الذي طرحه علماء الدين البوسنيين في هذه المسألة يعتبر بياناً مناسباً لهذا المبدأ يمكن تطبيقه على واقع التعامل الإنساني بين أديان وقوميات منطقة البلقان، وتدعيمه بشواهد التاريخ الطويل لسلوك المسلمين الحاكي لهذا المبدأ. ومما جاء في هذا البيان: «...نحن نعمل من أجل الدولة الإسلامية إذا كان ممكناً، والإمكان هنا هو عدم الإكراه والإلحاق القسري، ومن المؤكد أن تعاملنا مع أمة تسودها قوانين غير وضعية أسلم وأكثر ضماناً من أي نوع من التعاملات الأخرى، التي تبقى احتمالات انفتاحها على الكراهية والبغضاء مفتوحة، نتيجة سيادة المطامع الدنيوية، كما هي الحالة مع الإتحاد اليوغسلافي، والصربيين الذين يمارسون نفوذهم عليه. إن الخروج على مبادئ الكنيسة والمسجد، كما جاء بها رسول الله محمد وعيسى عليهما السلام، لم يقد إلى حالة الفوضى والاضطراب وسيادة الفوضى في يوغسلافيا وحدها، بل وكان سبباً مباشراً في تصدّي هذه القوة أو تلك لكل المجتمع الإنساني بهدف إخضاعه، ومحاولاتها المستمرة في

تنصيب دمي كرتوتية همها الأول خدمة أغراضها المادية والتفعية غير المشروعة. ومن المؤكد أن المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك يفضلون التعامل مع دولة مسيحية تطبق تعليمات السيد المسيح عليه السلام على غيرها من الدول المسيحية التي ترجح المادة وقيم الإياحية على أي عقيدة أو قانون سماوي. ولولا الضياع في زحمة التنافس المادي المجرد عن الأخلاق وضوابطها الرفيعة لما انبرت جمهورية كرواتيا إلى تقليد الجمهورية الصربية في إظهار نزعة الكراهية وعدم المودة أزاء المسلمين. والمسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك الذين دافعوا عن حق كرواتيا في السيادة وتقرير المصير انطلاقاً من التعليمات والقوانين التي جاء بها كتاب الله قبل أي مشروع دينوي آخر، يمارسون بالقدر ذاته حق انتقاد التصرفات الخاطئة التي بدأت تصدر من ممثلي الكرواتيين أنفسهم، لأن المباديء واحدة، والقياس بها له حساب متوافق مع أساسياتها...^١

ب - على صعيد الرأي العام الأوروبي والعالمي : إن المجازر الرهيبة والجرائم البشعة والتصفية الدموية التي يمارسها الصرب والكروات بحق مسلمي البلقان، والدجل السياسي والإعلامي الذي يظهر في سياسات الحكومات الغربية، والتناقض والتملل الواضح الذي تسير عليه الأمم المتحدة ومنظماتها تجاه مواجهة المعتدي وإنهاء هذه المأساة، يجب أن لا يمر دون إعلام وبيان للرأي العام العالمي، لما لذلك من أثر بليغ، خصوصاً على الرأي العام الأوروبي، ويجب أن تساهم جميع الدول الإسلامية ومنظمات ومؤسسات المسلمين في العالم وبالأخص تلك التي في الغرب، في أداء هذا الدور الإعلامي الهام. ولقد لمسنا كيف أن التعريف بجزء مما حصل من حالات الإغتصاب والقتل والهتك لأعراض النساء المسلمات أدى إلى خروج الملايين من الأوروبيين في مظاهرات تطالب المنظمات الدولية والحكومات الغربية بالعمل لوقف هذه الجريمة

(١) العالم، ع ٣٨٨ في ٢٠ / تموز / ١٩٩١ م.

ومحاكمة المعتدي، كما أن ذلك سيؤكد على عدم مصداقية الشعارات التي يُنادي بها الغرب ومنظّماته التي تدّعي الدفاع عن حقوق البشر.

ج - على صعيد التعامل السياسي لحكومة جمهورية البوسنة والهرسك :

١ - مع أمريكا والمنظومة الأوربية... حيث يجب أن تفهم أن منطقهم هو منطق المصالح القومية والذاتية لكلّ منهما، وأنهم، وخصوصاً أمريكا، وضمن سعيهم لتطبيق ما يسمّى بالنظام العالمي الجديد، يسعون إلى السيطرة على جميع مقدّرات الشعوب ودولها، لهذا فالصمود والإصرار على ثوابت تعتبر حداً أدنى وخطأً أحمرّاً لا يجوز تجاوزه في طريقة التعامل والأخذ والعطاء مع سياساتهم وأساليبهم في احتواء نتائج الأزمات والحروب لصالحهم هو الطريق الوحيد لضمان الحقوق والكيان السياسي المستقلّ للمسلمين.

٢ - مع الدول الإسلامية وخصوصاً الجمهورية الإسلامية في إيران، التي تدرك بعمق المسؤولية الإنسانية والإسلامية الملقاة على عاتقها تجاه المسلمين في البلقان وفي غيرها من مناطق العالم، وهذا يحثّم على حكومة البوسنة والهرسك العمل بشكل أساسي وشامل على رسم وتنسيق خطط عمل فعّالة لتدعيم الوجود السياسي للمسلمين هناك، وإيجاد رابطة عضوية بينهما في إطار المصلحة العليا للإسلام والمسلمين في كلّ بقاع الأرض. وترك تفصيل هذا الأمر للمتصدّين الفعليين في البلدين.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

مَنْ أَصْبَحَ وَهَمَّهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
وَمَنْ لَمْ يَهْتِمِ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ .

مسند الحاكم ٤ : ٣٢٠

مجمع الفقهاء المسلمين في ايران مجمع الفقهاء المسلمين في ايران

أفادنا سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ التسخيري الامين
العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالتقرير التالي عن حضور
وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية في مجمع الفقه الاسلامي الدولي
للفترة بين ٧-١ / محرم / ١٤١٤ هـ. ٢١-٢٧ / يونيو حزيران / ١٩٩٣ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا قد تحدثنا في تقريراتنا من قبل عن أهمية هذا المجمع وخصائصه والدور
الذي يمكن أن يلعبه في حياة المسلمين باعتباره يجمع كل المذاهب التي لها
أتباع فعلاً، وتمثل كل الدول الاسلامية تقريباً وبشكل رسمي. وقد كان الوفد هذا العام
متشكلاً من شخصي كمندوب للجمهورية الاسلامية الايرانية ومن سماحة آية الله
المؤمن وسماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ حسن الجواهري كخبرين متدينين.
وقد ناقش المؤتمر خلال سبعة أيام موضوعات كثيرة وهامة وخرج منها بالقرارات
والتوصيات التي نلحقها بهذا التقرير.

وقد كانت الجلسات فيما نعتقد جلسات جادة وسرت روح أخوية عامة إلا في بعض
الحالات النادرة. ولنا هنا بعض الملاحظات على هذه القرارات نذكرها باختصار

مؤكدین أنها لا تستطيع أن تمس الاهمية الفائقة التي تمتلكها بشكل عام وهي :
أولاً : ان هذه الدورة اتسمت بعدم إكمال المواضيع التي أوكلت إليها نظراً لسعة
الموضوع وبالتالي كثرة البحوث من قبيل البحوث التالية :

✻ المشاركة في أسهم الشركات المساهمة المتعاملة بالربا.

✻ بطاقات الائتمان.

✻ أخلاقيات الطبيب.

كما إن بعض القرارات لم تتعد كونها عرضاً لموضوعات لغرض الاستكتاب فيها كما في :
✻ جزء من القرار الصادر حول قضايا العملة.

✻ جزء من القرار الصادر حول مرض الايدز.

كما كان بعضها مجرد تكميل للقرارات السابقة للمجمع، كما في القرار حول
(تطبيقات شرعية لإقامة السوق الاسلامية) والقرار حول (قضايا العملة).

ثانياً : أعتقد أن القرار الصادر حول التلفيق وإمكانه لم يكن قراراً موفقاً، فهو حين
يذكر أن حقيقته هي أن يأتي المقلد في مسألة واحدة ذات فرعين مترابطين فأكثر بكيفية
لا يقول بها مجتهد ممن قلدهم في تلك المسألة، يعود ويذكر في المادة الثانية أنماطاً من
التلفيق الممنوع ومنها الذي (يؤدي إلى حالة مركبة لا يقرها أحد المجتهدين) وكأنها
استثناءات من التلفيق المقبول الذي لم يتم تعريفه.

ثالثاً : صاحبت البحوث وسير العملية الاجتهادية الجماعية أحياناً بعض الانماط من
التشنج التي كان يثيرها البعض حول آراء بعض المذاهب وبعض الشخصيات المذهبية
المعروفة الامر الذي كان على المجمع تجنبه.

رابعاً : تم تأجيل موضوع حقوق الانسان في الاسلام رغم وجود أوراق فيه وكونه
موضوع الساعة على المستوى العالمي.

خامساً : كان وفد الجمهورية الاسلامية في المؤتمر نشطاً ساهم في أغلب البحوث

وقدم صورة مشرقة للاستنباط المعمق في الحوزات العلمية فاشترك أولاً بخمسة بحوث حول:

- ١. بطاقة الائتمان بحثان
- ٢. بيع العربون بحث واحد
- ٣. الاخذ بالرخص بحث واحد
- ٤. حقوق الانسان بحث واحد

كما ساهم في إثراء المناقشات، وتقديم العرض في موضوع بطاقات الائتمان كما اشترك في بعض لجان صياغة القرارات.

سأبدأ من النقائص التي نعتقد أنها تعتور الجلسات المجمعية أنه لم يتفق على منهج واحد في الاستدلال، ولذلك تأتي المناقشة غير متكاملة. فالاستدلال الصحيح على مورد خاص كما نعتقد يبدأ أولاً بملاحظة انطباق الأدلة الاجتهادية العامة من قبيل (أوفوا بالعقود)، (أحل الله البيع)، (المؤمنون عند شروطهم) ثم ملاحظة الأدلة الواردة في هذا المورد بخصوصه من كتاب أو سنة أو اجماع كما في الروايات في بيع العربون وهي متنافية. فإذا لم يتم شيء من ذلك عدنا إلى مقتضيات الأصول العملية مع ملاحظة الترتيب القائم بينها، كل هذا مع الاستئناس بأقوال العلماء والتأييد بها.

هذا في حين نجد الباحثين يسلكون مسالك شتى، فهذا لا يذكر إلا الآراء التي طرحها العلماء فهي مستنده الوحيد، وذاك يجمع بين ذكر الآراء مع الاستناد نوعاً ما للدلة، وآخر يتجه مباشرة إلى الأصول العملية التي لا يلجأ إليها إلا عند فقدان الدليل الاجتهادي، كأصل الاستصحاب أو البراءة أو التخيير، وآخرون يسبغون ابتداءً نحو مقتضيات المصلحة المرسلة والاستحسانات الظنية.

وهكذا يتيه الباحث والمناقش بين هذه الأساليب المتعددة في الاستنباط الأمر الذي يتطلب منهجية واضحة وصريحة تضمن السير الصحيح في الاستنباط دون أن تهمل

على هامش المؤتمر

اولاً: نبذة تاريخية

عقد المؤتمر في سلطنة بروناي (دارالسلام) وفي عاصمتها بندر سيري وتقع في الغرب الشمالي من جزيرة بورنيو الكبيرة التي هي شمال جاوة وجنوب غرب جزر الفلبين وكذلك هي في شمال غرب ماليزيا وكأنها جزء منها وتحيط بها ولاية سراواك الماليزية في حين يحدها بحر الصين من الشمال الغربي.

تبلغ مساحتها ٢٢٢٦ ميلاً مربعاً وتقع بين خطي عرض ٤٢ و ٥٣ شمال خط الاستواء ولذلك فجوها استوائي الا انه ليس شديد الحرارة لوقوعها قرب بحار كبيرة كبحر الصين الجنوبي وهطول الامطار باستمرار. ودرجة الحرارة فيها تتفاوت طول السنة بين ٢٤ الى ٣٠ درجة مئوية. وقد يصل معدل سقوط الامطار في منطقة الغابات الى ٣٠٠ بوصة.

يبلغ عدد سكانها حوالي الربع مليون، وأغلبية السكان مسلمون (٨٢٪) ولها اربع مقاطعات : (بروناي موارا، بلايت، توتونج، تمبورنج) وأهم صادراتها النفط بالاضافة للمنتجات الزراعية.

ونظامها واحد من أقدم النظم في المنطقة حتى قيل أنه نشأ منذ القرن الثاني الهجري كما دخلها الاسلام في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي على يد التجار المسلمين والدلائل الاثرية على ذلك ربما كانت قوية، وقد وصلت الى أوج قوتها اثناء القرن السادس عشر على يد السلطان (بليقي) الذي تنحدر منه الاسرة الحاكمة اليوم، وقد حكم الاستعمار هذه النواحي منذ عام ١٨٣٨ م ونظام الحكم فيها سلطاني وراثي، وسلطانها هو السلطان (حسن بليقي) وهو التاسع والعشرون في سلسلة السلاطين المعروفين، وقد

استقلت السلطنة في اليوم الاول من عام ١٩٨٤ م.

ثانياً: الوضع الديني

من الملاحظ بكل وضوح أن هناك تأكيداً من قبل المسؤولين جميعاً على الهوية الاسلامية.

وقد جاء في خطاب السلطان عند افتتاح الدورة الثامنة لمجمع الفقه مايلي: (فالامة الاسلامية وعلى اختلاف جنسياتها لا ينبغي لها الافراط ولا التفريط فتقدم السياسة على الشرع والعكس صحيح، فإن السياسة لابد وأن يراقبها الشرع ويقيدها بقيود شرعية عادلة، وذلك لانه ليس كل ما يحلو في نظر الحس والهوى فهو حسن على الاطلاق وإن كان مرأاً لا يكاد يتجرعه أي إنسان. وفي نظري أن الضعف أو الوهن الذي يصيب الامة الاسلامية اليوم ليس ناتجاً عن المؤامرات التي خططها أعداء الاسلام وإنما هو نابع عن تصرفات هذه الامة نفسها، وذلك لفقدان ثقتها بالاسلام وقلة رغبتها في الانقياد لأحكامه وتعاليمه. بل العكس إنها مؤمنة بالافكار المنبثقة من تيارات أو اتجاهات هدامة). وبالنسبة للخط فإن هناك تأكيداً على الحروف العربية وكتابتها بخط أكبر من الحروف اللاتينية في واجهات المحلات مثلاً.

كما إن هناك حركة واسعة للتعليم في المعاهد الدينية العالية في خارج البلاد كالازهر والسعودية، وحركة واسعة نسبياً للتعليم الديني في الداخل.

ومما أعجبنا حقاً نشاط مصلحة الشؤون الدينية في أقسامها المختلفة كقسم المحاكم الشرعية، وقسم التعليم الديني، وقسم الزكاة وقسم الدعوة والارشاد، وقسم شؤون الحجاج.

وقد زرنا مركز الدعوة والارشاد فرأينا فيه نشاطاً دائماً في هذا المجال هذا وقد حرمت الدولة تقديم الخمر حتى على متن الطائرات البرونية وراقبت شرعية اللحوم. وتنتشر في بروناي دار السلام المساجد الفخمة وأكبرها الجامع الفخم (جامع عمر علي)

وفيه من الميزات ما يحتاج وصفها الى وقت. والنساء المسلمات أكثرهن محجبات بشكل رائع. ورغم وجود عادة السفر بين بعضهن، إلا أن الحشمة هي الغالبة. وللتلغزة برامج جيدة إلا إنها تختلط أحياناً ببرامج غريبة غير مطلوبة.

ثالثاً: ولقد كانت مناسبة انعقاد الدورة الثامنة لمجمع الفقه الاسلامي حدثاً تاريخياً كما يبدو في تلك البلاد، فقد تم إعداد جيد لها وبذلت جهود طيبة لإنجاحها، وكانت الاجهزة الادارية والمكتبية والطباعة جيدة إلى حد كبير، وجندت وزارة الشؤون الدينية كل طاقاتها لهذا الغرض، وحضر الوزير أغلب الجلسات وتابع أعمالها بكل دقة.

رابعاً: إلتقى الوفد في جلسة خاصة بوزير الشؤون الدينية، ودار حديث ودّي حول الوضع الاسلامي العام والاتجاه الاسلامي لبروناي والثورة الاسلامية في إيران، وضرورة تقوية الاواصر بين البلدين. والكل يتوقع الخير في الزيارة المقبلة لسلطان بروناي إلى الجمهورية الاسلامية الايرانية بدعوة من حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني.

كما إلتقينا في زيارة سريعة بالسلطان وشكرناه على خطابه وكانت لنا لقاءات كثيرة بالمسؤولين وأعضاء الوفود المشاركة وجرت فيها مناقشات مختلفة حول الشؤون الاسلامية العامة.

على ضوء ما سبق نقترح مايلي :

من اللازم أن يرتفع مستوى نشاط مجمع فقه أهل البيت عليهم السلام ليغطي كل الاسئلة المطروحة في الدورة القادمة وبشكل علمي مقارن.

نرى أن من الطبيعي أن يتم عقد ندوات فقهية في اطار الحوزات العلمية الشيعية تتناول كل ندوة موضوعاً من أمثال هذه المواضيع ليتم تبادل الرأي على مستوى واسع. نقترح أن يضم إلى اعضاء مجمع أهل البيت عليهم السلام أشخاص جدد وينقسم المجمع إلى لجان مختلفة.

كما نقترح أن تقوم حكومة الجمهورية الاسلامية بتقوية العلاقة الدبلوماسية مع بروناي دار السلام نظراً لأهميتها الاسلامية والمكانة الاقتصادية التي تتمتع بها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَأِئِلُكُمْ عَنْهُ ثَنِينَ:
عَنِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ بَيْتِي . ٢ : ١٣٧

المؤيد - الطائفة

الْمَعْرُوفُ

وَالْمَنْكَرُ

نَعْلَانِي: شَيْخُ جَمَالِ كُرْدِي - ١٤٠٥ هـ

أسمى الفرائض

١- عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: يكون في آخر الزمان قومٌ يَتَّبِعُ فيهم قومٌ مراؤون يتقروون ويتنسكون، خُدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر، إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرِّخْصَ والمعاذير، يَتَّبِعُونَ زَلَّاتِ العلماء وفساد عملهم، يَقْبَلُونَ عَلَى الصلاة والصيام وما لا يَكْلَفُهُمْ في نفْسٍ ولا مال، ولو أَضُرَّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها. إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمَنْكَرِ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بها تَقَامُ الفرائض، هناك يَتِمُّ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَيَعْمَهُمْ بِعِقَابِهِ، فَيَهْلِكُ الْأَبْرَارُ فِي دَارِ الْفَجَارِ وَالصَّغَارُ فِي دَارِ الْكِبَارِ.

إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمَنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْهَاجُ الصَّالِحِينَ، فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بها تَقَامُ الفرائض، وَتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ، وَتَحُلُّ الْمَكَاسِبُ، وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ، وَتَعْمُرُ الْأَرْضُ، وَتَتَصَفَّ مِنْ الْأَعْدَاءِ، وَتُسْتَقِيمُ الْأُمُورُ، فَأَنْكَرُوا بِقُلُوبِكُمْ وَالْفُظُوزَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَصَكُّوا بِهَا جِبَاهَهُمْ، وَلَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، فَإِنْ اتَّعَظُوا وَإِلَى الْحَقِّ رَجَعُوا فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلَيْمٌ^١. هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم، غير طالبيين سلطاناً، ولا باغين مالاً، ولا مرادين بظلم ظفرأ، حتّى يفيثوا إلى أمر الله، ويمضوا على طاعته^٢.

٢ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَغْضُهِمْ أَوْلِيَاءُ بَغْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^٣، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنّها إذا أدّيت وأقيمت استقامت الفرائض كلّها هيئها وصعبها. وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفبي والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها^٤.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان^٥.

٢ - وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قال: إنني سمعت عليّاً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبريء، ومن أنكره بلسانه فقد أجز وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، وتور في قلبه اليقين^٦.

٣ - وقال الإمام علي عليه السلام: فمنهم المنكّر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكّر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكّر بقلبه التارك بيده ولسانه فذلك

(١) الشورى: ٤٢.

(٢) الكافي ٥: ٥٥-٥٦.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) تحف العقول: ٢٣٧.

(٥) كنز العمال ٣: ٥٥٢٤.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٣.

الذي ضيَّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسَّك بواحدة، ومنهم تاركٌ لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ویده فذلك ميَّت الأحياء. وما أعمال البرِّ كلَّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر والنهي عن ^١ «شكر إلا اكتشافه في بحر لجيٍّ، وإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كلمة عدلٍ عند إمام جائر».

من يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سُئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجبٌ هو على الأمة جميعاً؟ فقال: لا، فقليل له: ولم؟ قال: إنما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيٍّ من أيٍّ، يقول من الحقِّ إلى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ^٢، فهذا خاصٌّ غير عامٍّ كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَفْتَلُونَ﴾ ^٣، ولم يقل: على أمة موسى ولا على كلِّ قومه، وهم يومئذٍ أممٌ مختلفة، والأمة واحد فصاعداً كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ ^٤ يقول: مطيعاً لله عز وجل ^٥.

٢- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالمٌ بما يأمر به، تاركٌ لما ينهى عنه، عادلٌ فيما يأمر، عادلٌ فيما ينهى، رفيقٌ فيما يأمر، رفيقٌ فيما ينهى ^٦.

(١) المصدر: الحكمة ٣٧٤.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) النحل: ١١٩.

(٥) الكافي ٥: ٥٩-٦٠.

(٦) روضة الواعظين: ٣٦٥.

التعامل مع أهل المعاصي :

١- قال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْ عَلَيْنَا فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١ 》 .

٢- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢ 》 .

٣- وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفورة ٣ .

٤- عن غياث بن إبراهيم قال : كان أبو عبد الله عليه السلام إذا مرّ بجماعة يختصمون لم يجرهم حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثًا : اتَّقُوا اللَّهَ اتَّقُوا اللَّهَ يرفع بها صوته ٤ .

٥- وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لابن المغيرة : ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون وما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً، فقلت له : جُعِلَتْ فداك، إذا لا يطيقون ولا يقبلون منا، فقال : اهجرهم واجتنبوا مجالسهم ٥ .

٦- وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية له لكميل بن زياد : يا كميل قل الحق على كل حال، وواد المتقين، واهجر الفاسقين، يا كميل جانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين، إياك وإياك والتطرق إلى أبواب الظالمين والإختلاط بهم والإكتساب منهم، وإياك أن تطيعهم وأن تشهد مجالسهم بما يسخط الله، يا كميل إن اضطررت إلى حضورها فداوم ذكر الله تعالى والتوكل عليه، واستعد بالله من شرهم، واطرق عنهم، وأنكر بقلبك فعلهم، واهجر بتعظيم الله عز وجل، وأسمعهم فإنهم يهابوك وتكفى ٦ .

(١) النساء : ١٤٠ .

(٢) الأنعام : ٦٨ .

(٣) الكافي ٥ : ٥٩ .

(٤) المصدر : ٦١ .

(٥) السرائر : ٤٨٢ .

(٦) جامع أحاديث الشيعة ١٤ : ٤٢٧ .

الراضي بالمنكر كفاعله :

- ١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده^١.
- ٢ - وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : حسب المؤمن عذراً إذا رأى منكراً أن يعلم الله من نيته أنه له كاره^٢.

٣ - وعن عبد السلام بن صالح الهروي قال : قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام قال : إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعل آبائهم، فقال عليه السلام : هو كذلك، فقلت : قول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^٣ ما معناه ؟ قال : صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعل آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرك فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم^٤.

٤ - سئل الإمام الرضا عليه السلام : لأي علة أغرق الله عز وجل الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ فقال :... وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شاهده وأتاه^٥.

من يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً :

- ١ - قال النبي صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فليل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم،

(١) التهذيب ٦ : ١٧٠، ٣٢٧.

(٢) المصدر : ١٧٨، ٣٦١.

(٣) الأنعام : ١٦٤.

(٤) عبون أخبار الرضا ١ : ٢٧٣، وعلل الشرائع : ٢٢٩.

(٥) وسائل الشيعة ١٦ : ١٣٩.

وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ فقل له : يا رسول الله، ويكون ذلك ؟ قال : نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟

عقاب التاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١- روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعتم منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء.^١

٢- وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي عليه السلام إني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام : يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.^٢

٣- وعن محمد بن عرفة قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لتأمرن بالمعروف ولتنهئن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم ولا يستجاب لهم.^٣

٤- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : أيما ناشيء نشأ في قومه ثم لم يؤدب على معصية كان الله أول ما يعاقبهم به أن ينقص في أرزاقهم.^٤

٥- وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله لا يعذب العامة بذنوب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم يغيّر ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عز وجل.^٥

٦- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا

(١) مشكاة الأنوار : ٥١

(١) الكافي ٥ : ٥٩

(٤) مشكاة الأنوار : ٥٠

(٣) الكافي ٥ : ٥٦

(٦) قرب الإسناد : ٢٦

(٥) عقاب الأعمال : ٢٦٥

يَغْيَرُونَهُ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ^١.

٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلَّطَ الله عليهم شرارهم، فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم^٢.

الأمر والنهي للأهل والأقارب:

١- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^٣، جَلَسَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْكِي وَقَالَ: أَنَا عَجَزْتُ عَنْ نَفْسِي، كَلَّفْتُ أَهْلِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَسْبُكَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ نَفْسَكَ، وَأَنْ تَنْهَاهُمْ عَمَّا تَنْهَى عَنْهُ نَفْسُكَ^٤.

٢- وعن أبي بصير في قول الله عز وجل: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قلت^٥: كَيْفَ أَقِيهِمْ؟ قَالَ: تَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ، فَإِنْ أَطَاعُوكَ كُنْتَ قَدْ وَقَيْتَهُمْ، وَإِنْ عَصَوْكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ^٦.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبَّيْهَتِي بِسَائِلٍ عَنْ أَرْبَعٍ:
عَمْرٍو فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَمْرٍو فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَمْرٍو
فِيمَ أَنْفَقَهُ وَمِمَّا يُرَى الْكَنْسَبَةُ، وَعَمْرٍو مَحَبَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

الاستبصار - أحاديث الحديث : ٣٩

(١) وسائل الشيعة ١٦ : ٤٢٧.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٦ : ٤٢٨.

(٣) الكافي ٥ : ٦٢.

(٤) التحريم : ٦.

(٥) الكافي ٥ : ٦٢.

(٥) أي للإمام الصادق عليه السلام.

مَا الْمَفْلَسُ ؟

رَبُّنَا - ﷺ -

قبل أن يختفي قرص الشمس من سماء (مكة) بقليل، جلس النبي صلى الله عليه وآله يتوسط أصحابه الذين كانوا يتطلعون إلى دريس جديد يلتقهم إياه رسول الله صلى الله عليه وآله هذا اليوم.

بدأ النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بالحديث قائلاً :

- أصحابي !

فانشدت العيون الطامحة إلى طلعه البهية، وانفرجت مغالق أبواب القلوب العطشى لترتوي من نبع حكيمته الصافي، ومعين علمه المتدفق.

وأردف النبي صلى الله عليه وآله قائلاً، وقد علت شفثيه ابتسامة هي أرق من النسيم، وأصفى من الشهد.

- أتدرون ما المفلس ؟

دار همس بين القوم، وسرت هممة عاجلة باستغراب :

- ترى ما الذي يقصده النبي من سؤاله هذا ؟ !

- هل هناك معنى للمفلس غير الذي نعرفه ؟

- لعل النبي يريد أن يمزح معنا هذا اليوم !

بدا واضحاً أنَّ الحيرة قد أخذت مأخذها من نفوس الأصحاب أزاء هذا السؤال غير

المرتقب.

أدرك النبي صلى الله عليه وآله هذا التردد، فكرر السؤال :

- أصحابي ! أتعلمون من المفلس فيكم ؟

فبادر أحدهم قائلاً :

- المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع يا رسول الله !

فاهتزت رقاب القوم إقراراً له على هذه الإجابة الصريحة الواضحة، وتمتم الرجال بالتأييد :

- نعم يا رسول الله، من لا درهم له ولا متاع !

وهنا تبدأ عملية التصحيح لسطحية الأفكار التي يتعامل بها مع مفردات الحياة، والنفوذ إلى عمق المقاصد الواقعية من تلك المفاهيم.

- لا، ليس هذا هو المفلس الحقيقي !!

قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك، ثم أردف مضيفاً بعد أن حملق فيه القوم باستغراب وذهول :

- المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحه عليه، ثم طرح في النار.

ثم قال صلى الله عليه وآله :

- إنَّ المفلس حقيقةً هو هذا.

ما المفلس ؟

«عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أتدرون ما المفلس ؟ فقيل : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال صلى الله عليه وآله : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار... إنَّ المفلس حقيقةً هو هذا». بحار الأنوار ٧٢ : ٦. وكنز العمال : ١٠٣٢٧.

نافذة نطل منها على ما يصلنا من أخبار وتقارير عن أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (ع) في أنحاء العالم. «التحرير»

العراق

الاجواء العامة المسيطرة على

الحوزة العلمية في النجف الاشرف

أصبح الجو المسيطر على الحوزة العلمية في النجف الاشرف هو جو الركود والحيرة التي تلف طلابها والدارسين فيها، وذلك بعد إخماد انتفاضة الشعب العراقي المسلم في شعبان عام ١٤١١ هـ ضد نظام الطغاة البعثيين في العراق، وارتكاب المذابح والمجازر الجماعية والاعتقالات التي طالت حتى النساء والاطفال، وخاصة

اعتقال العلماء والفقهاء الذين كانوا يعتبرون من أركان الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

كما إن تدفق الطلبة العراقيين على الحوزة بعد تلك الاحداث وما تعرضت له الحوزة في كل أبعادها وكياناتها من تدمير أمر يثير الشك، وقد أوجد الخوف والذعر بين صفوف الطلبة وأوساط العلماء هناك، خشية أن يكون الكثير من أولئك الطلبة من المرتبطين بالجهاز الحاكم ومن رجالات الامن والاستخبارات البعثية.

والجدير بالذكر أن النظام العراقي اعتقل بعد سقوط الانتفاضة أكثر من مائة عالم مع المرجع الديني الراحل السيد الخوئي قدس سره الذين ما زالوا في سجون البعث ولم يُعرف مصيرهم. ولقد نشرت في الآونة الأخيرة منظمة العفو الدولية تقريراً كاملاً بأسماء هؤلاء العلماء مرفقاً بصور لبعضهم مطالبة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته من أجل انقاذ هؤلاء المظلومين الذين لم يعرف فيما إذا كان النظام قد أقدم على تصفيتهم، أم ما زالوا أحياء يدفنون في زنانات البعث الرهيبة.

السودان

حسن الترابي

يسعى لتوحيد صفوف المسلمين

يعتبر حسن الترابي من الشخصيات الإسلامية البارزة في شمال إفريقيا، وهو يسعى الآن لتوحيد السنة والشيعة، وقد قام بجولة حول هذا الموضوع في بعض الدول الإسلامية.

وقال الدكتور حسن الترابي الشخصية السياسية والدينية السودانية المهمة أثناء لقائه سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في السودان إنه اجتمع في هذا الصدد مع أحد المشايخ والعلماء البارزين في السعودية وبحث معه قضية التوحيد بين مختلف الفصائل الإسلامية إلا أن اقتراحه جوبه بالرد والرفض.

ويأتي هذا الموقف في الوقت الذي تبرز على الساحة الإسلامية حركة جديدة تهدف إلى نبذ الفرقة والاختلاف، وتشكل هيئات ولجان إسلامية لتقوم بواجبها الشرعي في هذا المضمار، ولكن على العكس من ذلك يقف بعض من يدعي الدين والحرص على الإسلام موقف الرفض للوحدة المصّر على الاختلاف والفرقة لا شيء إلا ليظل العالم الإسلامي عالماً ثالثاً متأخراً تابعاً للغرب ضعيفاً في مواجهة الاستكبار والحكومات المنضوية تحت ردائه السائرة في ركبته، المحاربة بقسوة وعنف أي تحرّك إسلامي أصيل يمكن

أن يكون بادرة لصحوة إسلامية كبرى أو وحدة إسلامية شاملة تطيح بتلك الرؤوس الخائنة والكيانات المزيفة.

أفغانستان

الوهايون ودورهم التخريبي

رغم المحنة التي يمرّ بها الشعب الأفغاني المسلم، والحاجة الماسة إلى مدّ يد العون له لينهض على قدميه من جديد وينفض عن كاهله عبء السنوات المريرة التي خاض فيها أعتى المعارك وأقساها من أجل الحرية والاسلام. رغم كل ذلك يقف بعض ممن يدعون الاسلام في طرف مضاد، كل سعيهم تمزيق هذا الشعب ونشر الفرقة والعداء بين أبنائه، وجلّ اهتمامهم كسر شوكة المسلمين والاسلام الاصيل ليصبح المسلمون هدفاً سهلاً للقوى المعادية.

وفي هذا المجال يوظف الوهايون أموالاً طائلة في المحافظات الافغانية الواقعة على حدود الجمهورية الاسلامية الايرانية كمحافظتي «نيمروز» و«فراه»

الافغانيتين وذلك لبسط نفوذ الحركة الوهاية وتحكيمها في تلك المنطقة.

وحسب التقارير الواردة فإن الوهايين يتظاهرون بأعمال البناء وإعادة الاعمار والزراعة في منطقة (بندكمان خان) الواقعة في محافظة نيمروز، ومن خلال تلك العملية يقومون باستقطاب الشخصيات صاحبة النفوذ عن طريق تقديم الاموال الكثيرة لهم ليتم نشر الثقافة الوهاية بين صفوفهم.

وفي الوقت نفسه يقوم الوهايون ومن منطلق هذه الحملة بتزويد العناصر الافغانية المؤيدة لهم بما يحتاجون إليه من مساعدات مادية وعسكرية.

وهناك أخبار تشير إلى تزايد النشاط التبليغي الوهابي في المنطقة، وقد تم طباعة كميات كبيرة من الكتب والكراسات في باكستان تطرح المسائل الدينية من وجهة نظر الوهاية، وتحاول نشر الثقافة والفكر الوهابي بين أبناء تلك المنطقة.

الجزائر

إدعاءات صحيفة المساء الجزائرية

حول عقائد الشيعة

تشبَّه القوى الاستعمارية والانظمة
العميلة لها حرباً لاهوادة فيها ضد
الاسلام الثوري وقواعده الجهادية
والفكرية التي تسعى لتحكيم العدل
الالهي والنظام الاسلامي في المنطقة
وتحطيم مرتكزات التواجد الاستعماري
وأوكاره العميلة التي باعت مبادئها
للأجنبي وتعلّقت بأذياله لتمكن من
البقاء على العروش الظالمة بغية النيل من
المسلمين وتوجيه الضربات لهم خدمة
للمصالح الاستكبارية في المنطقة.

وتتعدّد أساليب هذه الحرب
العدوانية بتعدّد أجوائها وتنوّع
البقاع وطبيعة المواجهة التي يتحرك من
خلالها أبناء الاسلام.

ومن هذه الاساليب الاسلوب
الاعلامي، الذي هو الاكثر تأثيراً والاقوى
فاعلية نظراً لسرعة وصوله إلى الهدف
وعدم تكلفه ما تكلفه الاساليب الاخرى

من خسائر على الصعيدين البشري
والمادي، وكذلك لضمان تقبله لما يمتزج
فيه من خداع وتزييف للحقائق وتشويه
للصور الواقعية.

وما نشرته صحيفة المساء الجزائرية
التابعة للدولة من سلسلة مقالات تحت
عنوان «أسس الارهاب» واتهمت
الجمهورية الاسلامية في إيران فيها
بحماية الارهاب، هو حلقة من حلقات
هذه الحرب التي تستهدف عزل
المسلمين عن الحقيقة وإبعادهم عن
الطريق الصحيح والصراط الواضح الذي
يحاولون التمسك به.

وقد بحثت الصحيفة المذكورة في
سلسلة مقالاتها تلك أوضاع الحركات
الاسلامية في البلدان العربية، واعتبرت
أن الجمهورية الاسلامية هي المحرك
الاساسي لتلك الحركات، وضمن بحث
المساء لأوضاع الجزائر ومصر وتونس
والسعودية وعمّان والبحرين والعراق
وسوريا، رأت الصحيفة أن وجود أتباع
أهل البيت عليهم السلام في تلك البلدان

من أنباء القرني

لها أساساً في مصادرهم، ودعوى تكفير المسلمين السنة، في الوقت الذي يوجب الشيعة شرعاً الدفاع عن المسلمين في كل مكان مهما كان مذهبهم، وما دفاعهم عن المسلمين في كشمير والهند وأفريقيا والبوسنة والهرسك وآسيا الوسطى وفلسطين والجزائر ومصر وغيرها إلا دليل دامغ لأصحاب هذا الادعاء.

ثم كيف تنتزع هذه الصحيفة من المادة الثالثة عشرة^١ من الدستور الاسلامي في ايران أن المسلمين السنة هم كالأقليات الأخرى؟! وانه لو قامت حكومة على المذهب السني في الجزائر فسوف تحاربها؟! مع العلم ان ضمن اعضاء مجلس الشورى الاسلامي الايراني مجموعة من علماء المسلمين السنة، كما ان المذاهب السنية هي الاساس في الاحوال الشخصية والتعليم وامثاله في المناطق الايرانية ذات الاغلبية السنية، وذلك بنص المادة الثانية عشرة

جعل الثورة الاسلامية في إيران تؤثر تأثيراً بالغاً على شعوب تلك المنطقة، وتضيف هذه الصحيفة: إن انتصار الثورة الاسلامية في إيران أدى إلى ازدياد انتشار التيار الاسلامي في آسيا بأسرها. وتعتبر أن المذهب الشيعي هو أخطر المذاهب الاسلامية وتقول: إن السبب في ذلك هو أنه يرى أن مقام الامام أرفع من مقام الانبياء والملائكة، وأن أتباعه يعتقدون أن الوحي ينزل على الامام إلى يوم القيامة.

ولم تكن صحيفة المساء هي الاولى والوحيدة التي تكيل الافتراءات على عقائد الشيعة، والواقع ان ما قامت به هذه الصحيفة ليس إلا نوعاً من الاستغناء للقراء، وإلا فإن عقائد الشيعة أصبحت معروفة وواضحة في اغلب مناطق العالم وخصوصاً الاسلامية منها، ومن أبرز مصاديق هذا الاستغناء فرية نزول الوحي على الامام في عقائد الشيعة التي لا نجد

(١) نص المادة الثالثة عشرة من دستور الجمهورية الاسلامية في ايران: «الاييرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الاقليات الدينية المعترف بها، وتنمتع بالحرة في اداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون. ولها ان تعمل وفق قواعدها في الاحوال الشخصية والتعاليم الدينية».

في الدستور الاسلامي الايراني^١. يطاع.

وهكذا شأن بقية الافتراءات والاتهامات الباطلة التي ذكرتها صحيفة المساء الجزائرية.

وتضيف : أن إمام الشيعة عندهم يمتلك قدسية علم الغيب ونزول الوحي والعصمة، وأن الملائكة ما تزال تهبط بالاعبار عليه، وأن الشيعة يؤكدون على وراثة الارض من قبل الامام الغائب، ويرون أن التوسعية التي يسمونها تصدير الثورة أمر مشروع.

وتستمر الصحيفة بتوجيه التهم الباطلة والافتراءات الواهية إلى الشيعة وتقول إن الشيعة يرون أن أنظمة الحكم الموجودة على قسمين :

١ - نظام الامام العادل الذي يجب أن

٢ - نظام الحكم الظالم الذي يجب على الناس أن يقوموا ضده.

وتصل الصحيفة في حملتها المسمورة إلى هذه النتيجة : إن الجمهورية الاسلامية الآن وبلاستفادة من هذا الاصل الارهابي تشجع الارهاب في كثير من الدول ومن جملتها الجزائر، وتدعي «المساء» أن الشيعة يكفرون السنة ويعتبرونهم غير مسلمين، وتقول : إذا قامت في الجزائر حكومة على المذهب السني فإن الجمهورية الاسلامية سوف تحاربها وذلك لأن المادة الثالثة عشرة من القانون الايراني تعتبر أن أتباع المذاهب الاسلامية الاخرى كالأقليات الدينية غير الاسلامية

(١) الدين الرسمي لايران هو الاسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشري، وهذه المادة تبقى إلى الابد غير قابلة للتغيير.

وأما المذاهب الاسلامية الاخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فانها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسيمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والارث والوصية) وما يتعلق بها من دعاوى في المحاكم.

وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالاكثريّة، فإن الاحكام المحلية لتلك المنطقة - في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية - تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الاخرى.

من اليهود والمسيحيين وغيرهم.

وتعتبر الصحيفة أن تصدير الثورة أصل استراتيجي بالنسبة للجمهورية الإسلامية وتقول: إن الشيعة يرون أن الأرض للامام الغائب وأن التصرف في الأماكن التي هي للامام جائز، وتضيف: إن نفوذ الجمهورية الإسلامية في أفغانستان ولبنان والدول العربية الأخرى دليل على نشاطها السياسي والتبليغي في تلك البلاد، وقد أصبحت الأقليات الشيعية قوية الآن بفعل الدعم والمساندة التي تحظى بها من الجمهورية الإسلامية. وهذا الهجوم الإعلامي الواسع ضد الحركات الإسلامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام والجمهورية الإسلامية إنما هو جزء من المخطط الاستكباري للقضاء على الصحة والفصل بين الحركات الإسلامية ومؤيديها لإضعاف قوتها وكسر شوكتها.

وعلى الرغم من أن بعض الصحف الجزائرية الشعبية المؤيدة للتحرك الإسلامي قد قامت بالرد المناسب على

الحملة الإعلامية التي تقودها الحكومة الجزائرية إلا أن الصحف الرسمية ما زالت مستمرة في بث إدعاءاتها المعادية للإسلام والمشوّهة للحقائق والناصرة للفكر الكافر ضد الإسلام والمسلمين.

ومن المضحك أن تخرج للساحة في الآونة الأخيرة دعاية جديدة طرحها الاستكبار على أذنا به ليطلبوا ويمزقوا بها وتلخص هذه الدعاية المضحكة بأن الحركات الإسلامية التي يسمونها «الاصولية» ما هي إلا نتاج العقيلة الغربية، وهي غرس الاستعمار الجديد في المنطقة ليتمكن من خلالها من فرض سيطرته على الأوضاع وضمان مستقبله. وفي هذا الصدد يقول «الساسى العمودي» وزير الشؤون الدينية الجزائري: إن الاستعمار يسعى الآن ليشعل الفتنة، فهو يغرر بالشباب الجهلة ويسلّحهم بالاصولية، ويطلقهم في الدول الإسلامية كالقنابل المؤقتة القابلة للانفجار.

فالاستعمار يريد التخلص من أذنا به

وعملائه الفارقين في وحل العمالة له
والبائعين أنفسهم وكراماتهم في خدمته
بواسطة أعدائه «الاصوليين» الذين
يزرعهم في المنطقة - على حد زعمهم -
في الوقت الذي يحرض أذنا به للقضاء
عليهم بكل الوسائل غير المشروعة
والطرق الارهابية الدولية تحت شعار
القضاء على الارهاب ومكافحة الجريمة.
ويواصل نظام الحكم في الجزائر
حملته الشعواء ضد أبناء الاسلام لا
شيء إلا لأنهم حققوا فوزاً في
الانتخابات الامر الذي يدل على مدى
تأييد الشعب لهم ورفضه لجهاز الحكم.
وبدل أن يتخذ النظام الخطوة السليمة
والصحيحة، سار في الطريق المعاكس
خاضعاً لما يمليه عليه أسياده من
مواقف، فارتكب أبشع الجرائم بحق
أبناء الاسلام الجزائريين ومارس معهم
أقسى أنواع التعذيب والتقتيل.

وفي هذا المضمار أصدرت منظمة
العفو الدولية «Amnesty
International» بياناً قالت فيه إن

حالات التعذيب وخرق حقوق الانسان
أصبحتا منتشرين بشكل واسع في
الجزائر منذ فرض حالة الطواريء في
البلاد قبل عام.

وقالت : إن تسعة آلاف شخص
اعتقلوا من فبراير ١٩٩٢ م في معسكرات
الصحراء من دون محاكمة أو توجيه
اتهامات. وأضافت ان نحو ٣٠٠ شخص
قتلوا على أيدي رجال الامن، لكنها قالت
إن عدداً لا بأس به من هؤلاء يبدو أنه
بريء قتل عمداً لمخالفته حالة الطواريء
المفروضة على البلاد.

وكردة فعل على الاعمال الاجرامية
التي تمارسها الحكومة ضد أبناء الشعب
الجزائري اضطر المسلمون الجزائريون
إلى انتهاج أسلوب العنف المقابل ضد
عناصر الدولة ورجال أمنها وجيشها. فقد
لقي الوزير الجزائري السابق ومدير
الدراسات المستقبلية (الجيلالي اليابس)
مصرعه يوم الثلاثاء ١٦ / ٣ / ١٩٩٣،
وفي نفس اليوم تمكن مسلحون من قتل
وزير الرياضة الجزائري، وتم في اليوم

من أنباء القرني

العامّة، تحت طائلة فرض العقوبات التي تصل الى حد الفصل من العمل.

وحظر التعميم الذي وُصف بأنه «نص استثنائي» ارتداء «كل زي أو لباس أو شعار من شأنه أن يعبرَ جهاراً عن الانتماء إلى تيار ايديولوجي أو سياسي أو ديني». ويهدف التعميم إلى منع الثوب الابيض الطويل واطلاق اللحي التي يتميز بها عادة أنصار الجبهة الاسلامية للانقاذ، وكذلك اللباس الذي يرتديه المجاهدون الافغان الذي أدخله الاسلاميون إلى الجزائر.

وانتقدت الصحف الجزائرية الزي المستورد من الشرقيين الاوسط والاقصى الاسلاميين الذي بدأ يحل محل اللباس التقليدي الذي ترتديه النساء في بلدان المغرب العربي مشيرة بذلك إلى الحجاب الاسلامي الذي ترتديه النساء المسلمات.

وتأتي جميع هذه الاجراءات التعسفية للدلالة على مدى الحقن الاعمى الذي يحمله هؤلاء الحكام ضد

الثاني القضاء على عضو المجلس الاستشاري الجزائري المدعو فليسي، واستطاع مجهولون قتل «سن حضري» أمين وزارة التكوين المهني الجزائري.

ويؤكد اغتيال حضري وغيره من مسؤولي الدولة أن الجماعات المسلحة تختار المستهدفين لدورهم البارز في الوقوف بوجه الحرية والديمقراطية، فالمدعو «سن حضري» عضو في المجلس الاستشاري، وكان ناطقاً رسمياً باسم اللجنة التي تشكّلت بعد الدور الاول من الانتخابات التشريعية، ودعت

إلى إيقاف المسار الانتخابي وإلغاء الانتخابات بعد فوز الجبهة الاسلامية للانقاذ في الدور الاول، كما وتستمر الحكومة الجزائرية في حملتها العدائية ضد الاسلام والمسلمين، وتحاول القضاء على كل ما يمت إلى الاسلام بصلة من مظاهر اسلامية، فقد حظر تعميم وزاري نشرته الصحف الجزائرية ارتداء الملابس التي يرتديها الاسلاميون عادة في الادارات الجزائرية والمؤسسات

الاسلام ومظاهره وشعاراته، ومقدار تخوفهم من أبسط تلك المظاهر التي يتصورون أنها العفريت أو المارد الذي يجب خنقه في القمقم قبل أن يتمكن من الانطلاق.

ذكرت مجلة الرواسي الجزائرية في عددها الرابع الصادر في جمادى الثانية - رجب / ١٤١٢ هـ في مقال تحت عنوان «عبد الله بن سبأ الأكذوبة الكبرى في التاريخ الاسلامي» أن موضوع «ابن سبأ» ليس بالموضوع الجديد الذي لم يتطرق إليه الباحثون، فهو من المواضيع التي اهتم بها دارسو التاريخ الاسلامي في إطار الحرص على إعادة النظر في تاريخنا الاسلامي وإعادة تقييم بعض رواياته وتنقيته ما أمكن مما يشوبه من روايات موضوعة أو مفسوسة.

وفي هذا الخصوص ذهب الدكتور عبد العزيز صالح الهلابي الاستاذ في قسم التاريخ في جامعة الملك سعود في دراسته التحليلية إلى أن «ابن سبأ

شخصية وهمية ليس لها وجود». وأضافت المجلة : أن ما يهنا هنا هو محاولة التعرف على الاكذوبة الكبرى في تاريخنا الاسلامي المتمثلة في «عبد الله بن سبأ» ودوره المزعوم في الفتنة وما أدخله سيف بن عمر التميمي من أكاذيب على التاريخ الاسلامي منطلقاً من تعصبه كدافع رئيسي وزندقته وانحرافه، ثم مقتته للامام علي بن أبي طالب عليه السلام ومحاولته الحط من كل من شايعه.

ثم تتطرق المجلة إلى الرد على هذه الدعوى الباطلة بما يلي :

١ - انفراد سيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٨٠ هـ من بين قدامى الأخباريين والمؤرخين المسلمين بذكر عبد الله بن سبأ في رواياته.

٢ - كل الرواة والأخباريين المتقدمين على سيف والمعاصرين له، لم يرد في أخبارهم ورواياتهم وكتبهم أي ذكر لعبد الله بن سبأ ودوره في الاحداث.

٣ - يروي سيف القصة الرئيسية لابن

سبأ ودوره بهذا الاسناد «سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي». والباحث السعودي الدكتور الهلابي يذهب إلى أن عطية هذا هو عطية بن الحارث الهمداني، شخصية حقيقية، لكن سيف يروي عنه أخباراً لا يمكن تصنيفها خارج إطار الاساطير والاسرائيليات، أما عن يزيد الفقعسي فشخص نكرة لا وجود له.

٤- روايات سيف عن عطية ثلاث :

الاولى : عن احداث سنة ٣٠ هـ عن ورود ابن السوداء على الشام وتحريضه لأبي ذر الغفاري أن يخلق المشاكل لمعاوية.

الثانية : عن احداث سنة ٣٣ هـ، قدوم ابن السوداء البصرة وإعلانه لواليتها ابن عامر أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام فطرده ابن عامر إلى الكوفة، ثم طرد من الكوفة واستقر في مصر يكتب أهل البصرة والكوفة ويكاتبونه، وتختلف بينهم الرجال.

الثالثة : عن احداث سنة ٣٥ هـ، ملخصها أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً

من صنعاء، أمه سوداء، أسلم زمان عثمان، وتنقل بين الحجاز والبصرة والكوفة، والشام ثم حاول في مصر التفرير بعمار بن ياسر رسول عثمان إلى مصر في رواية سيف. تم نجاح ابن سبأ في عزل عمرو بن العاص وتولية عبد الله بن سعد في سنة ٣٥ هـ.

ثم تناقش المجلة بعض تلك التناقضات بما يلي :

إن حادثة ابي ذر وقعت سنة ٣٠ هـ عند سيف، على حين يناقض نفسه في روايته الثانية ويذكر ان ابن سبأ لم يدخل الاسلام إلا بعد ثلاث سنوات من إمارة عبد الله بن عامر، أي بعد سنة ٣٣ هـ، وهذا يعني كما قال الدكتور الهلابي : «إن قصة علاقة عبد الله بن سبأ بأبي ذر مختلفة من أساسها، وإن الهدف من اختلاقتها هو الطعن بأبي ذر وتصويره إمعة يغرر به يهودي حاقد على الاسلام». بينما يجمع المؤرخون - والقول للمجلة - أن أباذر بدأ نقده لعثمان في المدينة في مرحلة مبكرة، وإذا كان

أبو ذر عندما أبدى كعب الاحبار رأيه في مجلس الخليفة عثمان في أمر من أمور الدين شتمه قائلاً : وما يدريك يا ابن اليهودية، فكيف يعقل أن يملي عليه عبد الله بن سبأ أفكاره في أمور الدين والدنيا؟

كما أن ابن سبأ - حسب رواية سيف - لم يظهر على مسرح الأحداث إلا في سنة ٣٠ هـ، وسنة ٣٢ هـ في البصرة، وفي مصر سنة ٣٥ هـ، بينما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر سنة ٢٧ هـ أي قبل قدوم ابن سبأ إليها بثمان سنوات.

وغيرها وغيرها من التناقضات التي حيرت كل باحث متجرد في تاريخ الاسلام.

وتواصل المجلة القول : ويكفي أن الدكتور الهلابي بعد استعراضه لعشرات التناقضات خلص إلى القول : «والذي أذهب إليه إن تأليف سيف بن عمر التميمي لهذه الرواية - أي ابن سبأ ودوره - ليس إلا من قبيل الهجوم المضاد ضد الشيعة في عصره وقبل عصره، إلى

أن يقول : وعلى أي حال فسيف أراد طعن الشيعة في الصنيم وذلك بنسبة مذهب التشيع إلى يهودي حاقد على الاسلام».

فكلما ورد في تاريخنا الاسلامي من روايات سيف بن عمر وروايات كتب الفرق المعتمدة عليه عن ابن سبأ غير صحيح. وابن سبأ لا يعدو عن كونه شخصية وهمية، والدور المنسوب إليه في خلق وتسيير أحداث الفتنة هو دور مزعوم اختلقه التميمي الزنديق صاحب الاساطير والخرافات اللا محدودة التي أدخلها على التاريخ الاسلامي، وصاحب التهويلات في أخبار الردة التي لم ترد عند غيره وصاحب المبالغات في الفتوحات الاسلامية والتحريف والتشويه والافتراء، الذي خالف كل سابقه ومعاصره من الرواة والاخباريين، وحير من بعده ممن نقلوا عنه ووقفوا على مفترياته، وإن كان قد أرضى أصحاب الاهواء بما أضفى على التاريخ من مسخ وتشويه يتناسب مع ما

من أنباء القرني

يريدون طرحه من أفكار ومرتكزات لبث
الفرقة والتناحر والصدام بين المسلمين.

ومن الغريب بعد كل هذه الأدلة على
بطلان هذه الأكذوبة والافتراءات التي
نسبت إلى أتباع أهل البيت بناءً على
تصديق البعض بها تحاول الحركة
الوهابية في الآونة الأخيرة - بعد افتضاح
أمرها وانكشاف زيفها وزيفها - القرع
على طبول مثقوبة لإحداث ضوضاء
فكرية ليس إلا بعد أن أدركت انها عاجزة
عن مواكبة المد الإسلامي الأصيل،
والفكر المحمدي الخالص المتمثل
بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وعقيدة
أتباعهم.

ومن هذه المحاولات اليائسة
والبائسة العودة إلى نبش قبور التيه
والزندقة، واستخراج جثث التاريخ
المتعفنة التي قبرتها أقلام الواعين من
الكتاب والباحثين.

فلقد صدرت مؤخراً رسالة جامعية
لنيل شهادة الماجستير من جامعة محمد
بن سعود في الرياض تحت عنوان

«عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة
في صدر الاسلام» لكتابتها سليمان بن
أحمد العودة.

وتجيء هذه السفسطات الكلامية في
هذا الزمن الذي تفتحت فيه العيون على
بريق التزييف الخادع، وانقشعت عن
العقول غيوم التعصب.

إن المستشرقين ليسوا أول من نبه
إلى زيف عبد الله بن سبأ وكذب وافتراء
سيف، بل سبق المستشرقين في ذلك
رجال الحديث والمؤرخون. كما أن
التشكيك بعبد الله بن سبأ وسيف لم
يكن صادراً عن أتباع أهل البيت عليهم
السلام فقط، بل لقد اتضح الحق لغيرهم
من الباحثين المخلصين لدينهم وللتاريخ
وللإنسانية، ولقد تصدّى لهذه المسألة
باحثون من المذاهب الإسلامية الأخرى
فأثبتوا بطلانها، وأنها قضية مفتراة على
اتباع أهل البيت وأئمتهم عليهم السلام،
تحاول تشويه الشخصيات الإسلامية
الحقيقية من أمثال أبي ذر الغفاري وعمار
بن ياسر رضوان الله عليهم الذين وردت

بحقهم وفضلهم الاحاديث الشريفة عن الرسول صلى الله عليه وآله أثبتتها جميع المسلمين في كتبهم الروائية والحديثية.

الصومال

تغير تدخل القوى متعددة الجنسيات في الصومال بقيادة أمريكا وبمباركة الامم المتحدة إلى حرب حقيقية بين أبناء الشعب الصومالي العزل وبين القوات الدولية التي تزعمها مثيرة الفتن والحروب وعقل الارهاب العالمي أمريكا.

وقد احتلت القوات الأمريكية والفرنسية والانجليزية الصومال تحت عنوان «إعادة الامل» حيث تعرض الشعب البريء في هذا البلد الفقير الذي يمرّ بمجاعة قاتلة إلى مجازر عامة عدة مرات مما أدى إلى اتساع رقعة الصراع فيه.

وقد أدت العمليات الاخيرة التي تُنفذ بقيادة أمريكا وتأييد منظمة الامم المتحدة إلى ازدياد نفور الشعب

الصومالي من منظمة الامم المتحدة التي أصبحت متهمة من قبل الافارقة بالتواطؤ مع القوى الكبرى لتنفيذ سياساتها الاستكبارية. ولم تؤدّ العمليات المذكورة إلى نتائج سوى قتل الابرياء وإراقة ماء وجه منظمة الامم المتحدة التي تخلت عن مصداقيتها بصفقتها المحامي والمدافع عن الشعوب المظلومة وتحولت إلى أداة طيعة لتأييد وتبرير الاعمال الاجرامية للدول الظالمة.

وخير دليل على ذلك هو التظاهرات التي أقامها الشعب الصومالي للتعبير عن رفضه واستنكاره الشديد ضد أمريكا ومنظمة الامم المتحدة بالقرب من مقرها في العاصمة مقاديشو، وتعرض فيها المتظاهرون لهجوم القوات الدولية فقتل أحد المتظاهرين واعتقل ١٠٠ شخص أودعوا في مقر السفارة الامريكية في الصومال.

وقد نشرت منظمة الامم المتحدة تقريراً للمستشار السياسي الخاص للامين العام للمنظمة، كشفت فيه عما

تسميه الواقع للمذابح التي جرت مؤخراً، وقد اشتمل التقرير على تبريرات كثيرة لتلك الاعمال الوحشية: منها:

١- وجود إذاعات محلية تبث برامج ضد القوات الامريكية المشاركة في القوات الدولية التي احتلت العاصمة مقاديشو، وإن وجود هذه الاذاعات مبرر مناسب لقصفها من قبل الطائرات الحربية الامريكية.

٢- ان المذابح التي حدثت ما هي إلا نتيجة للخلاف الدائر بين الفصائل الصومالية المتحاربة وليس من قبل القوات الدولية والامريكية، وذلك لتبرئة الامم المتحدة من هذه الوصمة.

ولكن على فرض ذلك وأن الهجوم الاخير لقوات الامم المتحدة بقيادة القوات الامريكية كان لأجل مقابلة الجنرال «فرح عديد» فإنه كيف يبرر إطلاق النار على المدنيين العزل في مقاديشو، والهجوم على الاماكن العامة من قبل جنود الامم المتحدة على المتظاهرين وبلا سابق إنذار؟

ولقد تظاهر في العاصمة الصومالية مقاديشو أكثر من ألفي مؤيد للجنرال «عيديد» اعتراضاً على التواجد الامريكي والدولي تحت غطاء الامم المتحدة، وقد حلقت فوق التظاهرات ثلاث طائرات حربية أمريكية فغضب المتظاهرون وكانوا يلوحون بقبضاتهم نحو السماء دليلاً على غضبهم.

ولقد كانت اللافتات التي يحملها المتظاهرون الشباب والنساء تحمل شعارات: أن أمريكا هي سبب الحرب في الصومال، ويكفي هذا الحمام من الدماء. وسأل المتظاهرون المراسلين الذين كانوا يتابعون الاحداث، هل جاءت منظمة الامم المتحدة إلى الصومال للقتل؟ وقال أحد المتظاهرين رداً على التصريح باعتقال «عيديد» بأننا سوف نعتقل «هاو».

وذكرت وكالة أنباء الجمهورية الاسلامية أن الكيان الصهيوني شارك في المذابح التي ترتكب بحق الشعب الصومالي. فقد ذكرت التقارير أن

أخرى إلى الصومال حيث كانت هذه السفن في منطقة الخليج.

❏ منظمة المؤتمر الاسلامي

نشرت صحيفة الشرق الاوسط في عددها ٥١٩٢ مقالاً بعنوان «فتوى أفادت الخصم وأضرّت بالاسلام» لكتابه بكر عويضة، وذلك بمناسبة التطييل والتهويل الاعلامي الغربي (والبريطاني على وجه الخصوص) حول سلمان رشدي.

وقد عقب مندوب الجمهورية الاسلامية في إيران في منظمة المؤتمر الاسلامي على تلك المقالة بالقول: لا بد من وضع النقاط على الحروف، وقد تنفع الذكرى:

١- كما إن تدخّل غير الاخصائي في الطب لمعالجة الامراض لا يستسيغه العقل السليم، فكذلك الادلاء بدلو في شأن الفتاوى الدينية يحتاج إلى تهئية مقدمات ودراسات وكفاءات علمية.

٢- لم يكن الاسلام في يوم من الايام يخشى أعداءه الفكريين، وهو الدين

الموساد الاسرائيلي والاستخبارات العسكرية الصهيونية قد شاركت في قتل المئات من المسلمين الصوماليين، حيث وصل ٣٥ شخصاً بارزاً من الكيان الصهيوني إلى العاصمة مقاديشو قبل بدء العمليات الاخيرة هناك.

وجاء في تقرير نشرته جريدة الشعب المصرية أن الخبراء العسكريين الاسرائيليين كانوا قد أعدوا خارطة جغرافية وخطة هجومية شنت القوات الامريكية بمقتضاها هجومها على ابناء الشعب الصومالي.

وقد طلبت القوات الامريكية من بعض الدول العربية السائرة في ركاب الاستكبار العالمي تقوية الاحزمة الامنية التي خططت لاجرائها في القرن الافريقي، وإن العمليات الامريكية هناك ما هي إلا مقدمة للهجوم على عدة دول في المنطقة عندما تقتضي المصلحة الامريكية ذلك.

وقد قررت وزارة الدفاع الامريكية «البتاغون» إرسال أربع سفن حربية

من أنبتك الفري

الإلهي المستند إلى قوة ومتانة المنطق الرباني، والمتناسب مع الفطرة البشرية السليمة، لكن المغالطة في المقال كانت في تصور أن الكتاب سيء الصيت هو بضع صفحات لكاتب أراد الشهرة، فهل يخشى الاسلام العظيم تلك الصفحات؟ ونسأل الكاتب هل كان يسمح لأحد «يحب الشهرة» أن يفترى على زوجته أو أقربائه في بضع صفحات يوزعها هنا وهناك؟ ولا نشك في عزته وغيبرته، فكيف بمن سب نساء النبي صلى الله عليه وآله اللاتي هن أمهات المؤمنين؟

لم يكن السباب والفحش والافتراء والاستهزاء والاستخفاف يوماً ما فكراً ليصان، أو حرية لتحفظ، أو حقاً ليدافع عنه. وما هي كتب العلماء والمفكرين الاسلاميين في ردّ الشبهات حول الاسلام، والمنازلات الفكرية لدحر الافكار الالحادية والزندقة.

وقد كان الامام جعفر الصادق عليه السلام ينازل أصحاب الافكار والاديان الاخرى وينظرهم، ولكن حدود الفكر لا

يدخلها السباب والشتائم والاستهانة والافتراء.

٣- إذا كان الكاتب يحس ويكابد في بلاد الغرب من الهجمة الاعلامية الشرسة على الاسلام والمسلمين، ويتصور أن هذه الفتوى هي السبب، فلا بد من توضيح ثلاث نقاط هي:

أ- إن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية لا يستتقض بمخالفة وتشويش أعداء الاسلام.

ب- إن الهجمة الاعلامية والغزو الفكري المبرمج لدين المسلمين ليس بجديد، وإنما تصاعد بعد تصاعد الصحوة الاسلامية.

ج- إن تلك الفتوى وفتاوى كبار العلماء في العالم الاسلامي المشابهة لها (لأن جذور التشريع الاسلامي في العالم كله واحدة) قد عززت من إحساس المسلم بشخصيته وكرامته، بدلاً من البقاء على حافة التاريخ المعاصر، مهان الشخصية مداس الكرامة.

٤- كانت الامة الاسلامية ولا تزال

على استعداد للحوار الفكري والثقافي والحضاري على أسس علمية متينة مع أهل الفكر والعلم من العالم الغربي، كما كانت على استعداد لبيان الحقائق الفلسفية والاجتماعية الإلهية لأرباب الشرق قبل انهيار الاتحاد السوفيتي. ونعتقد أن مفكري أمتنا لهم القدرة والكفاءة اللازمة في هذا المجال بشرط عدم الاستهانة بالمقدسات.

٥- نذكر بأن تلك الفتوى لم تكن آتية من فراغ، ولم تبق الوحيدة في العالم، فقد جاء إعلان رقم 89 - 18 N.F.M للمؤتمر الاسلامي الوزاري الثامن عشر الذي عُقد في الرياض سنة ١٩٨٩ م باعتبار الكاتب المذكور مرتدًا، وطلب من جميع الدول العمل على حظر الكتاب ونسجه من التداول، والتصدي لمحاورات التجديف بحق الاسلام وسب الشخصيات الاسلامية.

كما جاء في قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية رقم ث - ١٩ / ٢١، المنعقد في القاهرة عام ١٩٩٠ م

(إدانة المواقف الفردية والحكومية التي تؤيد بأي نحو كان أي إهانة موجهة لمقدسات الاديان السماوية). وأكد أنه «باجماع علماء المذاهب الاسلامية يُعد أي سب أو استهزاء أو استخفاف بأنبياء الله العظيم والكتب المنزلة والقرآن الكريم والرسول الأكرم وأهل بيته الطاهرين وصحبه الكرام من أشد المحرمات ويعتبر القائمون بذلك مرتدين».

ثم أكد وزراء خارجية الدول الاسلامية في اجتماعهم العشرين في القرار رقم ث - ٢٠ / ٢٨، المنعقد في استانبول بتاريخ آب / ١٩٩١ م ما جاء في القرارات والبيانات السابقة. وبعدها جاء اجتماع القمة الاسلامية في السنغال ليؤكد من جديد كل المضامين الواردة في البيانات والقرارات لوزراء الخارجية واتخاذ السبل الكفيلة لتدوين اتفاقية دولية لضمان احترام المقدسات والقيم، وتقديم تقرير إلى المؤتمر المقبل لوزراء الخارجية، وكان ذلك بتاريخ كانون

الاول / ١٩٩١ م بقرار رقم ث - ٦ / ٣
ق ١٠.

٦ - وأكدت تلك المضامين أيضاً
اجتماعات المجمع الفقهي الاسلامي
التابع لرابطة العالم الاسلامي في سنة
١٩٨٩ م، وأصدر العلماء فتاواهم القيمة
في هذا الصدد.

فهل إن هؤلاء العلماء والمفكرين
والشخصيات ذات المواقع القيادية في
عالمنا الاسلامي جميعها لا تدرك ما وراء
الأكمة ؟ ولا تدري هذه الجموع النوعية
ما سيواجه هذا الموقف من هجوم
إعلامي غربي على الاسلام والمسلمين ؟
٧ - لم تكن الوسائل الاعلامية منفكة
عن تصوير العرب والمسلمين بأبشع
الصور، خاصة إن ما يغذيها هو حقد
الصهيونية الأعمى على المسلمين، أما
أصحاب العقول النيرة من المفكرين
ورجال العلم ورجال اللاهوت الكنسي
فإنهم يفهمون اللعبة جيداً، وقد أراحوا
الستار في مواقع، لكن الجلبة والضوضاء
الاعلامية تغطي اليوم على أصوات

المقلاء في الغرب. وشمعة في الظلام
خير من تمام الظلام، وإن صوت الحق
سيعلو إن شاء الله تعالى.

السعودية

عبد العزيز بن باز يجدد تأييده ودفاعه عن
الحكومة

مسند أن انحرف مسار الخلافة
الاسلامية واستحوذت عليه العناصر
البعيدة عن الاحكام الإلهية والحاكمة
بغير ما أنزل الله، سعت تلك العناصر إلى
تلميع صورتها وإضفاء الشرعية عليها،
وجندت تلك الحكومات أشخاصاً باسم
الدين وعلمائه ليقوموا بالمهمة الموكلة
إليهم، وتبرير مواقف الحكام المخالفة
للشريعة بالقول الذي ظاهره الحق والذي
لا يستبطن إلا الباطل كما وصفه أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
بقوله «كلمة حق يراد بها الباطل».

وهؤلاء الذي أطلق عليهم اسم
«وعاظ السلاطين» ممن ينسبون أنفسهم
إلى الدين وعلمائه موجودون في كل

زمان ومع كل حاكم منحرف عن جادة الصواب، يزئنون الباطل للناس، ويكتمون الحق الذي أمر الله به أن يذاع.

فقد جدد الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والافتاء والإرشاد تأييده للنظام السعودي ودافع عنه وذلك في مقابل حملة النقد والتشكيك التي يتعرض لها النظام من الجماعات الإسلامية والقاعدة الدينية التي يستند عليها في تحصيل المشروعية.

فقد نشرت الصحافة السعودية نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية (واس) في العشرين من أبريل الماضي دعوة الشيخ بن باز منتقدي الحكومة من طلبة العلوم الدينية إلى التعاون مع ولاية الأمر وإصلاح الأوضاع لأن ذلك «من أعظم وسائل النصح والقضاء على أسباب الشر».

ودعا رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذين يتعرضون لنقد شديد بسبب أساليبهم الخشنة في الدعوة - على حد تعبيره - دعاهم إلى

استخدام الأسلوب الطيب والنصح حتى يقبل منهم وحتى يصلحوا أكثر مما يفسدون.

والمعنيون بهذا الكلام هم رجال الهيئات الذين يقفون بوجه تصرفات النظام الخارجة عن الإسلام والذين ينتقدون بعنف مواقف النظام ويريدون توسيع صلاحياتهم فيما يعتبرونه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. وقد دعاهم بن باز إلى أن يكونوا مترئين في نظرهم للأوضاع ولا يركزوا على الجوانب السوداء والسلبية في مواقف العائلة المالكة ويتركوا الجانب الإيجابي فيها. وقالت مجلة اليمامة السعودية في شرحها لكلام الشيخ ابن باز:

«إن إثارة الناس وتشكيكهم في أنظمتهم السياسية والاجتماعية القائمة هو أهم معاول هدم استقرار المجتمعات الإسلامية ودفعها للتناحر والتصارع حول قضايا انصرافية». والذي تقصده تلك الصحيفة من المجتمعات الإسلامية هو المجتمع السعودي دون غيره، والانظمة

الخروج على ولاية الامور وشق العصا إلا إذا وجد منهم كفر بواح ... لأن خروجهم يضرّ الناس ويُفسد الامة ويوجب الفتنة والقتل بغير الحق».

التمييز الطائفي في السعودية

أصدرت رابطة عموم الشيعة في السعودية كتاباً جديداً تحت اسم «التمييز الطائفي في السعودية» لمؤلفه محمد عبد المجيد، ويتحدّث الكتاب عن حالة الاضطهاد الطائفي في المملكة، ويرصد الاعتداءات الطائفية ضد المواطنين الشيعة، حيث يرى الكاتب أن القوى السياسية هي صاحبة المصلحة في إشعال نار الأزمة الطائفية، وهي التي عملت على إشعال هذه الحرب وتغذيتها بشتّى الوسائل، كما يؤكد الكاتب أن مشكلة الطائفية في جوهرها أو في حركتها وعواملها وأشكالها ليست مسألة دينية محضة إلا أن الدين يستثمر فيها لأغراض دنيوية وسياسية.

ويركز الكتاب على حالات الاضطهاد

السياسية هو نظام الحكم القائم هناك وليس غيره. وقالت الصحيفة المذكورة: «إن الشيخ بن باز حذر مراراً وتكراراً من الاشاعات - الاتهامات ضد الحكومة - التي يستداولها الناس دون سند - أو مصداقية تعتمد عليها - ولفت الانتباه إلى خطورة عدم التثبت من المعلومات، مؤكداً أن أحد عناصر تشويه الاسلام وزعزعة استقرار المجتمعات هو إثارة الفتن والنعرات وغرس الشكوك وزعزعة ثقة المسلمين بولاية أمورهم، مما يدفع المجتمعات الاسلامية نحو فوضى عارمة واضطرابات اجتماعية وسياسية مدمرة.

وفي جواب لابن باز عن سؤال وجّه إليه عن طاعة أولي الامر وهل هم العلماء أم الحكام، حتّى ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم قال: «أولوا الامر العلماء والامراء، العالم يبيّن حكم الله والامير ينقّذه» وأوضح بن باز الضرر المتأتّي من عدم الطاعة وقال: لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا، ولا يجب

الطائفي كإصدار فتاوى التكفير وكتب التجديف وعلاقة هذه الاصدارات بالنظام السياسي، كما يركز على حالات الاضطهاد التي يتعرض لها المواطنون الشيعة في المملكة باعتبارهم «شيعة» كاعتقال ومصادرة الحريات.

تقرير صحفي عن إقامة مراسم البراءة من المشركين في مكة المكرمة بعد أن منعت السلطات السعودية إقامة مراسم البراءة من المشركين في اليوم السادس من ذي الحجة لعام ١٤١٣ هـ.ق، أقيمت هذه المراسم يوم الحادي عشر منه بدعوة من ممثل ولي أمر المسلمين ورئيس بعثة الحجاج الإيرانية في مقر البعثة في منى.

وقد بدأت هذه المراسم في الساعة السابعة والنصف مساءً بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، ثم قرأ آية الله الشيخ مصباح اليزدي مقاطع من رسالة قائد الثورة الاسلامية إلى حجاج بيت الله الحرام، وقرئت بعدها الترجمة العربية

للمرسالة، ثم تكلم بالمناسبة ممثل ولي أمر المسلمين رئيس البعثة حجة الاسلام والمسلمين محمدي ري شهري وقال : كان من المفروض إحياء ذكرى الامام الخميني الراحل في هذه الليلة، ولكن بسبب منع السلطات السعودية من إقامة مراسم البراءة من المشركين هذا العام فقد قررنا إقامتها هذه الليلة في هذه البقعة الشريفة وفي أرض البراءة ورجم الشياطين.

واستطرد يقول : إن الشرك هو الاعتقاد بقدرة وهمية غير الله سبحانه وتعالى، والاستكبار العالمي والحكومات الطاغوتية هي مظاهر من تلك القوى الوهمية وهي أصنام هذا العصر التي ينبغي تحطيمها.

وقال : إن أساس المصائب التي يعاني منها العالم الاسلامي في هذه الحقبة هي إرادة التسلط عند القوى الاستكبارية وعلى رأسها أمريكا الفاسدة والشيطان الاكبر. وإن ما يعانيه مسلمو البوسنة والهرسك وفلسطين والعراق وجنوب

لبنان ومصر والجزائر وكشمير والصومال وفي كل مكان من العالم استيقظ فيه المسلمون، ما هو إلا نتيجة للارادة التسلطية التي يمارسها الاستكبار ضدنا. وأكد إن الطريق الوحيد لانتهاء هذه الارادة الشيطانية الاستكبارية هو توحيد صفوف المسلمين وكلمتهم والبراءة من المشركين.

وبعد أن أنهى رئيس البعثة كلمته تلي البيان الختامي لمراسم البراءة من المشركين الذي تضمن النقاط الحساسة التالية :

١ - نحن نرى أن الاستكبار العالمي وفي المقدمة منه أمريكا هو العدو الاساسي للاسلام والمسلمين، ونعلن موقفنا الرافض دائماً للنظام السلطوي العالمي.

٢ - نحن نرى أن وحدة الكلمة بين مختلف المجتمعات الاسلامية هي من أوجب الواجبات والضرورات التي يحتاج إليها العالم الاسلامي المعاصر، ونشجب ونستنكر كل ما يؤدي إلى

التفرقة وتمزيق الصف الاسلامي.

٣ - نحن نرى أن القتل العام البشع الذي يتعرض له مسلمو البوسنة والهرسك المظلومون إنما هو مؤامرة خبيثة ينفذها الاستكبار العالمي بقيادة أمريكا وحماية المجامع العالمية سرّاً، ونطلب من الدول الاسلامية أن توحد كلمتها وتستفيد من جميع إمكاناتها في سبيل إنهاء هذه الفاجعة العظمى، ونعلن بقوة أن الشعوب المسلمة سوف تنتقم لهذا الشعب المظلوم من الصرب الجناة.

٤ - إن فلسطين هي جزء لا يتجزأ من

الاراضي الاسلامية، ونحن نؤيد الانتفاضة الفلسطينية الاسلامية، ونرى أن الحل الوحيد لقضية فلسطين هو القضاء على اسرائيل.

٥ - نحن نشجب الهجمة الثقافية الغربية على القيم الاسلامية والثورة الاسلامية، ونؤكد على تنفيذ الحكم التاريخي للامام الخميني قدس سره في إعدام المرتد رشدي صاحب كتاب الآيات الشيطانية.

٦- نحن نعلن تأييدنا الراسخ والأكيد

للحركات الاسلامية المتنامية في كل مكان من العالم في فلسطين والبوسنة والهرسك ومصر والجزائر ولبنان وكشمير.

٧- نحن نعاهد رب الكعبة في جوار

بيت الله الحرام أننا سنسير على خطى الامام الراحل وذلك بمتابعة خلفه الصالح آية الله الخامنئي حفظه الله، وسنبقى ندافع عن حريم الاسلام المحمدي الاصيل.

٨- نحن نرى - وكما قال قائد الثورة

الاسلامية في رسالته إلى رئيس بعثة الحجاج الايرانية - أن إقامة مراسم البراءة في مكة المكرمة هو حق ثابت للشعب الايراني المسلم، ولجميع الشعوب الاسلامية، وسنقيم هذه المراسم كل سنة بأي شكل أمكن.

أمريكا

منظمة للنساء المسلمات في واشنطن

تكونت مؤخراً في واشنطن منظمة

للنساء المسلمات تسعى إلى تعريف الامريكيين بالاسلام، وتعمل على مكافحة التعميمات الخاطئة عن المسلمين بشكل عام والمرأة المسلمة بشكل خاص، وذلك عن طريق العمل داخل المجموعات السكانية وعن طريق التعليم.

وصرّحت شريفة الخطيب رئيسة المنظمة التي ستأخذ اسم مجلس أمريكا الشمالية للمرأة المسلمة، إن المرأة المسلمة في أمريكا تواجه معركة مزدوجة هي تغيير نفسها من الداخل وتغيير صورتها من الخارج.

وأضافت : إن المنظمة التي تضم ثلاثمائة عضو حتى الآن تسعى إلى تعزيز ثقة المرأة المسلمة بنفسها وتشجيعها على مكافحة التعميمات الخاطئة عن كل النساء المسلمات وذلك بواسطة تعليم المرأة المسلمة اسلامها، وتشرف المنظمة على تنظيم اجتماعات للنساء المسلمات من أجل مساعدتهن في تنمية وتطوير أنفسهن وفي المساهمة في

من أنباء القرني

له الاسلام والمسلمون من حملة دعائية تشويهية وقال: إن هذه الحملة ترجع في جزء منها إلى الجهل من ناحية وسوء النية من ناحية أخرى، وإن أغلب ما تكتبه وسائل الاعلام في الغرب عن الاسلام متحيز بعيد عن الحقيقة. وإن الصحافة ووسائل الاعلام الغربية أصبحت صناعة جبارة وهي إحدى سمات الاقتصاد الغربي.

وقال: لا يمكن إنكار دور المساعي الصهيونية في هذه المسألة، ولكن المشكلة تنبع في جزء منها من طبيعة المرحلة الحالية التي يمر بها الغرب بعد انتهاء الشيوعية، بحيث أصبح الغرب يبحث عن عدو جديد، فوجود العدو سمة هامة من سمات الحضارة الاوربية وإذا لم يكن هناك عدو فيجب خلقه. ويقدم الكثير من حكام الغرب أنفسهم إلى شعوبهم باعتبارهم حماة القيم الديمقراطية من خطر الاصولية.

وأضاف: إن رد فعل العالم الاسلامي تجاه هذه الظاهرة لم يتجاوز الاستنكار

المجتمع المسلم وغير المسلم، فمعظم النساء متعطشات لمثل هذه المنظمة. وذكرت شريفة الخطيب أن مجلس أمريكا الشمالية للمرأة المسلمة يسعى من داخل النظام للمساعدة في إبراز صورة ايجابية لكل المسلمين في المجتمع الأمريكي.

هولندا

تجتاح الغرب موجة عارمة من التشويه والتشهير بالاسلام والمسلمين لايهام المجتمع الغربي بأن كل مسلم هو اراهابي وأن البلاد الاسلامية ما هي إلا مصانع لتصدير الارهاب وأن الاسلام قد أصبح خطراً جديداً يهدد الغرب لا يقل عن الخطر الذي كانت تمثله الشيوعية المتناهية.

ورداً على هذه التصورات الخاطئة المغلوطة والمقصودة فسّر الدكتور كريستيان المستشرق الهولندي - في مقابلة أجرتها معه مجلة العالم في عددها ٤٨٤ - هذه الظاهرة وما يتعرض

والاكتفاء بردّ بواعثها إلى مؤامرة مخططة ضد الاسلام والمسلمين، وإن ذلك لا يعفي المسلمين من التدقيق والبحث وتشخيص هذه الظاهرة الخطيرة. وتساءل عن دور سفارات الدول الاسلامية ومكاتبها الاعلامية في الدول الغربية في الرد على تلك المغالطات التي تنشر ضد الاسلام، وقال : «أليس في استطاعة الاموال الاسلامية والعربية أن تنشئ منابر إعلامية في تلك المجتمعات المفتوحة بدلاً من أن يتركوا الساحة للآخرين ثم يضجون بالشكوى؟».

وقد أدّى ذلك إلى تمزق المسلمين وضياعهم، وإن تحسين الوضع الداخلي للمسلمين وتحسين صورتهم في الخارج خطوتان اساسيتان في تقديم صورة إيجابية عن الاسلام في المجتمع الغربي. وقال : إن استماتة الغرب في احتكار العالمية لا تصمد وحدها سبباً كافياً لتفسير هذه الظاهرة، لأن أوضاع العالم الاسلامي الراهنة لا تؤهله لأن يصبح

منافساً للغرب.

وعن دور الحوار في مدّ الجسور الموضوعية أمام الغرب في تعامله مع المسلمين قال: لا شك أن الحوار يلعب دوراً أساسياً في هذا الصدد، وضرورة الحوار تابعة من اختلاف الاديان وتباين الثقافات والانتماءات الوطنية، ولضمان نجاح الحوار لا بد من التسليم بأمور أساسية أولها القبول بالآخرين كما هم لا كما نريدهم نحن، وعندها يقبلنا الآخرون. وإن الاختلاف بين الامم والشعوب لا يمنع الحوار بل يجعله أكثر ضرورة بشرط أن يعتمد على تعدّد الحضارات وليس احتكار الحضارة لطرف دون آخر.

وحول كون جذور تشويه الاسلام في الغرب تعود إلى جهود المستشرقين التي مهدت للاستعمار وخدمت أهدافه قال : إن الاستشراق عالم متعدد لا يمكن أن نحكم عليه حكماً واحداً، لأن البعض من المستشرقين قدموا صورة أدق عن الاسلام بأكبر درجة ممكنة من

الموضوعية، كما إنه لم يعد هناك خوف من تحيز المستشرقين حيث لم يعد الاستشراق هو المرأة الوحيدة التي يرى الغرب من خلالها الاسلام والمسلمين، وقال : ما زالت هناك امكانيات كثيرة لتقديم صورة حقيقية عن الاسلام والمسلمين في الغرب، إلا أن الخطوة الاولى يجب أن يبدأها المسلمون لا أن ينتظروها من غيرهم.



■ ماليزيا

مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية في كوالالامبور

انعقد مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية بتاريخ ١٤ / محرم / ١٤١٤ هـ في كوالالامبور وذلك لمدة يومين.

عقدت المؤتمر جمعية علماء الاسلام الماليزية وساهم العديد من المتخصصين في العلوم الاسلامية وطلبة الجامعات الماليزية في اقامته وقد حظي المؤتمر بالاهتمام والمشاركة الواسعة للاخوات المحجبات

وفي نهاية عمل المؤتمر تحدث الاخ (أحمد أوانك) رئيس جمعية علماء الاسلام في مؤتمر صحفي عن أهداف المؤتمر وقال : إن الهدف من انعقاد المؤتمر هو الإسراع في تقريب المذاهب الاسلامية والتعرف على وجهات نظرها في المجالات الاسلامية، وأعرب (أوانك) عن تقديره لقيادة الامام الخميني الراحل قدس سره وقال : نحن لا نعتبر القائد الراحل إماماً للشيعة فحسب بل هو إمام المسلمين جميعاً.

وأضاف إن الامام الراحل كان يؤكد دوماً على أن المسلمين يجتمعون على هدف واحد، كما إنهم يواجهون عدواً مشتركاً ولذا يجب عليهم أن يتحدوا ويوحدوا صفوفهم، وأضاف قائلاً : إن عداوة أمريكا للجمهورية الاسلامية في إيران ليس لأجل انتمائها إلى التشيع، بل إن ذلك ناتج عن التزام الشعب الايراني بالاسلام وايمانه بالمبادئ الاسلامية. وأضاف : إن الشيعة والسنة تشترك أراؤهم في ٧٠٪ من المسائل الاسلامية،

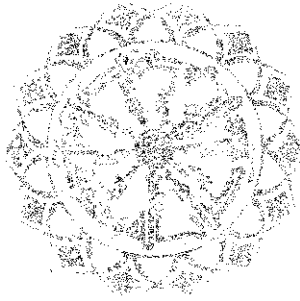
وعليّنا أن نقف جنباً إلى جنب وفي صف
موّحد ضد العدو الموّحد. وقال : إن
هدفنا ليس توحيد المذاهب الاسلامية،
فإن الاختلاف في الآراء هو سبب
للرحمة^١ مادامنا ملتزمين جميعاً (شيعة
وسنة) بالقرآن والسنة.

وقد اشترك في المؤتمر وفد
الجمهورية الاسلامية في ايران الذي
يتشكل من آية الله الأميني
وحجة الاسلام والمسلمين الشيخ
التسخيري والاخت فياض بخش.
وألقيت بحوث من قبل وفد الجمهورية
الاسلامية تحت عنوان : دور الجامعة في
الصحة الاسلامية. ودور المرأة في البناء
السياسي للمجتمع الاسلامي من وجهة
نظر الامام الخميني.

وتحدث سماحة الشيخ التسخيري
عن أهمية المؤتمر وقال : إن بإمكان
المؤتمر أن يرفع الحجب والاستار ويزيح
الفتن والشبهات حول تقريب السنة
والشيعة، ونظراً لأهمية التقريب بين
المذاهب الاسلامية فإن البعض من
المفسدين ممن لاهم ولا هواية له سوى
تمزيق الصفوف الاسلامية قام - وفي فترة
انعقاد المؤتمر - بنشر الاكاذيب حول
أتباع أهل البيت عليهم السلام، ولكن نظراً
لحضور النخبة من العلماء الواعين
والمتقنين لم تنجح هذه المحاولات
الشیطانية في ما كانت ترمي إليه وباءت
بالخيبة والخسران.



(١) اشارة الى الحديث النبوي المشهور : (اختلاف امتي رحمة) بناء على تفسير معين.



AMULUDAY
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAM

A General Islamic Periodical

Vol.2, No.5, July - Sept. 1983

5500

2000

Condition	Control (%)	MCI (%)	AD (%)
1	95	85	75
2	90	80	70
3	85	75	65
4	85	75	65

... ..

1. *Phragmites australis* (Cav.) Trin. ex Steud.

الصفحة الاولى من الغلاف الداخلي: مقطع من الاطار الخارجي لقبة جامع الشيخ
لطف الله مكتوب فيه «يا الله» وآيات من سورة «الانسان».

الصفحة الثانية من الغلاف الداخلي: الواجهة الامامية لجامع الشيخ لطف الله
المشيّد بين (١٠١٢-١٠٢٦) هجري (١٦٠٢-١٦١٦) ميلادي في مدينة اصفهان.